الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة منتوري قسنطينة

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم الفلسفة

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

نظريّة الألعاب اللغويّة عند لودفيغ فتغنشتاين

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة

إعداد الطالبة:
مليّة مرابطين

إشراف الأستاذ:
الدكتور جمال حمود

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د. لخضر مذبوح	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة	رئيسا
د. جمال حمود	أستاذ محاضر	جامعة قسنطينة	مشرفا ومقررا
أ.د. محمد جديدي	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2012/2011

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾
[يوسف آية: (76)]

«إنّي رأيت أنه لا يكتب أحد كتاب في يومه
إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو
زِيد هذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان
أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل، وهذا من
أعظم العِبر على استيلاء النّقص على جملة
البشر.»

العماد الأصفهاني

شكر وتقدير

لك الحمد مولاي على كل نعمة ومن جملة النّعماء قولي لك الحمد

البصيري

تهرب مني كلمات الشكر حينا... وتضيع مني عبارت التقدير حينا، ويقف لساني صامتا لحظة صياغة آيات العرفان أحيانا كثيرة...

لكن هي كلمات لا بد أن تقال:

شكر... تقدير... وعرفان جميل

إني على دراية بأن الكلمات الجميلة والأساليب المرونقة وكل مجازات المدح ومفاهيم الثناء تبقى مجرد دلالات ومعاني اعتادت الألسن تداولها والآذان سماعها كضرب من اللغة اكتسى بردة الأدب حينا وتزين بطابع المجاملة حينا آخر، لذلك مهما اجتهدت في انتقاء عبارات الشكر لن تكون موفية لغرضي ولا لغرضها... لن تكون موفية لحقك أستاذي، فمثلك يستحق من الكلمة والعبارة والأسلوب أكثر من شكر وتقدير.. وألف اعتبار ورغم ذلك أقول: شكري جزيل وتقديري جميل وعرفاني موصول لأستاذي المشرف الدكتور "جمال حمود" الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل منذ لحظة ميلاده إلى أن استوى على عوده.. وبتوجيهاته السديدة ونصائحه الرشيدة علمني قداسة اللغة وجمال الحرف وعلياء الفلسفة قولا وعملا... فعلا وقوة.

إليك أستاذي،

يبقى الثناء وتذهب الأموال ولكل دهر دولة ورجال

ما نال مَحمَدة الرجال وشكرهم إلا الجواد بعلمه المِفضال

مليّة

إهـــــداء

إلى أستاذي في الحياة، أسوتي في العلم وقدوتي في الخلق الكريم... عرفانا بجميل أفضاله التي لا تعد وتقديرا لعظيم شمائله التي لا ترد

إليك أخي الأستاذ عبد الوهاب أقول:

أقـدم أستاذي على نفس والـدي وإن نالني من والدي الفضل والشكر

فذاك مربي الروح والروح جوهر وهذا مربي الجسم والجسم من صدف

إلى كل من استعجل بالسؤال شوقا ليرى هذا العمل يكتمل، واحتوانا بمشاعر الحب الدافئة وأفكار التحفيز المعبرة وكلمات الثناء الموحية وعبارات الدعاء الصادقة.

لكم جميعا: جعل الله سعيكم في ميزان حسناتكم

إلى... وإلى كل من استهوته الفلسفة يوما، فأحبها وعشقها وهام وتعلق بها اياما واياما.

إلى كل محب للحكمة وباحث عن الحقيقة. إلى كل ذي عقل نقدي.

إلى هؤلاء وأولائك أقول:

سر مع التوفيق فهو الدليل حصحص الحق وبان السبيل

إليكم جميعا يرفع الجهد.

مليلة

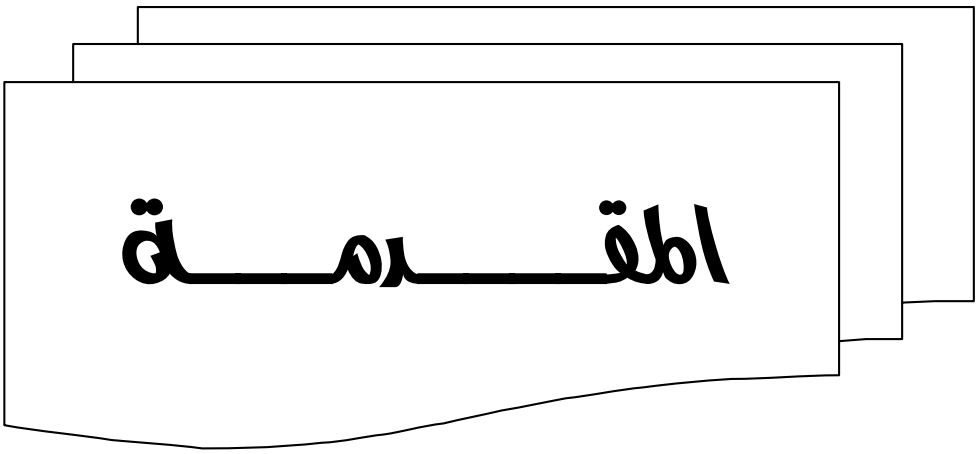
المقـــــدمـــــة

تُنعت الفلسفة في عرف أهل الاختصاص، وفي دوائر الحقل الفكري عامة بأنها إبداع مفاهيمي، وتأصيل إستراتيجي لآلية التساؤل، ومن ثمة فهي سعي دؤوب لفهم حقيقة الإنسان المتسائل سؤال الفلسفة حيث لا وجود لحقيقة ثابتة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، ومع ذلك تبقى الفلسفة دائمًا وأبدًا حوارًا تساؤليًا ينسج أدواره الكائن البشري ومحيطه، أو بالتعبير الوجودي بين الأنا والآخر، عبر وسيط اللغة أم الظواهر الإنسانية جميعًا، من حيث مستوياتها أو من حيث وظائفها أو من حيث العلاقات التي تطالها في محاولة لجعل هذا الكائن المتسائل كينونة لغوية.

ولا ضير بناءً على ذلك إذا قلنا بأن اللغة قد عدّت من أكبر المواضيع التي شغلت الإنسان منذ وعيه بوجوده، وإن تجاهلها من حيث البحث في بنيتها وتركيبتها على طريقة أولئك الذين عالجوا اللغة من قديم بأسلوب جامدٍ فتعاملوا مع الكلمات وكأنها أحجار في أبنية صماء، في حين فرض منطق العصر التعرض للغة بما هي شكل من أشكال هذا الوجود وآلية تحولّ الإنسان من الكائن الإنساني إلى الكائن الكلامي.

وتلك مهمة قد عانقتها فلسفة اللغة في القرن العشرين راصدة أهدافها في محاولة للتعرف على اللغة من حيث هي أداة تعبيرية وعلاقة وجدانية فوظيفة اجتماعية قائمة بين ذات الإنسان ومحيطه، فكانت نتيجة لذلك وباختصار البحث المضني للكشف عن الأسرار التي تكتنف اللغة وتجعلها لغزًا محيرًا، بيد أن هذا البحث لم يكن مركزيًا في الفلسفة إلا في القرن العشرين وكأن الإنسان قد اكتشف لأول مرة لغته حين حصل الإجماع –مع ما في ذلك من مبالغة– على اعتبارها الأداة المثلى والوسيلة الفضلى لحلِّ المشاكل في مختلف فروع الفلسفة عن طريق الفحص الدقيق للغة التي صيغت فيها هذه المشاكل، حتى كانت حقًا بمنزلة الفلسفة الأولى في القرن العشرين على حدِّ وصف آبل.

هذا وقد تبنت الفلسفة التحليلية هذه المطارحات جاعلة من اللغة هدفًا من أهداف البحث الفلسفي، لا مجرد وسيلة لهدفٍ آخر، تلك المهمة التي نشأت في الأصل كردٍّ فعلٍّ على النزعات المثالية بصفة عامة، تزعمها مور، راسل، وفتغنشتاين كلاسيكو فلسفة اللغة كما يحلوا للبعض

تسميتهم[1] فكانوا الأعلام البارزين والروّاد الأوائل الذين أرسوا قواعد هذه الفلسفة وإن تباينت طرق بحثهم فيها. فإذا كان مور قد اتجه في المنحى العام لفلسفته التحليلية صوب الحس المشترك والذوق الفطري، وولّى راسل وجهه شطر المنطق والرياضة فكانت فلسفته الذرية المنطقية، فإن النمساوي لودفيغ فتغنشتاين قد زاوج بين فلسفتي الرجلين في قالبٍ فكري جديد وفلسفة مثيرة طرحت العديد من السجالات، أين تأثر في بداية عهده بالفلسفة بأستاذه وصديقه راسل في ذريته المنطقية، فكان رجل قضية العلاقات القائمة بين اللغة والعالم والتي ترجمها في كتابه الموسوم بـــ: التراكتاتوس –رسالة منطقية فلسفية– حين أقر بالتماثل بين اللغة والعالم في إطار نظرية الرسم المنطقي التي احتلت بعدًا مركزيًا في نسق الرسالة بالنظر لثقلها الواضح في نسج الوظيفة الوحيدة للغة والتي ظل فتغنشتاين يحرص حرصًا بليغًا على الالتزام بها وهي الوظيفة التمثيلية، بل وصيّر رسالته المنطقية خدمة لهذه الوجهة حين راح يرسم الحدود الفاصلة بين المعنى واللامعنى على هذا الأساس، ووحدت الرسالة بين ما يمكن قوله وما يمكن التفكير فيه إلى الحد الذي لن نبالغ فيه إن قلنا فيه بأن حدود الفكر لن تكون حسب فتغنشتاين إلا حدود اللغة.

وفي هذا الإطار جاء موقفه المتميز من الفلسفة حين جعل من الخطاب الفلسفي خطاب نشاطٍ وتوجيه يهدف إلى تحقيق الوضوح، وحصر وظيفته في نقد اللغة، حين صرحت بنود التراكتاتوس بأن الفلسفة كلها نقد للغة، وكل تجاوز لهذه المهمة سيؤدي إلى حيث مكامن الإرباك، ومواطن اللامعنى أين يجب الصمت وهذا ما انتهت إليه الرسالة ذاتها.

وقد دام صمت فتغنشتاين قرابة العقد ونيّف من الزمن حينما اقتنع أن ما يمكن أن يقال قد قاله بوضوح، قبل أن يعود من جديد للتفلسف، منطلقًا هذه المرة من أطروحات مور، معيدًا الاعتبار للغة العادية، وشرع في عملية هدم تدريجية لأطروحات الرسالة بدءً بمسألة الاسم يعني الشيء، والشيء هو معناه، إذ لم تعد اللغة عنده حسابًا منطقيًا دقيقًا لكل كلمة معنًا محددا، وننتقل من كلمة إلى ما يلزم عنها ضرورة بالاستدلال المنطقي، وإنما أصبحت الكلمة الواحدة في المقاربة الجديدة للغة عند فتغنشتاين تتعدد معانيها بتعدد استعمالاتها، وفي هذا المجال جاء فتغنشتاين بما يسمى نظرية الألعاب اللغوية كرؤية مغايرة ومنهجية جديدة تخالف في العمق المطارحات الكبرى في فلسفة لغة التراكتاتوس.

(1) Marconi. D: La philosophie du langage au XX siècle, traduit de l'italien de M.Valansi, éditions de l'éclat, Paris, 1997, p 11.

ذلك أنّها لم تشكل أهم وأحدث تصورات فتغنشتاين للغة فحسب، بل ومن أقوى القرائن التي تعبّر عن العودة القوية للفلسفة والتفلسف عنده مؤكدة في وجه من أوجهها على أهمية اللغة العادية والتي أصبحت من المؤشرات الدالة بوضوح على المنعطف الذي عرفته أفكار فتغنشتاين بتغييره للبراديغم اللغوي الذي أسس عليه كتابه الرسالة، وبدا هذا واضحًا في ردِّه الاعتبار للغة العادية في إشارة جلية إلى عدم اقتناعه بالنمذجة التي اقترحها للغة قبل ذلك الحين. ومؤكدة في وجه آخر على الاستعمال الاجتماعي التداولي للغة، مع المحافظة على الوظيفة العلاجية للفلسفة عندما حاول في كتابه "الأبحاث الفلسفية" العنوان الأبرز في مرحلته الثانية معالجة الأمراض التي تسببت فيها اللغة جاعلاً من الفلسفة معركة ضد اعتلال عقلنا بسبب من لغتنا، وما نموذج اللعبة اللغوية التي جاء بها فتغنشتاين إلا إستراتيجية تبتغي إيضاح استعمال الألفاظ.

ولا يعزب عنا في هذا الإطار الإشارة إلى الأبعاد الفكرية التي احتوت عليها نظرية الألعاب اللغوية لاسيما منها البعد البراغماتي الذي أماط اللثام على تداولية اللغة، وكشف البعد الوجودي عن اجتماعية اللغة بإبراز الطابع الجماعي للوجود الإنساني، من خلال نظرته إلى اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية.

ومن جهة أخرى حازت نظرية الألعاب اللغوية على أهمية بالغة في الأوساط الفكرية وبرزت هذه الأهمية أكثر في التأثير الكبير والدور البارز الذي لعبته النظرية على الساحة الفلسفية المعاصرة بمختلف اتجاهاتها ومدارسها على غرار مدرسة أوكسفورد تحت زعامة الإنجليزي أوستن والأمريكي سيرل، والفلسفة التواصلية بإشراف الألماني يورغن هابرماس.

هذا ولما كان مرام هذه الدراسة الولوج إلى قلب فلسفة فتغنشتاين اللغوية الثانية تحديدًا ومحاولة حصرها في إطار معرفي محدود العوالم كان موضوع بحثنا يدور حول فلسفة اللغة عند فتغنشتاين عامة وفي مرحلتها الثانية خاصة وما قصده بنظرية ألعاب اللغة على وجه أخص. لذا ومن على شرفة ما تقدم فإن اختيارنا لهذا الموضوع تحديدًا لم يكن عشوائيًا أو محض الصدفة، بل إن دواعي اختياره قد تنوعت بين الذاتية والموضوعية، تجلت الأولى في ميلنا لمعالجة إشكالية من الإشكاليات الفلسفية المعاصرة في المنطق وفلسفة اللغة على وجه التحديد، كما أن شخصية فتغنشتاين كانت من أبرز اهتماماتنا لذا ولجنا باب فكره مدفوعين بفضول فلسفي أولاً وعلمي ثانيًا إلى إتمام تكوين بانوراما شاملة لفكره.

وتنوعت الثانية بين جدة الموضوع المطروح وقلة الدراسات الفلسفية حوله، وحضوره القوي في القرن العشرين، ما جعلنا نروم الإلمام به كفسيفساء لغوية فلسفية، ولّما كان الأمر كذلك، فلا فكاك لأية دراسة ترنو إلى فتح مغاليق فلسفة فتغنشتاين الثانية ومجاهيل نصوصها من رؤية إشكالية يحصر فيها موضوع البحث وعليه فإن الإشكالية المحورية التي يدور عليها موضوع بحثنا تنحصر في فلسفة اللغة عند فتغنشتاين الثاني من خلال نظريته في ألعاب اللغة العنوان العريض لمرحلته الثانية في علاقتها مع فلسفته الأولى، وفي الأبعاد التي احتوتها النظرية فضلاً على التأثيرات التي مارستها على الفلسفة المعاصرة، وعلى ضوء ذلك تساءلنا:

ماذا يقصد فتغنشتاين بنظرية ألعاب اللغة؟ ما مقوماتها وما أهدافها؟ ما حقيقة علاقتها بفلسفة اللغة في الرسالة؟ وما مدى تأثيرها على فلاسفة اللغة العادية في أوكسفورد والفلسفة التواصلية الألمانية؟

وللإجابة على هذه التساؤلات قسمنا خطة بحثنا إلى ثلاثة فصول سبقت بمقدمة وتبعت بخاتمة مواد هذه القراءة.

إذ خصصنا فضاء المقدمة لطرح آليات بحثنا واستقراء أدواته الإجرائية، من تعريفٍ بالموضوع محل الدراسة وبيان أهميته فطرح الإشكالية.

وقد عنونا الفصل الأول بفلسفة اللغة عند فتغنشتاين من خلال التراكتاتوس وخصصناه لبحث الطابع التحليلي الذري لفلسفة فتغنشتاين من خلال تحليلنا لمفهومي اللغة والعالم إذ بالرغم من أن القضية الأساسية التي تناولتها تراكتاتوس فتغنشتاين بالدراسة والتحليل هي قضية نقد اللغة غير أن هذه المهمة لم تتضح مع فتغنشتاين إلا بالتزامن مع التحليلات الأنطولوجية لمفهوم العالم.

وتجلى هذا الترابط بين اللغة والعالم في نظريته عن الرسم المنطقي التي جاءت لإتمام بناء العلاقة التماثلية بين قضايا اللغة ووقائع العالم وتم فسح المجال للمنطق لرسم حدود هذه العلاقة، وأبعادها ولأنه وحسب فتغنشتاين يستحيل أن نفكر في شيء تفكيرًا غير منطقي جعلت نظرية الرسم المنطقي كنظرية تمثل قمة التجريد في التراكتاتوس، واكتسبت على إثره جاذبية خاصة في أروقة الرسالة حين أرست قواعد التعريف الإشاري كبارادیغم أساسي لتوكيد أو نفي المطابقة بين القضية والواقعة والذي يتماشى مع مقتضيات الفلسفة الذرية.

وخدمة أيضًا لمطالب الذرية المنطقية جاءت نظريته في القول والإظهار والتي كانت في حقيقة الأمر تحصيلاً محصلاً ونتيجة تطبيقية لنظرية الرسم المنطقي على قضايا تخص كل من المنطق واللغة، حتى أضحى من اللائق القول أن اللغة لا تصف لنا حسب منطق الرسالة وبنود نظرية الرسم إلا ما هو ممكن الوجود والذي نستطيع بالموازاة مع التفكير فيه تحديد معالمه أما ما لا نستطيع أن نحدد معالمه يستحيل علينا التفكير فيه.

أما الفصل الثاني فد خصص لرصد التحولات التي طرأت على فكر فتغنشتاين من خلال الحديث عن المنعطف الجديد في فلسفته، والكشف من ثمة عن المسار الجديد للتفلسف عنده من خلال تخفيفه من حدة دوغماطيقية الرسالة الانتقال في فلسفته الجديدة إلى بناء فكر متحرك لا يخضع لعمليات حسابية أو قواعد منطقية تفيد نتيجة قارة لا مجال للجدال معها.

وتبين هذا المسار من خلال نقده الذاتي للنظرية الإشارية أو نظرية الرسم المنطقي باعتبارها الركن الأساسي في الرسالة، وإرسائه لقواعد نظريته في ألعاب اللغة التي كشفت عن أكثر من نظام لغوي وفر الحديث عنه في إطار كل التلوينات الطارئة على فكر الرجل بفكر متحرك أصبحت فيه الكلمة تعبر عن عدة أشياء، وأصبح الشيء يوصف بكلمات عديدة، وهذا هو جوهر المعنى الجديد لمفهوم الاستعمال المصطلح الأكثر ورودًا والأكثر بروزًا والأكثر استعمالاً عند فتغنشتاين الألعاب اللغوية الذي لم يعد معه الجهاز الرمزي يشكل نموذجًا يستعان به في مجال المعنى في الرسالة، وإنما مقصده الجديد من خلال نظرية الألعاب اللغوية أن ليس ثمة معنًا واحدًا وثابتًا لكل لفظٍ، وإنما يتعدد المعنى وفقًا لما تواضعنا عليه، إذ لم تعد هناك حاجة لإبداع أي نموذج خارج استعمال الكلمات والجمل وفقًا لقواعد معينة داخل المجتمع، مما أسفر الحديث عن الجانب الاجتماعي للغة والتي عليها مواكبة التنوع في أغراضنا من استخداماتنا لألفاظنا.

بيد أن هذا لم يكن بالأمر اليسير التحقيق إلا بعد أن ولّى وجهه شطر اللغة العادية، وأعاد لها الاعتبار لحظة عدم اقتناعه بالنمذجة التي افترضها للغة في الرسالة وباتت الأبحاث الفلسفية المعيار الحقيقي لكل الأشكال التعبيرية بل وهي معيار اللغات جميعًا، ولعبة اللغة فيها تنم عن صورة حياة وتكشف عن نمط عيش وشكل تعايشٍ بين مستعمليها يرمي إلى تحقيق منظومة لغوية اجتماعية تواصلية.

ومن زاوية كان لفتغنشتاين في إطار نظرية الألعاب اللغوية مواقف متباينة من قضايا عديدة على غرار المنطق والرياضيات والميتافيزيقا والتي كان بالغ الأثر في بلورة المنحى العام لفلسفة الأبحاث.

في حين ورد الفصل الثالث لإبراز مختلف الأبعاد الفكرية للنظرية والتأثيرات الفلسفية التي مارستها في الخطاب الفلسفي المعاصر.

ومن جملة الأبعاد التي كشفنا عنها بين محاور النظرية بعدين أساسيين ويتعلق الأمر بالبعد البراغماتي الذي سرعان ما اتضح أكثر مع المتأثرين بفكر الألعاب اللغوية في إطار التداولية اللغوية كما عرفتها مدرسة أوكسفورد والبعد الوجودي الذي كشف الطابع الاجتماعي للغة الحياة اليومية.

في حين جاءت آثار النظرية على الساحة الفلسفية المعاصرة واسعة وقد اتخذنا نموذجين بارزين على سبيل المثال رأينا أثر فكر الرجل فيهما جليًا ويتعلق الأمر بمدرسة أوكسفورد سواء عند الإنجليزي أوستن أو الأمريكي سيرل اللذان تأثرا أيما تأثر بفكر الأبحاث ونظرية الألعاب على وجه التحديد بنظرتيهما عن أفعال اللغة أين برز تأثرهما بمفهوم فتغنشتاين للاستعمال ومن ثمة كان شعارهما لا تسألنا عن المعنى بل اسألنا عن الاستعمال.

والمدرسة التواصلية بإشراف هابرماس الذي جعل من التداولية اللغوية أساس الفعل التواصلي حين شيّد به صرح فلسفته التواصلية على أساسٍ من مفهوم الاستعمال التداولي للغة عند فتغنشتاين.

في حين عملت الخاتمة على جمع ما تم رصده عبر محاور هذه الدراسة وكأنها عود على بدء جسدت حكمة أن لا شيء في هذا الكون إلا ويجري لمستقر له، محفوفة بآراء نقدية تقييمية لفلسفة اللغة عند فتغنشتاين الأبحاث.

ونظرًا لتشعب الموضوع وتفرعه فإننا لم نقتصر أثناء تحليلنا لعناصر هذا البحث على منهج بعينه، إيمانًا منا بقصور أدواته على الإحاطة بكل جوانب الإشكالية ولهذا السبب تنوعت المناهج المستعملة بين المنهج التاريخي الذي استعملناه لتتبع السياق التاريخي لفلسفة فتغنشتاين وأهم التطورات التي حصلت فيها، والمنهج التحليلي الذي استخدمناه في تحليل آراء وأقوال أسس وطبيعة

مواقف فتغنشتاين حول اللغة والمنهج الغالب على البحث. في حين اعتمدنا المنهج المقارن في عرض نقاط التشابه ونقاط الاختلاف في فكر الرجل من جهة، وفي فكر من تأثر بهم أو أثر فيهم من جهة ثانية.

ومن زاوية أخرى ولإعطاء بحثنا هذا أهمية وقيمة علمية وفلسفية حاولنا جاهدين الاعتماد على أهم المصادر ذات الصلة بالموضوع معتمدين بشكل كبير على مصادر فتغنشتاين ذاته خاصة ما تعلق الأمر منها بالرسالة والأبحاث في طبعتها العربية والأجنبية فضلاً من بعض المراجع الهامة ذات الصلة بموضوع البحث نذكر منها على سبيل المثال: عزمي إسلام – فتغنشتاين- سلسلة نوابغ الفكر، فلسفة اللغة عند فتغنشتاين من خلال رسالته المنطقية لجمال حمود، وكتاب جيلبرت أوتوا عن فلسفة اللغة عند فتغنشتاين:

Hottois. G: La philosophie du langage de L. Wittgenstein.

هذا وتجدر الإشارة إلى أنه وككل البحوث الأكاديمية قد واجهتنا صعوبات أثناء إعدادنا له منها القلة الملحوظة في الدراسات حول هذا الموضوع في المكتبة الجزائرية والعربية عامة إذا استثنينا أطروحتي الأستاذين جمال حمود في فلسفة اللغة عند فتغنشتاين الأول وعلي بحري في المعنى وتطوره عند فتغنشتاين، فضلاً على أن معالجة مسألة في فلسفة اللغة المعاصرة بهذا الحجم يتطلب منا إلمامًا ليس بمصادر البحث فحسب وإنما بالمراجع الهامة ذات الصلة بالموضوع.

غير أنه وإن كان من نافلة القول أن لا بحث يخلو من المصاعب فإننا نخالها في واقع الأمر أبوابًا تُعبر وتُترك في الخلف وجملة عزائنا هو هذا الجهد البسيط الذي تناولنا فيه فكر الفيلسوف الكبير فتغنشتاين من خلال نظرية الألعاب اللغوية، والذي لا ندعي فيه فضل السبق إلا في ما أتيح لنا، وحسبنا أنا كنا محضوضين بشرف معالجة هذا الموضوع عسى أن ندرك مستقبلا رؤى وآليات أوسع نثري ونعمق به ما بدأنا المسير فيه.

الفصل الأول

فلسفة اللغة عند فتغنشتاين من خلال الرسالة

المبحث الأول : تحليل العالم واللغة عند فتغنشتاين

المبحث الثاني : نظرية الرسم المنطقي عند فتغنشتاين

المبحث الثالث : حدود اللغة في منطق الرسالة بين القول والإظهار

يكاد يجمع كافة المختصين في دراسة الكتاب الشهير لفتغنشتاين L.Wittgenstein الموسوم بـــ:رسالة منطقية فلسفية[1]"Tractatus logico-philosophicus" أن القضية المركزية والفكرة الأساسية التي تناولها بالدراسة والتحليل هي قضية نقد اللغة بيد أن هذه القضية لم تتجل بالصورة الواضحة إلا بعد التحليلات الأنطولوجية، وبمعنى أكثر وضوحًا فإن فتغنشتاين يبدأ رسالته بالنسق الأنطولوجي أو مبحث الوجود ثم يعرج على بقية المباحث، ولهذا السبب سنعمد في تحليلاتنا للرسالة النسق ذاته تماشيًا وقضايا الرسالة بدءً بتحليلنا للعالم ثم التطرق بالدراسة والتحليل لمسائل اللغة.

المبحث الأول: تحليـــل العالـــم واللغـــة عنـــد فتغنشتـــاين:

1- تحليـــل العالـــم:

1-1- مفهـــوم العالـــم في الـــرسالـــة:

يعد تراكتاتوس فتغنشتاين نموذجًا حيًا، وتطبيقا استراتيجيا لمنهج التحليل بالرغم من كون الرجل لم يضع لا تعريفا ولا مفهومًا واضحًا للتحليل،كما لم يتحدث في ذات الوقت لا عن أدوات ولا عن تطبيقات المنهج التحليلي، غير أن استخدامه البارع لآلياته ينم عن معرفة أصيلة لفتغنشتاين بمبادئ وأصول المنهج التحليلي، وما تطبيقات نصل أوكام بقواعده في اختصارات الرسالة بطريقة عجيبة لدليل كاف على ذلك.

ومن اختصارات الرسالة نجد تحليلاته للعالم التي كانت بوابة أساسية لتحليل اللغة وفق نسق معين إذ يفتتح فتغنشتاين رسالته بسلسلة من التعاريف المتباينة لمصطلح "العالم" بحيث يبدو كل تعريف يصب في معنى معين ومنها نذكر:

---

[1] رسالة منطقية فلسفية "Tractatus logico-philosophicus"، هو الكتاب الوحيد الذي نشر في حياة فتغنشتاين بطابع عميق ومختصر، ودرجة عالية من الدقة والصرامة إلى الحد الذي اعتبره راسل في المقدمة التي أعدّها له حدثا هامًا في عالم الفلسفة، ما جعله مدعاة لقراءات وتأويلات متعددة كان فتغنشتاين على وعي بها حين اقترح على ناشره أن يضيف بضعة أوراق بيضاء في النهاية حتى يصب القارئ الذي لم يفهمه غضبه فيها.

وللإشارة فقد اعتمدنا في هذه الدراسة على الترجمة العربية للرسالة التي أعدت من طرف عزمي إسلام في سنة (1968) تحت عنوان: "رسالة منطقية فلسفية".

- "العالم هو جميع ما هنالك"[1].
- "العالم هو مجموع الوقائع لا الأشياء"[2].
- "العالم حدوده الوقائع وأن هذه الوقائع هي جميع ما هنالك منها"[3].
- "العالم ينحل إلى وقائع"[4].

وبذلك تعد كلمة عالم أول مصطلح استهل به فتغنشتاين رسالته، وإذا أجمع أغلب الدارسين بأن هدفها كان فهم منطق اللغة فإن فتغنشتاين قد أردف هذا الفهم بفهم آخر خاص بمنطق العالم، بل ولن يكون الأول بمعزل عن الثاني ذلك أن ليس للغة معنى ما لم تتمثل وجود العالم[5].

وفي تعريفاته للعالم التي أوردناها سابقا ندرك التباين في معانيها حيث جاء التعريف الأول في اختصارات التراكتاتوس وصفًا موجزًا جدًا للعالم، في حين جاء الاختصار الثاني جوابًا لسؤال ما عن مكونات هذا العالم أين يدخل فتغنشتاين على إثره مفهومين جديدين إلى جانب مفهوم العالم ويتعلق الأمر بالأشياء والوقائع والثنائية الرابطة بين كلاهما إيجابًا وسلبًا، ويؤكد هذه الرابطة الإيجابية مع الوقائع في التعريف الرابع، وسنأتي إلى عرض مفصل لما يقصده فتغنشتاين بالوقائع، ولكن قبل ذلك وجب الإشارة إلى نقطة هامة وهي أن فكرة العالم هذه قد شكلت حقيقة أنطولوجيا الرسالة بامتياز، فبالرغم من أن الغرض الأساسي للرسالة وللفلسفة عامة هو نقد اللغة "Critique of language"، غير أننا نجد فتغنشتاين يضع العالم ككل تحت مجهر التحليل، والتحليل المنطقي بوجه أدق حتى يقف على المكونات النهائية التي يرتد إليها تحليلنا للعالم[6]. وعن

---

(1) لودفيغ فتغنشتاين: رسالة منطقية فلسفية، ترجمة عزمي إسلام، مراجعة وتقديم زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1968، (ق 1).

(2) المصدر نفسه، (ق 1,1).

(3) المصدر نفسه، (ق 1,11).

(4) المصدر نفسه، (ق 1,2).

(5) جمال حمود: فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2009، ص 123.

(6) ماهر عبد القادر: فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1989، ص 233.

فكرته عن العالم يجمع النقاد لفكره أنها إبراز واضح للنزعة الميتافيزيقية التي طالما حاول إخفاءها وراء عبارات من قبيل خالية من المعنى[1] وجب استبعادها.

وفي إطار تحليله للعالم أدخل فتغنشتاين مفهومي الوقائع والأشياء فما مفهومهما؟ وما الفرق بينهما؟

1-2- الوقائع والوقائع الذرية:

لقد كان تأثير الرسالة واسع النطاق على الساحة الفلسفية في العشرينات نظرا للموضوعات التي تطرقت إليها بالتحليل، موازاة مع المصطلحات الخاصة بالرجل والتي مازالت تثير العديد من الإشكالات أمام الدارسين والباحثين في فكره وهم بصدد تحديدها وتفسيرها، إذ يلتبس الأمر على كل دارس للرسالة في كل محاولة لشرح أو تحليل ما يقصده أو ما يعنيه فتغنشتاين بالعديد من المصطلحات، ويزداد الأمر صعوبة إذا علمنا أنه لم يورد أي شرح أو تحديد أو تعليق على هذه المصطلحات. لذلك قد لا نجانب الصواب إن قلنا بأن مصطلحاته غاية في الصعوبة والاستغلاق، وسنساير الذين قالوا بأنها تحتاج إلى معجم خاص بها.

ومن أبرز هذه المصطلحات التي عرفت تأويلات عديدة تمهيدًا لتفسيرها على النحو الذي أراده فتغنشتاين، والتي لم تلق بعد تفسيرًا واحدًا متفقًا عليه الوقائع والوقائع الأولية، ومع أن هذه الترجمة تبدو أكثر وضوحًا، لكن المصطلحين الذين اعتمدهما فتغنشتاين كانا أكثر غموضًا واستغلاقًا،حيث تولدت صعوبة كبيرة في التفرقة بين ما قصده فتغنشتاين بـــ"Tatsache" و"Sachverhalt". وبغية تبني ترجمة معينة كان لزامًا علينا الإشارة لبعض ما ورد في تفسيرات وتعقيبات الشراح للمسألة.

ذلك أن أول شرح هام للمصطلحين ورد في الرسالة ذاتها وفي مقدمة راسل "B. Russel" لها تحديدًا إذ ذهب إلى أن ما يسميه فتغنشتاين بالواقعة "الذرية" (اصطلاح راسل) هي التي لا تتكون من وقائع (Sachverhalt) في حين تكون الواقعة ما تكونت من واقعتين أو أكثر[2].

---

[1] لودفيغ فتغنشتاين: الرسالة، (ق 4,003).

[2] برتراند راسل: مقدمة للرسالة المنطقية الفلسفية، تأليف فتغنشتاين ، ترجمة عزمي إسلام ومراجعة زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، 1968، ص 34.

وهكذا يكون راسل في تحديده للمصطلحين صنف ما قصده فتغنشتاين بـــ"Sachverhalt" مقابلاً لمصطلحه "الواقعة الذرية" "Atomic fact" في حين يكون المصطلح "Tatsache" موازيًا لما عناه راسل بالواقعة "Fact". وقد لاقت تفسيرات راسل هذه صدًى هامًا جدًا لدى أتباع فتغنشتاين وتجلت بصورة واضحة في الترجمة التي أعدها اوجدن "Ogden " للرسالة[1] أين شايع راسل في الترجمة التي ذهب إليها لكلا المصطلحين رفقة رامزاي "Ramsey"[2].

ومن زاوية أخرى يذهب ماك غينس"Mc. Guinness" في ترجمته لمصطلح فتغنشتاين إلى اعتبارها حالة الأشياء "State of affairs" وهي نفس الترجمة التي ذهب إليها بيرز "Pears" وإن كانت هذه الترجمة قد ذهبت إلى وصف لحالة الشيء أكثر من البحث عن المعنى الدقيق الذي قصده فتغنشتاين، إلا أن آير "Ayer "[3] قد عدها أكثر دقة من عبارة واقعة ذرية[4]. هذا وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن ماك غينس ذاته لم يكن مقتنعا تمام الاقتناع بهذه الترجمة، حين ترجم المصطلح في موقف آخر بالواقعة الذرية الراسلية[5] بالرغم أن ما قصده من خلال ترجمته للمصطلح بحالة الأشياء كانت توحي وترمز في ثناياها عن الإمكان أكثر مما تفيد الواقعة الذرية من جزم صارم.

إلى جانب ماك غينس نجد تلميذة فتغنشتاين أنسكومب"Anscombe" قد تراوحت ترجمتها للكلمة بين موافقة راسل فيما ذهب إليه وذلك في كتابها عن فتغنشتاين الموسوم بـــ"مقدمة لرسالة فتغنشتاين"[6] وبين اعتماد ترجمة خاصة بها أثناء إحدى ترجماتها لأحد كتبه بأن ما قصده أستاذها بالعبارة "Sachverhalt" هي ما تميل إلى تسميته بالموقف "Situation".

---

(1) هذه الترجمة عملت على نقل الرسالة من اللغة الألمانية إلى اللغة الإنجليزية قام بها أوجدن "Ogden" بمساعدة رامزاي "Ramsey" عام 1922. أنظر: جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين ،المرجع السابق، ص 25.

(2) ماهر عبد القادر: فلسفة التحليل المعاصر،المرجع السابق، ص 241.

(3) فيلسوف إنجليزي (1910-؟) من رواد الوضعية المنطقية ومن مؤلفاته: "اللغة، الحقيقة، المنطق"، "التفكير العلمي". أنظر: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1987، ص ص 11-12.

(4) Ayer. A : The Alimentary propositions of the tractatus, proceedings of the sixth inter national symposium, 1981, Austria, p 419.

(5) ماهر عبد القادر: فلسفة التحليل المعاصر ،المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) Anscombe. G.L.M : An introduction to Wittgenstein tractatus, Hutchinson university, library London, 3ed, 1967, p 30.

وغير بعيد عن أنسكومب نجد بيتشر"Pitcher" في كتابه فلسفة فتغنشتاين يتأرجح بوضوح بين ترجمة راسل وترجمة غينس، فنجده تارة يتحدث عن الواقعة الذرية عند فتغنشتاين على منوال الذرية الراسلية، ومن جهة أخرى ذهب إلى مشايعة "ماك غينس" في ترجمته للمصطلح بحالة الأشياء[1].

وفي إطار تحليلنا لهذه الترجمات التي وردت لمصطلح فتغنشتاين المتعلقة بـــ"Sachverhalt" نلمس تباينها الواضح الذي إن دل على شيء فإنما يدل على أن أغلب شراح ودارسي فتغنشتاين قد التبس عليهم الأمر حقيقة، وأصبح كل منهم يحاول معرفة المعنى وراء الكلمة التي قصدها فتغنشتاين ذاته انطلاقًا من اجتهاده الخاص ووصولاً أيضًا إلى غرضه الخاص المتماشي مع اتجاهه في ظل غياب المعنى الحقيقي.

بيد أن هذه الغرابة وهذا الالتباس يزول في اعتقادنا عندما نقرأ رد فتغنشتاين على رسالة راسل التي وجهها إليه والتي أعرب له فيها عن صعوبة فهمه للمصطلحين وبالتالي التفرقة بينهما وطلب منه تفسيرًا لكلاهما. أين نجد أن فتغنشتاين أكد له أن ما قصده بـــ"Sachverhalt" هي التي توازي القضية الأولية في صدقها في حين أن "Tatsache" تقابل المجموع المنطقي لكل القضايا الأولية الصادقة[2].

هكذا وتأسيسًا على ما سبق نستطيع أن نتبين المعنى الذي أراده فتغنشتاين ضمنيًا والذي لم يصرح به علنًا، لذلك سنأخذ بترجمة راسل للمصطلحين لاسيما وأنه لم يعترض عليها لتكون على توافق وذريته المنطقية في التراكتاتوس.

وتبدأ ذرية فتغنشتاين في التراكتاتوس في وضع العالم تحت مجهر التحليل المنطقي والذي ينتهي إلى الوقائع الأولية الذرية[3] والتي عدها أبسط الأشياء، ذلك أن كل واقعة من وقائع العالم تنقسم بدورها إلى وقائع أبسط منها بواسطة التحليل، وصولاً إلى أبسط هذه الوقائع جميعًا وهي الواقعة الذرية باصطلاح راسل والواقعة الأولية باصطلاح فتغنشتاين، والتي هي منتهى التحليل. بيد أن الرسالة تؤكد مرة ثانية أن هذه الواقعة الأولية البسيطة تتكون بدورها من عناصر "Elements"

(1) Pitcher. G : the philosophy of Wittgenstein, New Delhi, 1972, p 3.
(2) Ibid, p 48.
(3) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 2).

أخرى أبسط منها غير قابلة للانقسام "Indivisible" أسماها الأشياء "things " بل وذهب إلى أبعد من ذلك حين اعتبرها تشكل جوهر العالم[1].

وبالعودة إلى الواقعة الأولية نجد فتغنشتاين يعبّر عن اتحاد واقعتين أوليتين بواقعة مركبة والتي تقابل الواقعة الجزئية عند راسل[*]. في حين أن ترابط الأشياء واتحادها بطريقة معينة هو ما يكون واقعة أولية، وهذه الطريقة التي تتشابك بها الأشياء في الواقعة الأولية هي ما يشكل بنية الواقعة الأولية[2] وإمكان قيام هذه البنية هي ما يطلق عليه اسم الصورة "Form"[3] أي صورة الواقعة، على اعتبار أن إمكانية ترابط هذه الأشياء مع بعضها البعض هي ما يشكل الصورة.

ولما كان الواقع الخارجي حافل بالأشياء فعند قولنا: المزهرية فوق المائدة مثلاً فإننا نكون قد عبرنا عن واقعة أولية ارتبطت بموجبها المزهرية بالمائدة عن طريق علاقة "فوق" وهذا ما يشكل البنية.

ومن أبرز الصفات التي تتصف بها الوقائع الأولية عند فتغنشتاين حسب ما أوردته الرسالة هي صفة الاستقلالية عن بعضها البعض وعلى هذا الأساس لا يكون في استطاعتنا استنتاج واقعة أولية من واقعة أولية أخرى، بمعنى أن وجود الواقعة الأولية حسب فتغنشتاين هو وجود مستقل[4].

كما ويذهب فتغنشتاين في إطار حديثه عن الوقائع الأولية إلى تصنيفها في ضربين: وقائع موجبة "Positive" ووقائع سالبة "Negative"، وتشير الرسالة إلى أن الوجود الخارجي هو وجود وعدم وجود الوقائع الموجبة[5]،وعليه يكون حسب فتغنشتاين وجود الواقعة الأولية هو الواقعة الموجبة وعدم وجودها هو الواقعة السالبة، حسب تسمية فتغنشتاين. هذا وقد بيّن "بيتشر" هذه المسألة بطريقة واضحة حينما أشار إلى أن ما قصده فتغنشتاين هو وجود أمر من أمور الوقائع

---

(1) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 2,0211).

(*) للمزيد من الإطلاع على هذا الموضوع، ينظر إلى: مقدمة راسل للرسالة المنطقية الفلسفية لفتغنشتاين المرجع السابق، ص34.

(2) المصدر نفسه، (ق 2,032).

(3) المصدر نفسه، (ق 2,033).

(4) لقد كان لراسل نفس الموقف فيما يخص صفة الاستقلال مما يجعل كل من راسل فتغنشتاين و دعاة الذرية المنطقية عموما يسقطون قانون السببية Causality عن آخره. أنظر فتغنشتاين: الرسالة (ق 5,1361)

(5) المصدر نفسه، (ق 2,06).

مادام أن العالم يشمل كل الوقائع الموجبة –في حالة وجودها–[1] في حين تحتوي الواقعة السالبة على نفس مكونات الواقعة الموجبة منفية (عنصر النفي"Negation" الذي لا يقابله شيء في الواقع أو الوجود الخارجي).

1-3- فكـــرة الشـــيء في الرســـالـــة:

لقد أكدت التراكتاتوس أن ما يسمى "الأشياء" هي ما يشكل جوهر العالم وبواسطة منهج التحليل المعتمد من طرف فتغنشتاين في الرسالة والذي لم يكن سوى تطبيقًا دقيقًا للمنطق الحديث[2]. وصلت تحليلات فتغنشتاين إلى ما يسمى الأشياء التي تشكل جوهر العالم، وعليه فإن فهمنا للأشياء هو الذي سيحدد لنا فهمنا للواقع الذي يقصده فتغنشتاين في نسق الرسالة.

فتغنشتاين وفي تحليله للعالم إلى مكوناته النهائية يرده مباشرة إلى الأشياء في تشكلها "Objects in configuration" وتشكل الأشياء يشكل الوقائع الأولية الذرية[3].

وعليه فلا يمكن للواقعة الأولية أن يكون لها وجودًا ما لم تكن هناك أشياء تعتمد كل منها على الأخرى في علاقة معينة.

وقد أكد فتغنشتاين في موضعين من رسالته على هذه الفكرة حين قال في القضية" 2,011" من الضروري للأشياء أن تكون مكونات ممكنة للوقائع الذرية" وأردف عليها في القضية 2,01 من التراكتاتوس قائلاً: "بأن الواقعة الذرية هي اتحاد الأشياء معًا، هكذا يكون وحسب فتغنشتاين وعكس الوقائع الأولية لا تحوز الأشياء صفة الاستقلالية عن بعضها البعض، وتجدر بنا الإشارة هاهنا إلى مسألة هامة فيما يخص أشياء فتغنشتاين، حيث لا يوجد نص صريح في الرسالة كلها يعطينا مثالاً واحدًا عن هذه الأشياء وهذا ما ولدّ الكثير من الإشكاليات وطرح عديد الأسئلة، من قبيل ما طبيعة أشياء الرسالة؟ وبالنتيجة ما طبيعة قضايا فتغنشتاين الأولية؟".

وستتضح الإجابة على هذه الأسئلة المطروحة في خضم البحث عن المعنى الذي يريد فتغنشتاين تشييده من وراء البحث في مكونات العالم المناظرة لمكونات اللغة[4]، هذا ونسب

---

(1) Pitcher. G : The philosophy of Wittgenstein, Oc. p 47.

(2) نقصد بالمنطق الحديث هنا المنطق الرياضي الذي ذهب إليه كل من فريج وراسل وسار فتغنشتاين في ركابه.

(3) فتغنشتاين: الرسالة ، (ق 2,031).

(4) لإلقاء الضوء على هذه الفكرة يمكن الرجوع إلى جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين،المرجع السابق، ص 137.

فتغنشتاين لأشيائه نوعين من الصفات: داخلية "Internal" وخارجية "External"[1]، حيث الثانية مادية تظهر من خلال دخول الأشياء مع بعضها البعض في علاقات معينة لتشكيل واقعة أولية ما، في حين الأولى صورية تظهر نتيجة إمكانية دخول الشيء في علاقة مع الآخر، وتؤكد الرسالة في هذا الإطار بأن معرفتنا لشيء ما، يعني معرفتنا لجميع إمكانات دخوله في الوقائع الذرية[2].

أما من حيث الأهمية فإن الصفات الداخلية أكثر أهمية من الخارجية بتصريح من الرسالة في القضية 4,123 إذ تقول: "حيث الصفة تكون داخلية إذا كان من غير الممكن للشيء أن لا يمتلكها". وبالموازاة مع ذلك يظهر لنا جليًا أن الأشياء عند فتغنشتاين ليست أشياء لها صورًا[3].

هذا وتتسم أشياء فتغنشتاين بجملة من الميزات الهامة، على غرار البساطة إذ لا يمكن للشيء أن ينحل إلى ما هو أبسط منه ذلك أن "الشيء بسيط"[4] في تقرير الرسالة.

بيد أن البساطة التي يقصدها فتغنشتاين حسب أغلب الباحثين هي بساطة مطلقة[5] لأن الأشياء كما سبق وصرح في موضع ما في الرسالة هي جوهر العالم وعليه فإن بساطة الأشياء مرتبطة بجوهر العالم أو كلاهما مرتبط بالآخر. وعليه فإن بساطة الشيء ليست نابعة من التجربة ولكنها نابعة تبعًا للجوهر من صورة منطقية حيث يقول فتغنشتاين: "يبدو أن فكرة البساطة نجدها من الوهلة الأولى متضمنة في فكرة التركيب وفي فكرة التحليل (...) ونتحقق من وجود الشيء البسيط –قبليًا– كضرورة منطقية!"[6].

---

(1) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 2,0221) (ق 2,0233) (ق 4,023).

(2) المصدر نفسه، (ق 2,123).

(3) الصورة تدل على إمكان الحدوث لا على الحدوث الفعلي نفسه، أو هي التركيبة الرياضية لما يمكن أن يكون موجودًا بالفعل. أنظر عزمي إسلام في شروحاته على الرسالة،المرجع السابق،ص 183.

(4) المصدر نفسه ، (ق 2,02).

(5) محمد توم: المنطق واللغة والواقع– دراسة في فلسفة الذرية المنطقية عند كل من راسل و فتغنشتاين ، دار الأزمنة الحديثة، ط1، 1987، ص 66.

(6) النص أورده جمال حمود: فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين من خلال رسالة منطقية فلسفية، أطروحة دكتوراه دولة في الفلسفة، إشراف مليكة والباني، جامعة قسنطينة قسم الفلسفة، (2006-2007)، ص 143.

إذن وتأسيسًا على ما سبق يكون وجود الأشياء بسيطة ضرورة منطقية لا تمليها التجربة وبالتالي الإمكان أي أن بساطة الأشياء لا علاقة لها بالواقع التجريبي[1] ويواصل فتغنشتاين في هذا الإطار على تأييد هذا الطابع المنطقي عندما يرفع وجودها إلى مستوى قبلي مبعدًا إياها عن الدلالة التجريبية، وفي هذا تنصيص صريح على استبعاد الطرح الاختباري.

وإلى جانب هذه البساطة تتسم أشياء فتغنشتاين أيضًا بالثبات حيث "الشيء هو الثابت وهو الموجود"[2] أي أن في الشيء يتماهى الثبات والموجود على حد تقرير بعض الباحثين[3].

والواقع أن فكرة الثبات عند فتغنشتاين كانت نتيجة منطقية لمصادرة فتغنشتاين القائلة بأن الأشياء هي جوهر العالم وعليه يكون ثبات الأشياء متعلقًا بشكل أو بآخر بجوهر العالم الذي لا يمكن إلا أن يكون ثابتا، وذلك بهدف الوصول إلى النظام الذي قصده فتغنشتاين في العالم المناظر للنظام الكائن في مستوى اللغة انطلاقا من أن الأشياء لا تقبل التغيير ولا تقبل الفناء.

غير أننا ونحن بصدد هذا التحليل وفي موقع آخر من الرسالة نلمس قوله: "الأشياء هي الثابتة والمتقومة بذاتها، أما تشكلها فهو المتغير وغير الثابت" ولنا أن نتساءل في هذا الإطار كيف يمكن التحول من الثبات إلى التغير؟ ومن أين ينشأ التغير أصلاً؟ وتلكم هي من أهم الأسئلة التي ولدت وضعًا محرجًا لمفهوم الشيء في رسالة فتغنشتاين، والتي أبقت كما قال أحد الباحثين وضع الأشياء مفتوحًا[4] ومعرّضا للعديد من التأويلات على غرار مثلا أن ثبات الأشياء إمكان منطقي وتغيرها في تشكلاتها يكون كوقائع فعلية أي أن الشيء ثابت بصفاته الصورية ومتغير بصفاته العرضية ذلك أننا لا نتعرف عليه إلا بطريقة منطقية من خلال صفاته الداخلية.

---

(1) تختلف بساطة أشياء فتغنشتاين عن أشياء راسل ذلك أن بساطة فتغنشتاين مؤسسة على المنطق في حين بساطة أشياء راسل مؤسسة على المعطيات الحسية، وللمزيد من الإطلاع على هذه الفوارق الهامة يمكن الرجوع إلى كتاب راسل:

Russell .B: The philosophy of logical atomism, in logical and knowledge essays, (1901-1950), Allen and Unwin London, 1950.

(2) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 2,0271).

(3) جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين ،المرجع السابق ص 140.

(4) Haller. R : Wittgenstein et le physicalisme, in Wittgenstein et la philosophie aujourd'hui, textes présentés par J. Sebestik et A. Soulez Harmattan, 2001, p 141.

2- تحليـــل اللغـــة:

إن الأهمية المركزية التي احتلتها اللغة عند فتغنشتاين قد برزت بشكل واضح في أفكاره وتحليلاته التي أودعها التراكتاتوس، وبالرغم من الطابع الأنطولوجي الذي ميز نهاية تحليل الرسالة (الوقائع الأولية التي تحتوي على أشياء بسيطة) إلا أن هذه الأنطولوجيا ظلت تنشد الوضوح (بالتعبير الديكارتي) لمعانيها والذي لم يكن عند فتغنشتاين إلا في حدود اللغة التي وجب أن تناظر قضاياها قضايا العالم لضمان أقصى حدود المعنى موازاة مع هدف آخر وهو وضع حد للتحليل.

ولهذا السبب قد لا نستغرب الاهتمام الكبير باللغة في الرسالة بل وتعد اللغة ذاتها الموضوع الرئيسي والقضية المركزية في اختصارات فتغنشتاين التي تخللتها بين الحين والآخر مظاهر أنطولوجيا الرجل (المسكوت عنها)[1].

ويذهب فتغنشتاين في تحليله للغة إلى القول: "اللغة هي مجموع القضايا"[2] وهذه الأخيرة هي التي توضح عملية الفكر[3] مما يجعل تحليل اللغة وارد جدًا إلى أبسط وحداتها على غرار العالم لما وضعناه تحت مجهر التحليل المنطقي رفقة فتغنشتاين فأفرز لنا وقائع انقسمت بدورها إلى وقائع أبسط منها هي الوقائع الأولية والتي تولدت نتيجة اجتماع وارتباط الأشياء بطريقة معينة وبالموازاة مع ذلك فإن اللغة أيضًا تنقسم حسب فتغنشتاين إلى قضايا "Propositions"، وكل قضية من هذه تنحل بدورها إلى ما هو أبسط منها وهي القضية الأولية "Elementary Proposition" تتكون من أسماء "Names"[4] ولنا أن نتساءل في هذا الإطار عن مفهوم اللغة عند فتغنشتاين ووظيفتها من خلال التراكتاتوس؟

2-1- مفهـــوم اللغـــة في الـــرسالـــة:

إنه ليس من الشطط القول أن اللغة قد احتلت دور الريادة والإجماع من طرف فلاسفة التحليل كموضوع رئيسي للبحث الفلسفي بيد أن هذا الإجماع لم يخول لها مطلقًا من أن تكون ذات مفهوم واحد ولم يكفل لها تعريفًا جامعًا مانعًا حول ماهيتها وطبيعتها، إذ لم يتفق فلاسفة

---

(1) سنتناول هذه الفكرة بمزيد من التفصيل في العناصر اللاحقة.

(2) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 4,001).

(3) شريف بركة: مفهوم اللغة في فلسفة لودفيغ فتغنشتاين ، مطبعة تلانتقيت، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 72.

(4) ماهر عبد القادر : فلسفة التحليل المعاصر،المرجع السابق، ص 203.

التحليل عامة على لغة بذاتها تكون الباراديغم الأساسي"paradigm Principle"الذي يسير عليه بحثهم الفلسفي. والأكثر من ذلك قد نجد أن هذا الاتفاق لم يحدث حتى عند الفيلسوف ذاته كما سنرى عند فيلسوفنا، فما المفهوم الذي أعطاه للغة في نسق الرسالة؟

إن الشيء الذي لا يختلف فيه اثنان هو أن هذا الاهتمام البالغ باللغة جعله يتميز بذاته عن باقي فلاسفة التحليل، ذلك أن اللغة عنده ظلت تحمل معنى واحد في سنوات شبابه أو سنين هرمه مؤداه أنها الفكر، إذ لا يفصل بينهما مطلقا بل والأكثر من ذلك أنه يجعل منهما شيئًا واحدًا، وفي هذا الإطار قد يتفق مفكرون عدة يرون أن هناك علاقة وطيدة ووثيقة بين عملية التفكير والصياغة اللفظية، ذلك أن اللغة هي التي تساعد على ترجمة الصور الفكرية الغامضة ثم صياغتها في عبارات واضحة[1] وعليه باللغة فقط نستطيع التعبير عن الفكر.

وهذا بالتحديد ما ذهب إليه فتغنشتاين ذاته في مقدمة كتابه التراكتاتوس أين قال: "هذا الكتاب يستهدف إقامة حد للتفكير، أو على الأصح لا يستهدف إقامة حد للتفكير بل للتعبير عن الأفكار ذلك لأننا لكي نقيم حدًا للتفكير يلزم أن نجد جانبي ذلك الحد كليهما مما يجوز التفكير فيه (...) ولذا فإن هذا الحد يمكن أن يوضع فقط بالنسبة للغة، أما ما يكون في الجانب من ذلك الحد فسيعد ببساطة شيئًا لا معنى له"[2] ويستطرد فتغنشتاين تأكيدًا على ذلك فيما نصه "اللغة هي مجموع القضايا"[3] وما "الفكر إلا القضية ذات المعنى"[4] وبذلك لا تعدو القضايا اللغوية إلا أن تكون أفكارًا في ذهن الإنسان لاسيما إذا علمنا أن أفكارها ذاتها هي "فكرة حين نطبقها ونحلل مضمونها"[5].

هذا ولما كانت القضية عبارة عن قول يفيد معنى أو يخبر بخبر يحتمل الصدق أو الكذب كانت واستنادًا لما ذكر سابقًا هي مجموع الأقوال التي تنقل إلينا معنى جديدًا يمكن أن نحكم عليه

---

(1) أحمد أبو زيد: في اللغة والفكر، عالم الفكر، ج16، ع4، مطبعة حكومة الكويت، مارس 1986، ص 871.

(2) فتغنشتاين : الرسالة، ص 59.

(3) المصدر نفسه، (ق 4,001).

(4) المصدر نفسه، (ق 4).

(5) المصدر نفسه، (ق 3,5).

إما بالصدق أو الكذب[1] ولذلك يستبعد المنطق من بحثه الجمل الإنشائية من أمرٍ ونهي واستفهام وما إلى ذلك[2].

وإذا كانت القضية هي المعنى أو الفكر القائم في الذهن والذي يتم التعبير عنه بواسطة ألفاظ اللغة، فإن العلاقة بين الفكر واللغة وثيقة الوشائج، ولا نملك إزاءها إلا التسليم رفقة ما قاله شيلر يومًا بأن اللغة والفكر وجهين لعملة واحدة، ويبدو أن فتغنشتاين قد نقب عن هذه العملة بوجهيها منذ زمن بعيد وبحث في ماهيتها متجاوزًا كل الأطر القديمة والجديدة منها والتي كان لها أتباعًا ومريدين حين حرص على التأكيد على أن الفكر ما هو إلا قضية ذات معنى[3].

وعليه وانطلاقًا مما سبق نستطيع القول أن فتغنشتاين قد ولّى وجهه شطر اللغة في فلسفته بل ووجه وكل اهتمامه لفهم جوهرها معتمدًا في ذلك على منهج التحليل الذي وإن كان في نظره لا يوجد شيئًا جديدًا بقدر ما هو توضيح لما هو موجود لأن "مهمة الفلسفة هي توضيح الأفكار وعليه فهي ليست نظرية بل فاعلية"[4].

وفي هذا السياق نتساءل: مادام أننا وصلنا مع فتغنشتاين إلى التسليم بتماهي اللغة والفكر عما إذا كان يوافق على أن تكون وظيفة اللغة كأداة للتعبير ووسيلة الإنسان في تفاهمه مع الآخرين أم أنه يعطي للغة وظيفة أخرى؟

- **وظيفـــة اللغـــة:**

دائمًا وفي إطار التراكتاتوس نتتبع في ثناياها وظيفة اللغة بأنها تصوير للواقع الخارجي "فالقضية رسم للوجود الخارجي"[5] وبهذا تكون تعبيرًا عن الواقع الخارجي يختلف صدقه وكذبه على المطابقة وعدمها مع هذا الوجود الخارجي ذلك وأننا طبقا للبند (ق4,06) القائل بأن "القضية يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة بكونها رسمًا للوجود الخارجي" عاجزين عن الحكم عن قضية ما بالصدق أو الكذب إلا إذا تطابق صدقها أو كذبها مع الواقع.

---

(1) محمود فهمي زيدان: الاستقراء والمنهج العلمي، دار الجامعات المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 18.

(2) محمد فتحي الشنيطي: أسس المنطق والمنهج العلمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ط، د.ت، ص 31.

(3) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 4).

(4) مشهد سعيد العلاف: بناء المفاهيم بين العلم والمنطق، دار الجيل-بيروت، دار عمار-لبنان، ط1، 1991، ص 110.

(5) المصدر نفسه ، (ق 4,01).

وبما أن اللغة في فلسفة الرسالة ما هي إلا رسم للوجود الخارجي فإن هذه الفكرة تتفق تمامًا مع فكرته في التوازي الذي يجب أن يتحقق ما بين اللغة من جانب والعالم (الوجود الخارجي) من جانب آخر، فكما أن اللغة تنحل إلى قضايا فكذلك العالم ينحل إلى وقائع[1].

وعليه فإن وظيفة اللغة الأساسية أن تكون على صلة بالوقائع فالخريطة مثلاً تنقل إلينا بوضوح نبأ عن الواقع صحيح أو غير صحيح، فإذا كان النبأ صحيحًا فإن هذا يرجع إلى أن هناك تشابها في البناء بين الخريطة والمنطقة التي نُعنى بتصويرها. وقد كان فتغنشتاين يرى بأن الشيء نفسه يصدق على الجملة التي تحكي عن الواقع فعلى سبيل المثال أنك إذا استخدمت الرمز (أ ع ب) لتصف به واقعة، معناه أن لـــ "أ" العلاقة ع مع "ب" فإن رمزك لا يستطيع أن يؤدي هذا الوصف إلا لأنه يقيم بين "أ" و"ب" في القضية علاقة تمثل العلاقة القائمة بين "أ" و"ب" في الواقع[2].

وبهذه الكيفية وعلى هذا المنوال أقر فتغنشتاين وظيفة تصويرية للغة لا تعدو أن تكون إلا تقرير الواقع وتصوير للعالم الخارجي، وقد خولت التراكتاتوس لنفسها هذه المهمة بل وجعلتها من أهم بنود بناء لغة فنية ترقى بسماتها وخصائصها إلى ميدان الرمزية مع ما في تلك الرمزية من اختلاف وتباين بين دعاتها، ونقصد هنا تحديدًا الخط الفكري المتمثل في الثنائي فريج "Frege" وراسل، إذ تختلف لغة فتغنشتاين التراكتاتوس عن لغتي فريج الرمزية وراسل الكاملة منطقيا[3].

2-2- القضـــايـــا في الـــرسالـــة:

القضية حسب اختصار فتغنشتاين في الفقرة "4,01" هي صورة الحقيقة إذ تنتقل الحقيقة كما نتصورها، واتضح هذا المعنى أكثر في الفقرة "4,022" القائلة بأن القضية تظهر معناها.

---

(1) عزمي إسلام: لودفيغ فتغنشتاين ، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 156.

(2) برتراند راسل: فلسفتي كيف تطورت، ترجمة عبد الرشيد الصادق، مراجعة زكي نجيب محمود، مطبعة البيان العربي، ط1، 1960، ص 137.

(3) هذا الاختلاف لا يمكن لمحه إلا بعد الدراسة الجادة لنصوص الرسالة والتي جاءت تطبيقًا جيدًا للذرية المنطقية، ومن أبرز ما تختلف فيه لغة فتغنشتاين التراكتاتوس عن رمزية فريج "Frege"ولغة راسل الكاملة منطقيًا أنها لغة رمزية خاصة نلجأ إليها في حالات خاصة واستثنائية والتي يكون فيها خطابنا مهددًا باللامعنى، بمعنى اعتراف الرسالة بدور ما للغة العادية عكس لغتي فريج وراسل اللتان تسقطانها من حساباتها. أنظر: جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين،المرجع السابق،ص ص 253-266.

ولنا أن نتساءل في هذا الإطار عن أية حقيقة يتصور فتغنشتاين؟ وإن وجدت فكيف لنا أن نحدد معناها؟

في الواقع إنه من التعسف القول بإمكانية الإجابة عن هكذا أسئلة لأن ذلك لا يتطلب فقط الإلمام بما كان يقصده فتغنشتاين بتحليله للغة ولكن أيضًا بنوع هذه اللغة والتي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمنطق والرياضيات. لذلك فقد لا نجد غرابة في موافقة فتغنشتاين لفريج في مفهومه للقضية باعتبارها الوحدة الأساسية للمعنى. وبالتأكيد فإن ما يقصده فتغنشتاين بالقضية كوحدة أساسية للمعنى هي القضية الأولية.

وفي هذا الإطار فقد قام فتغنشتاين بتصنيف للقضايا وفقًا لتحليلاته المختلفة أين قام بتمييزها أو تصنيفها من حيث الكم إلى قسمين:

1- قضايا لها علاقة بواقعة أولية واحدة:

وهذا النوع هو القضايا الأولية باصطلاح فتغنشتاين والتي يمكن مقارنتها بالوجود الخارجي مباشرة وعليه يكون صدقها أو كذبها مرهون بمدى تصويرها لحالة الأشياء في الوقائع الأولية التي تصورها[1].

2- قضايا تتعلق بأكثر من واقعة أولية واحدة:

وهذه بدورها نوعان:

أ- قضايا مركبة"Composite proposition": تتكون من قضيتين أو أكثر.

ب- قضايا التعميم "General proposition": مثل قولنا: الإنسان مفكر، وهي بالنسبة لفتغنشتاين أقرب إلى دالات صدق للقضايا الأولية، ذلك لأن صدقها أو كذبها يتوقف على صدق أو كذب القضايا الأولية المكونة لها[2].

في حين تكون القضايا المنطقية قضايا تحليلية تعرف على نحو قبلي وتبتعد في هذه الخاصية عن القضايا التجريبية[3].

---

(1) هذا النوع من القضايا سنتناوله بمزيد من التفصيل في معرض تحليلنا للغة عند فتغنشتاين.

(2) عزمي إسلام: فتغنشتاين وفلسفة التحليل، عالم الفكر، ج3، ع4، مطبعة حكومة الكويت، مارس 1973، ص 240.

(3) محمود فهمي زيدان : المنطق الرمزي نشأته وتطوره، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص 193.

وفي حديثه عن معنى القضية فإن فتغنشتاين يرى أنها مقطوعة الصلة بمفهومها، وبالتالي فهي غير مقضي فيها بشيء بحيث أنها لا تحمل حكمًا، ثم إنها لا توجد علاقة بين ألفاظها، ولهذه الأسباب ستكون القضية عنده وجود منطقي يحمل مغزى، إنها ببساطة سهم أو مؤشر[1].

ومادامت اللغة هي جملة قضايا فإن فهم هذه القضايا يعني معرفة كيف يكون الحال عندما تكون صادقة (نستطيع إذن فهمها دون معرفة ما إذا كانت صادقة) وعلى هذا الأساس يتبلور السؤال الهام حول ما إذا كان فهم قضية ما لا يتعلق ضرورة بمعرفة صدقها أم أن معرفة صدقها ضروري لفهمها؟

غير أن فتغنشتاين في الواقع يبعدنا عن هذا الإحراج بتحليل فهم معنى القضايا المركبة الذي أعاده إلى فهم القضايا الأولية الذرية المكونة لها، ومن ثم فإن معرفة ما إذا كانت صادقة يكون عندما نعرف قيم الحقيقة التي تخص القضايا الأولية الذرية[2].

وعليه فإن معنى القضايا حسب فتغنشتاين مستقل عن كونها صادقة أو كونها كاذبة، حيث يقول في هذا الصدد وفي الفقرة (4,024) من اختصاراته بأن فهم معنى قضية ما هو أن نعرف ما هنالك إذا كانت صادقة (...) ولذا يمكننا أن نفهم القضية بدون أن نعرف ما إذا كانت صادقة أم لا؟.

والأكثر من ذلك إذا عرفنا معنى قضية ما فإننا لسنا إطلاقًا في حاجة إلى البرهان عليه حيث صرّح في القضية (4,064) بقوله: "كل قضية يجب أن تكون ذات معنى بالفعل، فإثباتها لا يضيف لها معنًا، لأن ما تثبته هو معناها نفسه، وإن هذا ليصدق كذلك على حالة النفي" ولا يلبث أن يضيف في (ق 4,022)، تأكيدًا لما أراد من إثباته من قبل من أن القضية تظهر معناها وأنها تظهر لنا كيف توجد الأشياء إذا كانت صادقة.

وفي هذا السياق، ومن هذه الزاوية صنف فتغنشتاين القضايا تصنيفًا ثانيًا على أساس الصدق والكذب إلى ثلاثة أنواع من القضايا هي على التوالي:

---

(1) يحي هويدي: الفلسفة الوضعية المنطقية في الميزان، في فلسفة علم المنطق، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، 1971، ص 120.

(2) Grahame .L: Wittgenstein Philosophie Logique Thérapeutique, traduit de l'anglais par Jeanne Balibar, Philippe Mangeot, PUF, 1er ed, 1992, pp 69,70.

1- قضايـــا تحصيـــل الحاصـــل:

هذا النوع من القضايا صادق في جميع الظروف أي أنها قضايا صادقة صدقًا أوليًا وهو صدق غير مشروط[1] وعليه فإنه ليس لتحصيل الحاصل شروطا لأنها لا تقول شيئًا على الإطلاق[2] بالاستناد إلى صدقها اليقيني[3] ويمثلها فتغنشتاين بقضايا الرياضيات والمنطق ومن الأولى نمثل القضية التالية:

2 + 2 = 4 ومن الثانية قانون الهوية "زيد هو زيد" أو (ق ∪ –ق). هذا وتجدر الإشارة في هذه الأثناء إلى أن فتغنشتاين أول من استخدم اصطلاح تحصيل الحاصل "Toutology" ودعا إلى استعماله[4].

2- قضايـــا التناقـــض:

هذا النوع من القضايا كاذب دومًا، وفي جميع الحالات من قبيل قولي "زيد ليس هو زيد" أو –(ق ∪ –ق)، "فصدق التناقض مستحيل"[5] في نسق الرسالة.

3- القضايـــا التركيبيـــة:

وهي ثالث أنواع القضايا تتصف بأنها احتمالية وصدقها وكذبها مرهون بالواقع الخارجي وهي بالنسبة لفتغنشتاين القضايا التجريبية[6] من قبيل: الحديد يتمدد بالحرارة.

ولذا كان هذا هو السياق العام الذي جاءت فيه القضايا وتصنيفاتها المختلفة عند فتغنشتاين فإن ذلك لم يكن سوى تمهيدًا للولوج إلى ما أسماه القضية الأولية باعتبارها الآلية الأساسية لضمان المعنى المنشود في نسق الرسالة. فما مفهومه للقضايا الأولية؟ وما أبرز الخصائص التي خصها بها فتغنشتاين؟

---

(1) عزمي إسلام: أسس المنطق الرمزي، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، د.ط، 1970، ص 233.

(2) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 4,461).

(3) المصدر نفسه، (ق 4,464).

(4) محمد محمد مدين: فتغنشتاين المبكر في الموسوعة الفلسفية، إشراف معن زيادة، معهد الإنماء العربي، بيروت، ج1، ص 297.

(5) المصدر نفسه ، (ق 4,464).

(6) عزمي إسلام: فتغنشتاين ، سلسلة نوابغ الفكر الغربي، مرجع سابق ، ص 197.

2-3- القضيـــة الأوليـــة وخصائصهـــا:

1-القضيـــة الأوليـــة:

تبدو النظرة الذرة المنطقية عند فتغنشتاين جلية من خلال تحليله للغة وإنهاء هذا التحليل عند القضية الأولية، وتتحدد هذه النزعة أكثر من خلال اقترابنا من مفهومه لها، وتحليلها على النحو الذي يجعلها أبسط وحدات اللغة باعتبارها نقطة نهاية عملية التحليل.

لقد ذهب عزمي إسلام في كتابه عن فتغنشتاين إلى الإشارة عن تعدد الزوايا والرؤى التي تناول بها فتغنشتاين معنى القضية وقد صرح فتغنشتاين في رسالته وتحديدًا في القضية (ق 4,221) قائلا: "في تحليل القضايا لابد لنا أن نصل إلى القضايا الأولية" وبهذا المعنى يكون فتغنشتاين قد وضع فعلاً حدًا لعملية التحليل لما جعلها تنتهي عند أبسط القضايا، ولاشك أن هذه الميزة ستجعل من هذه القضايا محط اهتمام بالغ عند الفيلسوف على غرار ما فعله مع الوقائع الأولية التي تناظر أنطولوجيًا ومنطقيًا القضايا الأولية. وعلى هذا الأساس كان تقرير وجود قضايا أولية، تلك القضايا التي تدين بمعناها وصدقها لا إلى علاقاتها بقضايا أخرى، بل لعلاقتها بالعالم[1].

وبهذا المنظار قد لا يجانب فتغنشتاين الصواب في اعتبارها المصدر الوحيد للصدق والكذب في اللغة لأنها ببساطة الوحيدة التي يمكننا مقارنتها بالواقع في عرف فتغنشتاين. بيد أن هذه المقارنة لا تجعلها مطلقًا حدودًا سمعية أو بصرية للوقائع، ذلك لأنه لما يصرح فتغنشتاين بأن القضية هي صورة للواقعة يجب أن يفهم على أنها صورة منطقية لا واقعية للواقعة[2].

وتزداد صعوبة تحديد ما قصده فتغنشتاين بالقضية الأولية من مواقفه الغامضة بخصوصها، لاسيما وأن كل دفاتر الرسالة لا نجد فيها مثالاً واحدًا يعمل على توضيحها تمامًا مثلما فعله مع الوقائع الأولية، أين سلمّ بوجودها لحاجة منطقية لغوية، ولعلّ من أبرز مبررات هذا التسليم وهذه المصادرة هو الوصول وبطريقة موضوعية بالتحليل إلى حدٍ نهائي، حيث تحلل كل القضايا إلى ما

---

(1) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، مكتبة مصر، د.ط، د.ت، ص 240.

(2) بالنظر للنسق المنطقي المتبنى في الرسالة، في إطار الذرية المنطقية.

هو أبسط منها، وصولاً إلى أبسط وحدات اللغة وهي القضية الأولية التي لا تنحل إلى قضايا أكثر أساسية منها على نحو ما تحتوي الواقعة الذرية على وقائع أكثر بساطة[1].

بمعنى أنها أبسط ما يتوصل إليه التحليل رغم كونها تتكون من أسماء لا معنى لها، بل وهي آخر ما له معنى يمكن أن تنحل إليه اللغة، وعلى هذا الأساس تكون القضية الأولية هي صورة تامة التحليل أو أقصى حد التحليل من وجهة نظر التراكتاتوس تجمع بين الأسماء.

إن حقيقة أن يكون للتحليل حد هي حقيقة في الواقع فرضها التحليل ذاته ذلك أن الحديث عن لا نهاية للتحليل غير ممكن على الإطلاق إذ يكون ذلك كمن يدور في حلقة مفرغة أو كمن يدور حول نفسه. ثم أن المضي بالتحليل إلى أبعد من صورة القضية الأولية يفقد القضية ذاتها نظامها المنطقي فضلاً على أنها تفقد الأسماء دلالاتها[2].

وعليه و تأسيسا على ما تقدم نستطيع القول أن البحث عن المعنى التام في اللغة لا يجب أن يكون خارج القضية الأولية، ثم أن المحافظة على مصدر هذا المعنى لا يتم إلا من خلال الحفاظ على الصورة المنطقية للقضية الأولية كوحدة أساسية للمعنى وأقصى حدود التحليل، خصوصًا وأنها حسب فتغنشتاين الوحيدة التي تفتح المجال أمام إمكانية التحقيق[3](*).

وبهذا المعنى قد لا نجانب الصواب إذا اعتبرناها الضمان الأساسي بل والوحيد للمعنى وكذا الصدق في الرسالة، ذلك أن الأسماء وهي المكونات الأساسية للقضايا الأولية لا معنى لها بل ولا تدل مطلقًا على أشياء إلا في سياق القضية الأولية موازاة مع القضايا المركبة والتي يتوقف معناها وصدقها حصريًا على القضية الأولية المكونة لها، تلك التي اعتبرها "جيلبرت أوتوا G. Hottois" مطلبًا لتحليل أولي من أجل فهم دالة الصدق[4].

---

(1) عبد الفتاح الديدي : الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ط، د.ت، ص ص 271-272.

(2) جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين،المرجع السابق ،ص 153.

(3) Guiness. Mc: Wittgenstein et le cercle de vienne, in visages de Wittgenstein, sous la direction de R.B Quillot, Bouchesne, 1995, p 231.

(*) مبدأ التحقيق هو من أهم مبادئ الوضعية المنطقية والتي نسبته إلى فتغنشتاين وادعت أنها استلهمته منه والذي ينص على ما يلي أن "معنى القضية هو تحقيقها تحقيقًا تجريبيًا مباشر أو غير مباشر". أنظر: محمود زيدان: مناهج البحث الفلسفي، دار الأحمد البصيري، بيروت، د.ط، د.ت، ص 84.

(4) Hottois .G: La philosophie du langage de Wittgenstein, édition de l'université de Bruxelles, 1976, p 19.

وانطلاقا مما سبق ندرك الأهمية التي تكتسيها القضية الأولية بالنسبة لفتغنشتاين كضمان وحيد ونموذج أوحد ونهائي لعملية التحليل.

هذا وقد حرص فتغنشتاين على تميز القضايا الأولية عن غيرها من القضايا على تخصيصها بجملة من السمات والميزات حتى تكون معيارًا حقيقيًا للمعنى نستطيع حصرها في خاصيتين أساسيتين هما الإيجاب والاستقلال.

2- خصـــائص القضيـــة الأوليـــة:

إن القضايا الأولية جميعها موجبة ومستقلة عن بعضها ولا يمكن أن نستدل على قضية أولية من قضية أولية أخرى هكذا استهل فتغنشتاين حديثه عن مميزات القضية الأولية حيث أول هذه المميزات هي:

1- الإيجـــاب: إن جميع القضايا الأولية موجبة في عرف فتغنشتاين وإيجابها دائم، إذ تقول التراكتاتوس أن لا وجود لقضايا أولية سالبة[1]. وقد رأينا سالفًا في تحليلنا للعالم عند فتغنشتاين أن الذي يجعل القضية أو القضايا الأولية صادقة أو كاذبة إنما هو وجود أو عدم وجود الواقعة أو الوقائع الأولية بناءً على نظرية الرسم المنطقي[2] المقابلة لتلك القضية في الواقع الخارجي[3].

وبما أن الواقعة الأولية حسب أنسكومب لا يمكن أن تكون موجبة فقط وإنما موجبة دائمًا[4]، ولما كانت القضية الأولية تمثل القضية الأولية الموجبة فإن هذه الأخيرة لا يمكن أن تكون إلا موجبة بل وموجبة دائمًا.

2-الاستقـــلال: إن القضية الأولية مستقلة بقطبي صدقها وكذبها من باقي القضايا، ذلك أنه لما كانت الواقعة الأولية مستقلة عن ما دونها من الوقائع ولما كانت القضية الأولية هي رسم لها في الواقع الخارجي استنادًا لما قالته الرسالة في هذا الصدد أين أكدت أن كل قضية لها معنى (...) صادقة أو كاذبة هي رسم للواقع الخارجي[5] فإنها ستكون حتمًا مستقلة صدقًا أو كذبًا عن

---

(1) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 5,134).

(2) سنتطرق إلى هذه النظرية بنوع من التفصيل في المبحث التالي.

(3) لا يحتوي الواقع الخارجي إلا على وقائع موجبة كما رأينا سالفًا وعدم وجود هذه الوقائع هو ما يسمى الوقائع السالبة، لذلك تكون القضية صادقة إذا وجدت الواقعة الأولية التي تمثلها في العالم الخارجي بينما تكون كاذبة إذا لم تكن الواقعة موجودة.

(4) Anscombe. G.L.M : An introduction to Wittgenstein tractatus, Oc. p 33.

(5) المصدر نفسه، (ق 2,223).

القضايا الأولية الأخرى، لأن صدقها أو كذبها يقارن بالواقع الخاص بها، لا بمدى ارتباطها بغيرها من القضايا من جهة ولا بمكوناتها من الأسماء من جهة ثانية. ذلك لأن علاقتها بهذه الأخيرة تختلف شكلا ومضمونًا عن مدى استقلاليتها. ولنا أن نتساءل في هذا الصدد عن نوع علاقة القضايا الأولية بالأسماء؟

2-4- مفهـــوم الأسمـــاء في الرسالـــة:

تمثل الأسماء آخر خطوة للتحليل اللغوي ذلك أنها آخر شيء في عملية التحليل له دلالة، فبالرغم من أن القضية هي الحد النهائي لعملية التحليل تحمل معنى إلا أنها تتكون من الأسماء، حيث يتم التعبير عنها بألفاظ. لذلك نتلمس الدور الهام للأسماء في ظل استعمال خاص ومفهوم محدد.

تعد القضية الأولية -كما سبق ورأينا- القالب اللغوي المعبِّر عن وجود الواقعة الأولية الذرية في العالم الخارجي حيث ترتبط في هذا القالب اللغوي الأسماء بطريقة معينة، بحيث يكون كل اسم معبِّر عن شيء من الأشياء الموجودة في العالم[1] وبذلك تكتمل ثنائيات التراكتاتوس التحليلية والتي نمثلها بالشكل التالي:

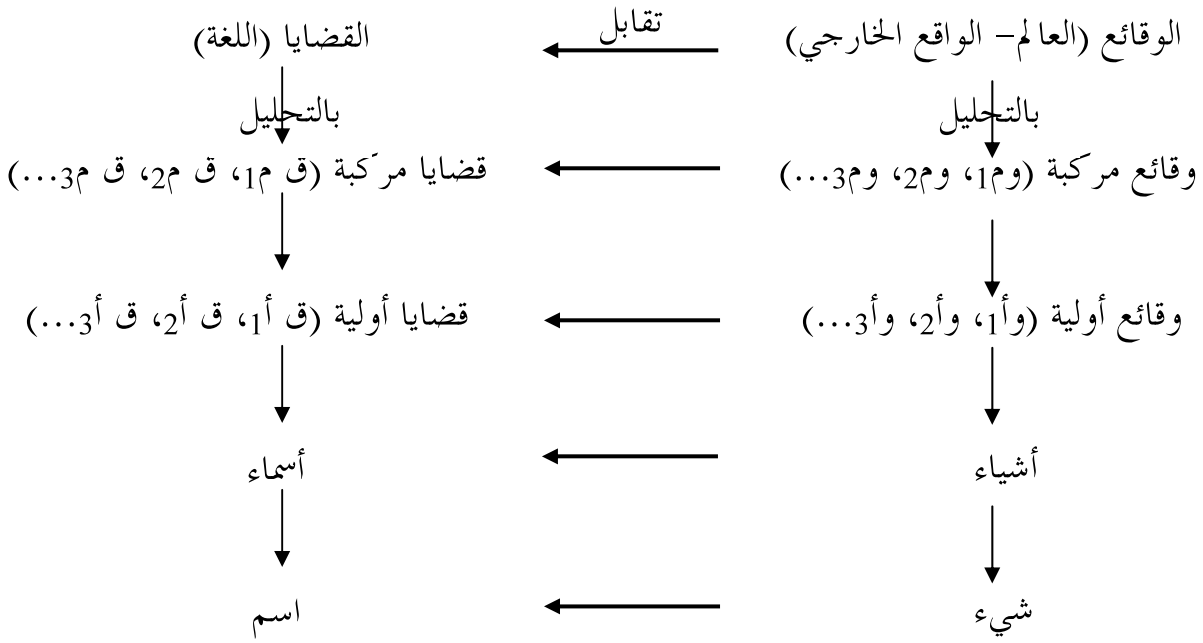

[1] ماهر عبد القادر: فلسفة التحليل المعاصر،مرجع سابق، ص 255.

هذا ولما كانت الأسماء معبّرة عن الأشياء، فإن هذا التعبير لا يكتسب معناه، إلا بوجوده في قضية، أي أن الاسم لا يدل "De note" على الشيء الموجود في العالم الخارجي ما لم يوجد في سياق له معنًى. وغير ذلك سيكون ضربًا من اللامعنى إذ المجموعة من الأسماء المفككة لا تعني أي معنى. ولعلّ هذا الذي يقف وراء تشبيه فتغنشتاين للأسماء بالنقاط في حين يشبه القضايا بالسِّهام[1].

وفي هذا السياق أيضًا يشبِّه فتغنشتاين ترابط الأسماء بالنغمات الموسيقية والمجموعة من الأسماء المفككة ليس لها أي معنى ولعلّ هذا ما يمثل خصوصية وتحديدًا أكثر دقة للاسم الذي يقصده فتغنشتاين[2] والذي أشار إليه "جلبرت أوتوا" عندما اعتبر أن الاسم عند فتغنشتاين لا إحالة ولا دلالة له خارج القضية[3].

وفي جانب آخر يعتبر فتغنشتاين الاسم علامة أولية لأننا لا يمكننا تحليل الاسم إلى ما هو أبسط منه[4] ذلك أن كلمة مربع مثلاً حسب "بيتشر" لا تعتبر اسمًا من الأسماء التي يقصدها فتغنشتاين[5]، لأنه ببساطة كلمة مربع يمكن تعريفها التعريف التالي: "المربع شكل هندسي ذو أربعة أضلاع متساوية الطول"[6] وفي هذا السياق نجد أنفسنا نتساءل عن أية أسماء يقصد فتغنشتاين؟

إن فتغنشتاين يقصد بأسمائه أسماء الأعلام "Proper names" والتي يقبلها على أنها أوصاف محددة مختصرة[7]. لكن هذا لا يجب أن يفهم على أنه يتفق مع راسل تمام الاتفاق في ما قصده بالوصف المحدد "Definite Description". ولنا أن نورد بعض الاختلافات بين أسماء الرجلين عن النحو التالي:

* بينما تسمي أسماء الرسالة أشياء تصف أوصاف راسل أحداثًا.

* الرسالة تسمي أسماءً بسيطة في حين تكون الأوصاف التي يقصدها راسل مركبة.

---

(1) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 3,144).

(2) شريف بركة: مفهوم اللغة في فلسفة فتغنشتاين ، المرجع السابق ،ص 94.

(3) Hottois .G: La philosophie du langage de Wittgenstein, Oc , p 21.

(4) المرجع نفسه، ص 94.

(5) المصدر نفسه، (ق 3,26).

(6) Pitcher. G: The philosophy of Wittgenstein, Oc, p 31.

(7) ماهر عبد القادر: فلسفة التحليل المعاصر، المرجع السابق ، ص 257.

* أسماء الرسالة لها دلالة وليس لها معنى من جهة وبهذه الخصوصية تختلف عن أوصاف راسل التي لها معنى من جهة وعن أسماء فريج[1] التي تحوز على المعنى والدلالة معًا[2].

وفي جانب آخر يشير فتغنشتاين إلى مسألة هامة وهي مسألة العلامات وعلاقتها بالأسماء فقد صرّح في الرسالة في القضية (ق 3,203) أن العلامات هي الأسماء بيد أنه يعود ويقول أن الاسم علامة أولية[3] أو بسيطة وعليه تكون علامة القضية أكثر تركيبًا من العلامة الأولية إذ تتكون من مجموعة علامات بعضها يمثل الكلمات الشيئية وهي ترمز إلى أشياء، وبعضها الآخر عبارة عن الألفاظ العلاقية أو البدائية، وتستعمل في الربط بين الكلمات الشيئية، فعندما يكون لدينا المثال التالي "المزهرية فوق الطاولة" نجد أن كلاً من كلمة مزهرية وكذا الطاولة لهما ما تشيران إليهما في الواقع. أما كلمة "فوق" فليس لها ما تصدق عليه في الواقع ولكنها تعبر فقط عن العلاقة التي تربط بين الأشياء بمعنى أن القضية أساسها هو الألفاظ الشيئية المعبّرة عن الأشياء، أما بنيتها فتقوم على الألفاظ العلاقية أو البنائية[4] ذلك أن فتغنشتاين قال في هذا الصدد: "القضية الأولية تتكون من أسماء إنها ارتباط أو تسلسل بين أسماء"[5] وزاد عليه بقوله: "سأسمي العلاقة التي أعبِّر بها عن الفكر بعلامة القضية، وبهذا تكون القضية هي علامة قضوية من حيث مسايرتها للعالم"[6].

ولما كانت الأسماء عند فتغنشتاين علامات بسيطة على الأرجح نجد أن الأسماء مثل "كتاب" وكذا "أفلاطون" ليست حقيقية، وبمعنى أكثر وضوحًا هي أسماء ليست بسيطة وإنما هي أسماء مركبة، في حين الاسم الحقيقي هو الرمز[7] حيث يقول في هذا الصدد: "الأسماء هي الرموز البسيطة وأنا أشير إليها بواسطة الحروف المفردة (س، ص، ط)"[8].

---

(1) Marconi. D: La philosophie du langage au xx siècle, Oc , p 40.

(2) للمزيد من الإيضاحات حول هذه المسألة يمكن الرجوع إلى: جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين من خلال رسالة منطقية فلسفية، الفصل الخامس، مرجع سابق، ص 168.

(3) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 3,26).

(4) عزمي إسلام: فتغنشتاين ومسألة التحليل، مرجع سابق، ص 245.

(5) المصدر نفسه ، (ق 4,22).

(6) المصدر نفسه، (ق 3,12).

(7) الرمز هو دائما جزء من قضية يعمل على إبراز معناها، وقد نجد فتغنشتاين يستعمل أحيانا كلمة تعبير بدلاً من الرمز. أنظر: عزمي إسلام في شروحاته على الرسالة ، مرجع سابق، ص 180.

(8) المصدر نفسه ، (ق 4,24).

ونجده في موضع آخر يفرق بين الرمز، وبين الاسم بوصفه علامة أولية بسيطة حين قال في (ق 3,31) بأن "كل جزء من أجزاء قضية ما يحدد معناها سأسميه تعبيرًا أو رمزًا والقضية نفسها عبارة عن تعبير" أما العلامة فهي جزء من الرمز المدرك بواسطة الحواس، لذلك قد يتضمن –كما أشار إلى ذلك فتغنشتاين– رمزان مختلفان علامة واحدة مشتركة[1].

وإذا كانت العلامات البسيطة المستخدمة في القضايا هي ما يدعوه فتغنشتاين بالأسماء حسب (ق 3,202) فإن القضية بهذا المعنى يمكن التعبير عنها بالرمز، وتحديدًا يكون الرمز هو الجزء الذي يحدد معنى القضية بمعنى أكثر دقة.

وإذا كانت القضية تتكون من علامات مختلفة فالرمز يتكون من علامات مختلفة أيضًا، ولما كان الرمز يعبّر في القضية، ولما كانت العلامة هي الاسم فإنه بذلك يكون الاسم جزء من الرمز، ولذلك يكون الرمز أعم من الاسم مع الأخذ بعين الاعتبار أن العلامة إنما تدرك بالحواس في حين يكون إدراك الرمز بإدراك العلامة.

وإلى جانب هذه التفرقة هناك تفرقة هامة لا تقل أهمية بين اسم العلم والاسم الكلي عند فتغنشتاين ذلك أن هذا الأخير ليس له ما يصدق عليه، بينما اسم العلم أكثر وضوحًا وأكثر دلالة من الاسم الكلي الذي يوقعنا في التزييف، وفي هذا يقول فتغنشتاين ما نصه: "وعلى ذلك فاسم المتغير س [أي المعنى الكلي س] هو بمثابة الاسم الذي يشير إلى تصور زائف [حين يقصد به] شيء مفرد (...) فلا نستطيع أن نقول مثلاً إن هناك أشياء موجودة على غرار ما نقول هناك "كتب" ولا أن نقول هناك 100 شيء أو هناك ما لا نهاية له من الأشياء"[2].

وفي موضوع الأسماء دائما طرح فتغنشتاين مسألة هامة جدًا عن أصل اللغة لما صرّح بأن العلامة هي شيء اتفاقي بطبيعتها إذ في استطاعتنا اختيار بدل العلامة الواحدة علامتين مختلفتين[3]. وبهذا يكون فتغنشتاين من خلال معالجته لمفهوم الأسماء قد أعاد إلى الأذهان الطرح النيوكلاسيكي –إن صح التعبير– عن أصل اللغة بين كونها وقفية أو تواضعية اصطلاحية، حيث نتبين موقفه في إطار القضية السالفة الذكر بوضوح من خلال تبنّيه الطرح الدوسوسيري على اعتبار اللغة

---

(1) فتغنشتاين: الرسالة ، (ق 3,31).

(2) المصدر نفسه، (ق 4,1272).

(3) المصدر نفسه ، (ق 3,322).

اصطلاح واختيار والناس تواضعوا على أسماء وعلامات معينة وساروا على دربها حتى أصبحت تعرف كذلك بمرور الزمن. ويدعم فتغنشتاين هذا الموقف أكثر حينما فنّد وجود علاقة ضرورية بين الاسم والمسمى –خارج إطار الواقع– في اختصاره الشهير القائل "الاسم يعني الشيء والشيء هو معناه"[1]. فالاسم لا معنى له إلا إذا كان له مدلول في الواقع، ثم إن الاسم يكتسب معناه في ترابطه مع غيره من الأسماء في سياق قضية معينة.

ما تجدر الإشارة إليه في غضون تحليلنا لمفهوم الاسم عند فتغنشتاين أن هذا الأخير قد أبقى على اسمه غامضًا ذلك أنه لم يحدد معناه بصورة واضحة، ونحن لحد الآن لم نعرف مثالاً واضحًا عن الاسم الذي يقصده فتغنشتاين وإن كان رفضه لمفهوم الاسم عند راسل واضحًا إلا أن الغموض ظل يلف الاسم عنده. ولعلنا لا نجانب الصواب إن قلنا أنه في الواقع يواصل حملة الغموض التي بدأها مع القضايا الأولية موازاة مع الوقائع الأولية والأسماء مناظرة مع الأشياء. إذ أننا لا نكاد نجد أمثلة واضحة عن هذه الأساسيات، وقد يكون هذا الغموض –المقصود– من طرف الرجل هو الذي أكسب التراكتاتوس هذه الأهمية الكبرى في تاريخ الفلسفة المعاصرة. استنادًا لصعوبة الوصول إلى أفكار الفيلسوف الحقيقية، وبالتالي فإننا نستطيع الجزم أن كل ما قد قيل وكتب عن الرسالة أو حولها سواء من تلامذته أو شرّاحه والمهتمين بفكره عامة تبقى –في اعتقادنا على الأقل– مجرد تأويلات ومقاربات متنوعة من زوايا مختلفة لمسألة المعنى في الرسالة في ظل غياب نصوص صريحة وجازمة من الرجل ذاته.

بيد أننا في هذا الإطار نشير إلى أنه في وسع تلك المقابلات الشهيرة بين القضايا الأولية والوقائع الأولية من جهة، والأسماء والأشياء من جهة أخرى أن تنسج واقعًا جديدًا من شأنه إن لم يكن إزالة هذا الغموض، فالتخفيف من حِدّته في إطار ما يسمى بنظرية الرسم المنطقي. فما الذي يقصده فتغنشتاين بالرسم المنطقي؟ وكيف أمكنه الجمع بين عالمين مختلفين جدًا عالم اللغة بدلالاته المختلفة وعالم الواقع بآلياته المتعددة؟

[1] فتغنشتاين: الرسالة ، (ق 3,203).

المبحث الثاني: نظرية الرسم المنطقي عند فتغنشتاين:

1- مفهوم الرسم المنطقي:

استخدم فتغنشتاين الكلمة الألمانية "Bild" للدلالة على التمثيل أو الرسم وفي خضم الترجمات المتنوعة للرسالة فقد ترجمت الكلمة إلى لغات عديدة من قبيل العربية والفرنسية والإنجليزية.

هذا وقد اعتمدت الترجمة العربية مصطلحين أساسيين هما: الصورة[1] والرسم[2] في الكثير من الأبحاث التي تناولت أفكار فتغنشتاين بالدراسة والتحليل وبين اختلاف الدّارسين في رؤاهم المختلفة كان الاختلاف في الانتقاء بين المصطلحين وأخذهما بمعنى واحد، ومنهم من يرى ضرورة التفرقة بينهما كما فعل ذلك عزمي إسلام في شروحاته على الرسالة.

أما الترجمة الفرنسية للكلمة الألمانية "Bild"فقد كانت معادلة للرسم أو اللوحة "Tableau"، وأيضًا إلى ما يعنى بالصورة "Image". في حين اعتمدت الترجمة الإنجليزية كلمة "Picture" للدلالة على "Bild" الألمانية والتي تعني الصورة أيضا.

وأمام هذا الخلط الاصطلاحي والتباين المفاهيمي لكل المصطلحات الواردة جاز لنا التساؤل عن مكامن الاختلاف بين الصورة والرسم حتى نستطيع تبني موقف معين منها؟

لقد أشار عزمي إسلام في شروحاته للرسالة إلى تفرقته الهامة بين الصورة والرسم في معرض شرحه وتعليقه على ما ورد في الرسالة قائلا: "يفرق فتغنشتاين بين معنى كل من الكلمتين على أساس أن الرسم "Picture" له ما يقابله في الواقع الخارجي وهو الوقائع، أما الصورة "Form" فلا تقابلها وقائع في الخارج بل هي إمكان حدوث هذا الرسم"[3].

---

(1) الصورة: وردت بمعنى النموذج، وبمعنى القاعدة، وبمعنى المعيار أيضًا. أنظر: معن زيادة وآخرون: الموسوعة الفلسفية العربية، ج1، المرجع السابق، ص ص 536-537.

ويرى زكي نجيب محمود أن صورة الشيء تتكون من العلاقات الكائنة بين أجزائه. أنظر: زكي نجيب محمود: المنطق الوضعي، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ج1، ط4، د.ت، ص 4.

(2) الرسم المنطقي: هو عبارة عن علاقات موجودة على نحو معين، أي له ما يقابله في الواقع الخارجي. أنظر: عزمي إسلام في شروحاته على الرسالة، المرجع السابق، ص 183.

(3) المرجع نفسه، ص 183.

ويستطرد في هذا الحديث قائلا بأن الرسم لا يكون إلا وهناك واقعة فعلية مرسومة، في حين تدل الصورة على إمكان الحدوث لا على الحدوث الفعلي. بمعنى أن الرسم يصور ما هو موجود بالفعل في الطبيعة، بينما تكون الصورة تركيبة رياضية لما يمكن أن يوجد بالفعل، وبهذا الأساس أمكننا أن نطلق على الأول وجود بالفعل أما الثانية فهي وجود بالقوة[1]. وإلى جانب هذه الفروقات، هناك فروقات أكثر أهمية من قبيل أن الرسم يحوز على الصدق والكذب مادام أنه يشير أو يمثل حالة من حالات الواقع، ولذلك نطلقه على القضية الأولية في علاقتها التمثيلية مع الواقع الخارجي، في حين تكون الصورة نقطة الاشتراك بين الرسم والواقعة المقاربة له في الواقع الخارجي[2].

2- الفـــرق بيـــن الـــرســـم والقضيـــة والواقعـــة:

2-1- الفـــرق بيـــن الـــرســـم والقضيـــة:

لقد سبق وأن أشرنا سالفًا إلى أن الغموض الذي يسود مصطلحات وألفاظ فتغنشتاين التراكتاتوس هو الذي أكسبها شهرة واسعة إلى جانب سخط كبير ونقد واسع النطاق،طُرح إزاء استعمال فتغنشتاين لمختلف المفاهيم والمصطلحات بدون تحديد، ومن هذه المفاهيم والاصطلاحات نجد مصطلحي الرسم والقضية، فما وجه الاختلاف بينهما إن كان اختلاف، وما مبرر الاتفاق فيهما في الاستعمال إن كان هناك اتفاق؟

من خلال نصوص الرسالة نجد حقيقة واضحة وهي التوازي بين القضية والرسم، الشيء الذي جعل مصطلح القضية مشوبًا بالغموض إذ لم يفرق فتغنشتاين تفرقة حاسمة بينها وبين الرسم بدليل قوله أن القضية رسم للوجود الخارجي[3] ومن هذه العبارة يتضح لنا الترادف الذي يقيمه فتغنشتاين بين القضية والرسم، وإذا كنا قد أسلفنا الذكر بأن القضية الأولية هي التي تعطي معنى لكل القضايا الأخرى[4] باعتبار أنها وحدة التحليل الأولى في البناء اللغوي ككل والتي تحمل في طياتها معنى "Meaning" مستمدًا من الواقع الخارجي كذلك، وإذا كانت القضية الأولية أبسط

---

(1) عزمي إسلام: في شروحاته على الرسالة المنطقية الفلسفية لفتغنشتين، المرجع السابق، ص 183.

(2) جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 180.

(3) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 4,122).

(4) Wittgenstein. L: Les carnets (1914-1916), traduction et introduction et notes de G.G. Gawager, ed Gallimard, 1971, p 182.

وحدة لغوية حائزة على المعنى فإنها أيضًا أعلى صورة منطقية "Logical form" وعليه قد يزول كل ارتباك لما نفهم قصد فتغنشتاين بالقول أن القضية رسم للوجود الخارجي[1]. ذلك أن كل رسم هو رسم منطقي في نفس الوقت[2] والرسوم المنطقية حسب القضية (2,19) يمكن أن تصف العالم، وبذلك يقر فتغنشتاين صراحة أن القضية هي الرسم، ويزيد في توكيد هذه الفكرة في اختصاره القائل: "أن الرسم المنطقي للوقائع هو الفكر"[3] وأن مجموع الأفكار الصادقة هي في حدّ ذاتها رسم للعالم[4].

وعلى هذا الأساس لا نجد غرابة في الجمع بين المصطلحين عند فتغنشتاين ذلك أنه متى استعمل كلمة قضية فهو يشير بها إلى الرسم، ومتى استخدم مصطلح الرسم دلّ به على القضية. ودرءًا لكل غموض قد يلف المصطلحين يمكننا أن نطلق عليها القضية الرسم[5].

2-2- الفـــرق بيـــن الـــرســـم والواقعـــة:

لئن كانت العلاقة بين الرسم والقضية صعبة التحديد للأسباب السالفة الذكر، فإن العلاقة بين الرسم والواقعة أقل صعوبة بل وتزول كل صعوبة عندما ندرك أن العلاقة الأساسية التي تقيمها القضية الأولية بالواقعة الأولية لا تتم إلا من خلال فكرة الرسم حيث الوحدة اللغوية البسيطة تناظر أبسط الوحدات المكونة من الأسماء أبسط الوحدات التي ينقسم إليها العالم والمتمثلة في الواقعة الأولية بأشيائها المترابطة[6].

وضمانًا لكي يكون الرسم صحيحًا وحقيقيا وجب أن تكون عناصره مقابلة لعناصر الواقعة الأولية، أين تقابل أسماء القضية أشياء الواقعة. وبهذا يكون معنى الرسم هو تمثيل المرسوم،

---

(1) كل عملية فكرية تمثل من خلالها العالم تتم بواسطة قضايا فكرية وهي قضايا لغوية بالضرورة اعتبارًا أن اللغة هي الفكر عند فتغنشتاين.يمكن الرجوع في تفصيل هذه المسألة إلى ما أوردناه في ص ص13-14.

(2) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 2,182).

(3) المصدر نفسه، (ق 3).

(4) المصدر نفسه، (ق 3,01).

(5) إلا أن بيتشر في كتابه السالف الذكر قد اعترض على هذه التسمية في اعتبار الرسم بمثابة القضية لأن الرسم لا يقول أو يثبت شيئًا عكس القضية. هذا ولمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى:
Pitcher. G: The philosophy of Wittgenstein, Oc . p 96.

(6) ماهر عبد القادر: فلسفة التحليل المعاصر، المرجع السابق ،ص 197.

أين تترابط عناصر الرسم بطريقة معينة تفصح لنا أن الأشياء في العالم الخارجي موجودة على نفس النحو الذي جاء به الرسم، وفي هذا الصدد يقول فتغنشتاين ما نصه: "كل اسم واحد يقابله شيء واحد، والاسم الآخر يقابله شيء آخر ثم ترتبط هذه الأسماء ببعضها البعض بحيث يجيء الكل بمثابة رسم واحد يمثل الواقعة الذرية"[1].

أما الحديث عن صدق وكذب هذه القضية الرسم فيكون بالنظر إلى وجود أو عدم وجود هذه الواقعة أين يتوافق معنى الرسم مع معنى المرسوم[2] بتطابق عناصر الرسم بحالات الأشياء المرسومة والذي عبّر عنه "ماكس بلاك" بأنه يشير إلى تشابه في الترتيب أو التدرج " Homology of arrgument" بين عناصر الرسم وعناصر الواقعة، تمامًا عندما نقول: الكرة فوق رأس اللاعب والتي تعني وصفًا لحالة وجود خارجي بالموازاة مع الموضع الذي تكون فيه الكرة بالنسبة للاعب.

بيد أن هذا التحليل للعلاقة بين الرسم والواقعة يبدو أن "بيتشر" لم يستسغه مطلقًا وإلى جانبه أيضا عدد من الدّارسين المتأثرين بالفقرة (2,141) من الرسالة، والتي عبّرت صراحة ومن غير حاجة إلى التخفي وراء معنى ضمني بأن الرسم واقعة. إذ يشير بيتشر إلى أن أهم اختلاف قد يقطع كل صلة قد تجمع بين الرسم والقضية، ويجعل من الأول واقعة هو أن الرسم لا يثبت في ذاته شيئًا بل على العكس من ذلك هو يستخدم ليثبت شيئًا ما، وبهذه الخاصية سوف لن يكون مثل القضية[3] غير أن الذي يكون قد غاب عن ذهن "بيتشر" –في اعتقادنا– أن الرسم الذي يقصده فتغنشتاين في كل رسالته وفي الفقرة (2,141) التي استشهد بها "بيتشر" إنما هو فعل عقلي "Mental act" أكثر منه فعل واقعي، وفي ذلك زوال لكل اعتراض قد يصادف الفكرة.

هكذا وتأسيسًا على ما سبق نجد أن ما يربط القضية الأولية بالواقعة الأولية هو الرسم الدقيق والمنطقي لأجزائها، وربط العلاقة الواضحة والمحددة بين عناصره، وتسمية كل شيء بمسمّاه.

ولئن التزم فتغنشتاين بهذه الدقة المتناهية في تحديد ما تشير إليه القضية الأولية في اللغة وعلاقتها بالعالم الخارجي من خلال التطابق مع الواقعة الأولية، فإن هدفه في هذا هو الوصول إلى

---

(1) فتغنشتاين: الرسالة، (ق4,0311).

(2) جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 194.

(3) Pitcher .G: The philosophy of Wittgenstein, Oc. p 97.

تحقيق الوضوح التام والابتعاد عن مواطن الغموض واللامعنى، وبذلك رسم الحدود الواضحة لما هو واضح وممكن التعبير عنه في اللغة وبين ما لا يمكن التطرق إليه بالقول من خلال رسم الحدود الواضحة بواسطة الرسم المنطقي بين ما يقال في اللغة وما يقابله في الواقع.

وتعد هذه الخطوة اللبنة الأساسية في تأسيس مشروع فتغنشتاين التراكتاتوس والذي تتضح معالمه في تشييد لغة فنية عالية الرمزية تسمي الأشياء بمسمياتها، وتفقه نصل أوكام جيدًا(*) فتعمل على تطبيقه تطبيقًا بارعًا. لذلك فقد لعبت نظرية الرسم المنطقي عند فتغنشتاين دورًا هامًا في تأكيد هذا المطلب، وإن اختلف الدّارسون لها حسب تعدد وجهاتهم وآرائهم في تأويلها تبعًا لتوجهاتهم والسير بها قدمًا خدمة لمشاريعهم[1]. ولنا أن نتساءل في هذا الإطار على أهمية هذا المشروع –نظرية الرسم– الذي جاء به فتغنشتاين في ظل انتشارها بشكل واسع على الساحة الفلسفية المعاصرة.

3- أهمية نظرية الرسم المنطقي عند فتغنشتاين:

إن نظرية الرسم المنطقي إلى جانب باقي النظريات في الرسالة شكلت صلب نسق التركتاتوس، بل والعنوان البارز لما عرف عند البعض بمرحلة –فتغنشتاين الأول[2]– إذ أنها جاءت خصيصًا لوضع النقاط على الحروف، والخروج من دائرة الأسئلة المحرجة حول اللغة والعالم في آن واحد، لذلك قد لا نجانب الصواب إن قلنا بأن الهدف الرئيسي الذي حذا بفتغنشتاين إلى إتمام

(*) نصل أوكام "Ocam's razor" ويسمى أيضا مبدأ الاقتصاد في الفكر "Parsimony principle" ينسب إلى ويليام الأوكامي وينص على أنه لا نبغي أن نكثر من افتراض وجود كائنات بغير مبرر فنجتث بالنصل كل كائن لا ضرورة لوجوده لتفسير الظاهرة التي نريدها بحيث لا نبقي إلا على ما تدعو لوجوده ضرورة التفسير. أنظر: عزمي إسلام في شروحاته على الرسالة، ص ص 190-191.

وقد تبنى فتغنشتين هذا النصل بتصريح الفقرة (3,328) من الرسالة قائلا: "إذا لم يكن هناك ضرورة لعلامة ما فإنها تصبح عديمة المعنى وهذا هو معنى نصل أوكام"

(1) على غرار ما فعلته ما يسمى بـــ–حلقة فيينا– "Le cercle de Vienne" في تأويل بعض القضايا الواردة في الرسالة خدمة لتوجهها الفكري من جهة، وسعيًا إلى ضم فتغنشتاين إلى الحلقة من جهة أخرى، ونخص بالذكر هنا: مبدأ التحقيق. وللمزيد من التفاصيل حول هذه المسألة أنظر: ماهر عبد القادر: فلسفة التحليل المعاصر، مرجع سابق ،ص 279.

(2) يعترض غرانجي على هذه التسمية ويرى أن لفتغنشتاين فلسفة واحدة وأن الأبحاث الفلسفية ما هي إلا توسيع للرسالة المنطقية الفلسفية لأن هذا التحول لم يكن جديدًا في مجمله أنظر:

Granger .G: L. Wittgenstein, philosophie de tout temps, ed Seghers, Paris, 1969, p 71.

صياغة هذه النظرية إنما يكمن في إتمام بناء العلاقة التماثلية بين القضايا الأولية من جهة والوقائع الأولية من جهة ثانية على قواعد صحيحة وسليمة تعكس لنا حقيقة الطريقة الفعلية التي توجد عليها الأشياء في الواقع الذي يصبح بإمكان الفكر أن يتناوله بالحديث. أين يفسح المجال للمنطق لرسم حدود هذه العلاقة وأبعادها لأنه ببساطة حسب فتغنشتاين يستحيل أن نفكر في شيء تفكيرًا غير منطقي[1] ذلك أن المنطق يبحث في صورة الفكر، والصورة هي العلاقة الكائنة بين أجزاء الكلام[2].

ويشير "بلاك" إلى أن العلاقة التمثيلية الرابطة بين الواقعة الأولية والقضية الأولية والتي تعمل نظرية الرسم عند فتغنشتاين على إيضاحها تختلف عن العلاقات البسيطة والتي تجعلنا نربط الأسماء بأشياء معينة[3] كأن نشير مثلاً للشيء بالأصبع ونطلق عليه اسمًا.

وفي معرض الحديث من أهمية هذه النظرية نجد غرانجي"Granger" اعتبرها أساسية وذات بعد مركزي في نسق الرسالة[4] بدليل الموضوع الذي تناولته بالدراسة والتحليل والذي أكسبها جاذبية في أروقة الرسالة من جهة وكفل لها الدور الرئيسي والمركزي فيها من جهة ثانية[5].

بيد أن الأهمية البالغة لموضوع الرسالة لا تجعل نظرية الرسم المنطقي أو اللغة الصورة كما يحلو للبعض تسميتها الوحيدة في التراكتاتوس بل توجد إلى جانبها نظرية لا تقل أهمية عنها رسم فتغنشتاين من خلالها حدود اللغة بين القول وعدمه (الصمت).

المبحث الثالث: حـــدود اللغـــة في منطـــق الرسالـــة بين القـــول والإظهـــار:

1- حـــدود اللغـــة:

إن اللغة في تراكتاتوس فتغنشتاين تحمل معنى واحد مؤداه أنها الفكر ولا مجال للفصل بينهما فهما وجهان لعملة واحدة واتضح ذلك في مستهل كتابه عندما أشار إلى أن هدفه من هذا الكتاب هو وضع حدٍّ للتفكير أو للتعبير عن الأفكار ولكي "نقيم حد للتفكير يلزم أن نجد جانبي ذلك الحد

(1) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 3,03).

(2) زكي نجيب محمود: المنطق الوضعي، ج1، مرجع سابق ،ص 8.

(3) Black. M: A companion to Wittgenstein's tractatus, Cambridge university press, 1971, p73.

(4).Granger .G: Invitation à la lecture de Wittgenstein, Alinea, 1990, p 43.

(5) Ibid, p 40.

كليهما مما يجوز التفكير فيه (...) وهذا الحد يمكن أن يوضع فقط بالنسبة للغة أما ما سيكون في الجانب الآخر فسيعد ببساطة لا معنى له"[1] ويستطرد فتغنشتاين في إطار حديثه عن اللغة التي يقصدها ليبين أنها ما هي إلا أفكار في ذهن الإنسان، وبما أن الفكر عنده هو قضية ذات معنى[2] تكون اللغة عبارة عن الفكر استنادًا إلى القضية (4,001).

وبالعودة للمفهوم العام للفكر نجده نِتاج اجتماعي من حيث أسلوب بدايته ومنهج قيامه بوظائفه، أو من حيث نتائجه، وتفسير هذه الحقيقة لا يتم إلا باعتبار أن الفكر يرتبط ارتباطًا لا ينفصم عن أنشطة عدة كالكلام مثلاً الذي يعتبر من الخصائص المميزة للمجتمع الإنساني وحده[3].

وعليه فإن فكر الإنسان يتم في أوثق ارتباطه مع الكلام ونتائجه التي يعبّر فيها بواسطة اللغة تميز قدرة الإنسان في التوصل إلى نتائج وبراهين منطقية، لا تزيد هذه المقدرة بدرجة كبيرة من نطاق المعرفة إذ تمكن الإنسان على الانتقال من تحليل الحقائق التي يمكن إدراكها حسيًا مباشرة إلى معرفة ما لا يمكن إدراكه عن طريق الحواس[4].

وبازدياد هذه العمليات قوة وجلاءً يزداد الفكر استخدامًا لها في حل مشكلات جديدة أكثر تعقيدًا[5].

ولسنا هاهنا بصدد تحليل بنية الفكر وإنما فقط للإشارة إلى بعض ملامحه تمهيدًا لمعرفة ماهيته عند فتغنشتاين، وفي هذا الإطار نجد العبارات الدالة على موقف فتغنشتاين من الفكر كثيرة على اعتباره لغة من قبيل العبارة القائلة "في القضية يجيء الفكر معبرًا عنه في صورة تدركها الحواس"[6] إلى جانب قوله أن الفكر هو القضية التي تحمل معنى في إشارة إلى أن القضية هي المعنى القائم في الذهن والذي يتم التعبير عنه بواسطة ألفاظ اللغة.

---

(1) فتغنشتاين: الرسالة، ص 59.

(2) المصدر نفسه، (ق 4).

(3) Griffen. J: Wittgenstein's logical atomism, Oxford university press, 1964, pp 127-128.

(4) Ibid, p 129.

(5) Ibid, pp 136-137.

(6) المصدر نفسه، (ق 3,1).

ولما كانت اللغة عنده هي مجموع القضايا فإنها معبّرة عن الفكر ولذلك يحلو للبعض وصف هذه العلاقة التي يقيمها الفكر مع اللغة بأنها كالظل بالنسبة للإنسان[1].

هذا وبالاستناد إلى ما سبق ندرك أن اللغة التي يقصدها فتغنشتاين ليست بعدية بل متزامنة مع الفكر، إذ سوف لن تكون هناك عمليات لغوية منفصلة عن السلوك اللغوي الفعلي. فالتفكير عنده ليس عملية جسمية تؤدي إلى الكلام أو تنفصل عنه[2].

وغير بعيد عن علاقة اللغة بالفكر، وإذا كان لابد لنا من ربط الطابع التحليلي الذري للرسالة بتصور هذا الكتاب للغة فإن أوجز ما يفصح في تقديرنا –على الأقل– عن هذا الطابع هو اتخاذ فتغنشتاين ما يمكن تسميته بالتعريف الإشاري كباراديغم أساسي لتوكيد أو نفي هذه المطابقة بين القضية والواقعة، ومن المعلوم أن هذا الباراديغم قد مارس طقوس سحره على نسق ومنطق الرسالة من منطلق انسجامه مع مقتضيات الفلسفة الذرية.

وما نحاول أن نوضحه هنا بالتحديد هو انشغال فتغنشتاين في التراكتاتوس بحصر وتحديد كل قضية بما تشير إليه وهذا الذي جعل ما سمي الرسم المنطقي كنظرية تمثل قمة التجريد في الرسالة[3].

فالقضية هي صورة وعند سماعنا لقضية تتكون من ألفاظ وأسماء مألوفة نفهمها دون حاجة أن يشرحها لنا أحد، لأنها تكشف عن معناها وهذا ما يفعله الرسم، ذلك أنه وكما سبق وأن رأينا أن القضية عملية لها معنى، وبما أن التفكير مستحيل بدون اللغة، وطالما أن الفكرة قضية والقضية رسم فإنه وطبقا لقواعد الاستدلال يكون الفكر رسم وعليه فمجموع الأفكار الصادقة رسوم صادقة للعالم، وقد يسألنا سائل في هذا الإطار كيف هذا الجمع بين القضية والفكرة؟ ذلك أن مكونات القضية ليست هي مكونات الفكرة لأن مكونات هذه الأخيرة سيكولوجية. وبالرغم من ذلك فقد جعلها فتغنشتاين رسمًا مثلما القضية رسم، ولها شكلها المنطقي، فكل ما يمكن إدراكه يمكن تصويره أو رسمه، وما لا يمكن إدراكه لا يمكن التفكير فيه أو تصويره[4].

---

(1) عزمي إسلام: فتغنشتاين ، مرجع سابق، ص 179.

(2) عزمي إسلام: فتغنشتاين وفلسفة التحليل، مرجع سابق، ص 39.

(3) Hottois .G: La philosophie du langage de Wittgenstein, Oc . p 26.

(4) عبد المنعم الحفني: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة مدبولي، ج2، د.ط، د.ت، ص 952.

كل ذلك كان في إطار نظرية الرسم التي قام عليها عالم الرسالة والتي كما أشرنا إليها في موضع سابق لعبت دورًا رئيسيًا في تجزيء الواقع إلى عناصر أولية، ولعل الجانب الأكثر إثارة في كتاب الرسالة هو التوصل إلى المطابقة التامة بين حدود العالم وحدود اللغة، إذ كل ما يقيم في الجهة الأخرى من حدود اللغة لا يدخل فقط ضمن مجال العالم، بل لا يمكن التفكير فيه مطلقًا، وعليه فإن مسألة الحدود ليست بالأمر العرضي في الرسالة، بل فكرة مركزية لها وزن ثقيل منذ التصدير إلى نهاية الكتاب.

ذلك أننا واجدون بأن فتغنشتاين قد انشغل في فلسفة الرسالة بتعيين حدود الفكر و لم يكن هذا الاشتغال أمرًا طارئًا، ولا عارضًا استثنائيا غير مخطط له، بل إن الرسالة وحدت بين ما يمكن قوله وبين ما يمكن التفكير فيه إلى حد أننا لن نبالغ إن قلنا أن الاثنين أضحيا شيئًا واحدًا، ولهذا فإن حدود التفكير لن تكون سوى حدود اللغة نفسها. وهذا ما يمكن أن نلمسه من التصدير في قوله: "إن ما يريد الكتاب بلوغه هو رسم حد للفكر أو بالأحرى رسم حد لا للفكر وإنما لتعبير الأفكار"[1] وبذلك فإن الحد لا يمكن أن يرسم إلا في اللغة.

هذا ويمكن إيجاز ما قلناه سابقا في النقطتين التاليتين:

أولا: في القول بأن الرسالة تؤكد أن للفظ الواحد استعمال واحد، لضمان معنًى واحد.

ثانيـــا: وظيفة اللغة، هي تصوير ورسم الوجود الخارجي، وبذلك تكون مهمة نظرية الرسم المنطقي في إزالة الغموض الفكري الناجم عن الاستخدام غير الصحيح للألفاظ اللغوية، حتى ندرك أننا أنفسنا رسوم للواقع[2] لا تضيف له اللغة من حيث كونها ألفاظًا شيئًا[3].

هذا وتأسيًا على ما سبق نجد أن لا فكاك من الإشارة إلى أن نظرية فتغنشتاين التي تميز بين ما يمكن أن يقال في اللغة وبين ما لا يمكن قوله كانت في حقيقة الأمر نتيجة تطبيقية وتحصيلا محصلاً لنظرية اللغة الرسم أو الصور اللغوية على قضايا تخص كل من المنطق واللغة[4].

---

(1) فتغنشتاين: الرسالة، ص 59.

(2) المصدر نفسه، (ق 2,1).

(3) علي بحري: المعنى وتطوره عند فتغنشتاين ، بحث مقدم لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في الفلسفة، إشراف عمار طالبي، جامعة الجزائر معهد العلوم الاجتماعية، 1980-1981، ص ص 67-68.

(4) محمد توم: المنطق واللغة والواقع، مرجع سابق، ص 56.

لذلك كان هدف فتغنشتاين من وراء تحليله للغة واضحًا في معرفة الحدود التي يجب أن تستخدم فيها اللغة، ونظريته تكون ذات معنى وخارج هذه الحدود تكون مجرد لغو لا معنى لها وفقا لاختصار الرسالة الذي ينص على أن ما على الفلسفة إلا تحديد ما يمكن التفكير فيه من خلال ما لا يمكن التفكير فيه[1] باعتبار أن اللغة لا تصف لنا حسب منطق الرسالة وبنود نظرية الرسم المنطقي إلا ما هو ممكن الوجود والذي نستطيع بالموازاة مع التفكير فيه تحديد معالمه. أما ما لا نستطيع تحديد معالمه فإنه يستحيل علينا التفكير فيه، وهذه الاستحالة -في اعتقادنا- لا ترجع إلى الفكر وإنما إلى الموضوع ذاته بدليل أن هناك من الموضوعات ما لا يمكن أن تكون مواضيع للفكر، وهذا راجع بالأساس إلى طبيعتها التي لا يمكن أن تكون موضوعًا للفكر، حيث هذا الأخير لا يكون إلا في الموضوعات الممكنة وما هو ممكن هو الواقع[2] الذي بالإمكان رسمه.

وفي ثنايا البحث عن ما يمكن قوله يمكننا تحديد لغة فتغنشتاين التراكتاتوس على النحو التالي:

1- الصـــورة المنطقيـــة "Logical form"[3]:

يرى فتغنشتاين أن الصورة المنطقية التي تتولد من الاشتراك بين بنية الرسم وبين بنية المرسوم التي تمثلها لا يمكن أن تكون في ذاتها شيئًا ممكن القول في اللغة، بل إنها كما يقول فتغنشتاين: "يمكن أن تمثل الوجود كله، إلا أنها لا يمكنها أن تمثل ما يجب أن يكون مشتركًا بينها وبين الوجود الخارجي، حتى يتسنى لها أن تمثله ألا هو الصورة المنطقية"[4]. حيث نستطيع هاهنا تشبيه الفيلسوف بالمصور الفوتوغرافي من حيث أنه لا يستطيع أن يقرر شيئًا بل كل ما يمكنه فعله هو أن يظهرنا فقط على ما هو موجود استنادًا إلى أن مهمة اللغة هي تقرير وجود تشابه من عدمه بين وقائعه والقضايا التي تقرره[5] تمامًا عندما أقول: هذه وردة جورية أين لا يمكننا مطلقا القول منطقيًا

---

(1) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 5,61).

(2) ماهر عبد القادر: فلسفة التحليل المعاصر، مرجع سابق، ص 294.

(3) الصورة المنطقية: هي -حسب عزمي إسلام- العلاقة التي تربط اللغة بالواقع، وتتبدى في القضايا بغير أن ينص عليها ألفاظ، وهي عبارة عن الكشف أو التجلي. أنظر: عزمي إسلام في شروحاته على الرسالة، مرجع سابق، ص 183.

(4) المصدر نفسه ، (ق 4,12).

(5) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق ،ص 243.

أن الخاصية "جورية" هي خاصية، بل فقط نبينها بواسطة الرمز ذلك لأنه لا يمكن لقضية أن تمثلها لانعدام قضية من مستوى أعلى[1].

ثم أن الصورة المنطقية للوقائع هي ما نفكر فيه، وحين نقول عن واقعة ذرية باصطلاح راسل- أنها قابلة للتفكير نعني بذلك أننا نستطيع أن نتخيلها، ومن هنا فقط تكتسب خاصية المنطقية ذلك أن كل ما هو منطقي يمكن التعبير عنه، وكل ما هو غير منطقي لا يسمح التعبير عنه على الإطلاق بواسطة الميتالغة، ثم إنه ليس في إمكان اللغة التعبير عن شيء مناقضٍ للمنطق.

وإذا كانت "القضايا لا تستطيع أن تمثل الصورة المنطقية، وإنما تعكس هذه الصورة نفسها في القضايا، وما يعكس نفسه في اللغة لا تستطيع اللغة أن تمثله" كما تقول التراكتاتوس فإن فتغنشتاين بحديثه عن ما لا يقال في اللغة حرص بشدة على عدم تجاوز مستوى اللغة في تحليله المنطقي لها، لأننا متى حاولنا التعبير عن ما لا يمكن التعبير عنه فإن النتائج ستكون قضايا غير حقيقية أو مزيفة من قبيل قول الواقعة عن نفسها أنها واقعة[2].

2- فكـــرة الأنـــاوحديـــة"Solipicism" [3]:

إن ما تقوله أو ما تشعر به الأناوحدية لا يمكن التعبير عنه بالألفاظ اللغوية وإنما يتجلى بنفسه في التقابل المزدوج الموجود في العالم من جهة، واللغة المعبّرة عن هذا العالم من جهة ثانية، وهذا ما نجده عند الصوفية باسم وحدة الشعور أين تكون الذات أو الأنا منحلة أو مستقرة في الموضوع ومن ثم يتولد شعورها بالتعالي "Transendental" باعتبارها حد للعالم لا جزء منه، وعليه فهي ذات ميتافيزيقية، وفق "أنا هو عالمي" والأنا بهذا المفهوم تشكل اتحاد مع الموضوع وبالتالي اتحاد بين المعرفة والوجود يعني في عرف الصوفية حضورًا إشراقيًا من خلال تجلي الوجود،

---

(1) حسن الباهي: اللغة والمنطق، بحث في المفارقات، دار الأمان، الرباط، ط1، 2000، ص 13.

(2) المرجع نفسه، ص 128.

(3) الأناوحدية : هي لفظة إفرنجية من Solus اللاتينية التي تعني وحدية، Ipse والتي تعني الذات اقتصرت وترجمت اصطلاحًا بالأناوحدية، وقد كانت تسمى بأنانة الواقع،، على اعتبار أن ذاتي هي كل الواقع، وأنانة المعرفة هي كل معرتي بهذا الواقع، ويعود هذا المصطلح إلى الراهب سكوتي الذي استعمل لأول مرة مصطلح الأنانة في كتابه "مملكة الأنانية".
أنظر: عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، المرجع السابق، ص 111.

وما يتجلى بذاته هو مُظهر لذاته وليس في حاجة لإظهاره باللغة أو الفكر لأنه ببساطة أعلى من أن يحتمل لغة أو فكرًا[1].

وبناءً عليه يكون كل قولنا عن العالم ككل هو مما لا يمكن قوله، وإذا ما حاولنا قول شيء عن ذلك فسنكون -حسب فتغنشتاين- كمن يسمع جعجعة ولا يرى طحينًا نقول كلاما لا معنى له لتجاوزنا حدود ما يمكن قوله أي حدود اللغة[2] استنادًا إلى أن حدود اللغة هي حدود العالم. فمعنى العالم هو عالمي وحدود اللغة تعني حدود عالمي[3] أن حدود العالم الخارجي الواقع في خبرتي هي فقط حدود اللغة.

3- معيار المعنى وحدود اللامعنى- العلم الطبيعي:

لقد أقام فتغنشتاين صرح نظريته في المعنى على أساس تفرقة واضحة بين حدود المعنى واللامعنى، أو بين ما يمكن قوله وما يكتفى بإظهاره، وكل ما يمكن قوله في الواقع هو قول قضية ترسم واقعة من وقائع العالم وباختصار كل ما يمكننا قوله فقط قضايا العلم الطبيعي والتي يمكننا الحكم عليها صدقًا أو كذبًا، فعندما أقول أو أزعم مثلاً أن الشمس مشرقة فإن هذا القول قد يكون صادقًا كما قد يكون كاذبًا ومعيار الحكم عليه سيكون الواقع فإذا ما رجعت إلى الواقع ووجدت أن الشمس مشرقة كان قولي صادقًا أو كاذبًا إن لم يكن الأمر كذلك[4].

وزاد فتغنشتاين على ذلك بقوله: "أن القضايا والقضايا الصادقة تحديدًا هي كل العلم الطبيعي"[5] ذلك أن ما يمكن أن يقال عند فتغنشتاين هي فقط قضايا العلوم التي يكون لها معنى عند قولها، أما قضايا الميتافيزيقا فهي مما لا يقال باعتبارها لا تتكلم في الواقع ولا تدرس ما فيه من أشياء ووقائع[6].

---

(1) ماهر عبد القادر: فلسفة التحليل المعاصر، مرجع سابق، ص 297.

(2) عزمي إسلام: فتغنشتاين وفلسفة التحليل، مرجع سابق، ص 148.

(3) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 5,62).

(4) عزمي إسلام: فتغنشتاين وفلسفة التحليل،المرجع نفسه، ص 312.

(5) المصدر نفسه، (ق 4,11).

(6) عزمي إسلام: فتغنشتاين وفلسفة التحليل، المرجع نفسه،ص 201.

ونفس الحكم ساقه على قضايا القيمة من قبيل القضايا التي تتكلم عن الجمال أو القبح أو الخير ذلك أنها كلها قضايا لا يجب أن تقال وإن قيلت أدت حتمًا إلى حيث مكامن اللامعنى بدليل أن الواقع ليس فيه ما هو جميل أو قبيح أو خيّر بل كل ما يوجد وقائع ترابطت على نحو أو آخر[1]، بيد أن تصنيف الرسالة لقضايا القيمة ضمن ما لا يقال لا يعني البتة أنه اتخذ منها موقفًا سلبيًا باستبعادها ذلك أن لا ليس كل ما لا نستطيع قوله يكون بالضرورة هراءً وسخافة وخاليًا من المعنى فقضايا المنطق مثلاً لا تقول شيئًا ولكنها ليست هراء[2]. وحتى يمكننا أن نعرف حقيقة موقف فتغنشتاين من قضايا القيمة والأخلاق تحديدًا نذهب إلى ما ذهب إليه "بيرز" عندما أكد على أن فتغنشتاين قد رفض وضع حقائق الدين والأخلاق في إطار الخطاب الإيجابي فإن ذلك حسب "بيرز" كانت بنية الحفاظ عليها لا استبعادها[3].

هذا ولا يتوانى فتغنشتاين بإلحاق الحكم ذاته الذي أطلقه على قضايا القيمة إلى الفلسفة برمتها على اعتبار أن معظم القضايا والأسئلة التي يطرحها الفلاسفة، إنما تنشأ في حقيقة الأمر عن كونهم لا يفقهون منطق لغتهم ويتمادون في الثرثرة التي لا طائل من ورائها، ذلك أن "معظم القضايا والأسئلة التي كتبت عن أمور فلسفية ليست كاذبة، بل خالية من المعنى، فلسنا نستطيع إذن أن نجيب عن أسئلة من هذا القبيل. وكل ما يسعنا هو أن نقرر بأنها خالية من المعنى، فمعظم الأسئلة التي يقولها الفلاسفة إنما تنشأ في حقيقة كوننا لا نفهم منطق لغتنا، وإذن فلا عجب إذا عرفنا، أن أعمق المشكلات ليست في حقيقتها مشكلات على الإطلاق"[4].

وبهذا بناءً على ما سبق تتجلى لنا أهمية وضع حدودًا للغة تقع سدًا منيعًا في وجه المشاكل الفلسفية المتولدة أساسًا من الجانب اللغوي ومحاولة قول ما لا يمكن قوله، وبين القول وعدمه تتجلى ثنائية هامة من ثنائيات الرسالة وهي القول والإظهار.

---

(1) عزمي إسلام: وفلسفة التحليل، المرجع السابق، ص 312.

(2) جمال حمود: المنهج الصحيح وحقيقة الصمت الصوفي عند فتغنشتاين ، في **الفلسفة بين تعدد المناهج ووحدة الحقيقة**، إشراف جمال حمود، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ط1، 2010، ص 233.

(3) المرجع نفسه، ص 234.

(4) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 4,003).

2- ثنائيـــة القـــول والإظهـــار في لغـــة الرسالـــة:

قد لا يخفى على أي دارس مجدٍ لنسق الرسالة تمييز صاحبها بين مجالين كبيرين الأول يمكن قوله أو التكلم عنه، وآخر لا نملك القدرة إلا على إظهاره أو الإشارة إليه على شاكلة ما نفعله عادةً عندما نقول: هذا هكذا... أو هذه هكذا.

هذا وقد عدّ أغلب الدارسين للرسالة أن إقامة الحد بين القول واللاقول أو الإظهار، قد وضعنا حقيقة في صلب فلسفة اللغة في التراكتاتوس، فإذا كانت نظرية الرسم المنطقي ذات جاذبية واضحة على حدٍّ تعبير "غرانجي"[1] فإن ما يسمى بنظرية القول والإظهار قد اعتبرت في عرف الآخرين من أهم محاور فلسفة الرسالة بل وشكلت حدثًا جديدًا في حياة فتغنشتاين[2] كما أشار إليه "ماك غينس"في كتابه عن فتغنشتاين.

ولعل أكبر شاهد على أن هذه الثنائية تعد الأهم في الرسالة هو استفتاح الكتاب نفسه في عبارة "أن معنى هذا الكتاب يتلخص في هذه الكلمات: كل ما يمكن قوله يمكن قوله بوضوح وما لا ينبغي قوله ينبغي أن نصمت عنه"[3]. وهي النتيجة ذاتها التي انتهت إليها الرسالة في نهاية الأمر.

وإذا أردنا أن نضع أنفسنا في صلب مشكلة الوضوح وبالتالي المعنى باعتبارها القضية التي أسست حولها الرسالة، وهدف فتغنشتاين من خلال كتابه الوحيد المنشور إلى تحقيقها في أوضح صورها، فإن أوضح ما يدل على ذلك أن مسألة المعنى ظلت تستأثر باهتمام فتغنشتاين منذ التصدير إلى نهاية الكتاب، وإن كنا لا نرى بدًا من الاعتراف في المقابل أن هذا التوضيح لمسألة المعنى لم يكن إلاّ بالمقارنة والمناظرة باللامعنى وبمعنى أوضح فإن كل ما يمكن قوله لا يفهم بما فيه الكفاية إلا بالموازاة مع ما لا يمكن قوله. وفي هذه الأثناء نتبين ملامح ثنائية متعارضة إن جاز لنا القول بين القول والإظهار، بدليل أن رسم حدود المعنى في القول يوضح حدود اللامعنى في الإظهار[4].

ولعلّ المتتبع الجيد لمسار فتغنشتاين في الرسالة سيتفطن بلا ريب إلى أن جلّ انتقادات فتغنشتاين فيها للفلسفة، غير أن ما يجب الإشارة إليه إحقاقا للحق أن هذا الانتقاد لم يمس الفلسفة في ذاتها بقدر ما مسّ استعمال الفلاسفة للغة وخاصة الفلاسفة الكلاسيكيين وإذا كان لا مناص لنا

---

(1) Granger .G: Invitation à la lecture de Wittgenstein, Oc, p 43.

(2) Guiness .Mc: Wittgenstein, les années de jeunesse, traduit de l'anglais par tenenbaurn. Y, Seuil, 1991, pp 244-245.

(3) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 7).

(4) جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين ، المرجع السابق ، ص 208.

من ربط هذه الانتقادات بما أورده الرجل في نظريته عن القول والإظهار فإن أفصح ما يدل –في تقديرنا– على ذلك يكمن في الخلط بين المجالين المتباينين.

وإذا سلمنا سلفا مع فتغنشتاين بأن ما يقصده بالقول هو قول واقعة[1] بدليل أننا إذا نظرنا إلى أقوالنا نجد أنفسنا لا نقول إلا وقائع تتحدث عن العالم فإننا في أقوالنا أو فيما يمكننا قوله بالأحرى نجسد تجسيدا واضحا للوظيفة الوحيدة للغة، وهي الوظيفة التمثيلية التي ترسم حدود المعنى عند فتغنشتاين [2] أين يمكن الحكم فيها صدقا أو كذبا.

وإذا كان هذا هو المعنى الذي يرمي فتغنشتاين إلى تحقيقه، فإن مفهوم الإظهار عنده لم يكن بهذا الوضوح أبدا، فإذا تصفحنا الرسالة من بدايتها إلى نهايتها لا نجد البتة تحديد لمجال الأشياء التي يمكن إظهارها، لأنها ذاتها تقع خارج العالم ما دمنا لا نستطيع تمثلها بواقعة أولية ولأنه صرح مرة أن العالم هو جميع ما هنالك[3] وبما أن المنطق يملئ العالم فإن حدود العالم هي بذلك حدوده، وعليه فإن ما يقع خارج العالم يقع خارج المنطق ولا يخضع لمساءلته[4].

وإلى هذا المعنى أيضا ذهب غلوك"Glock"في معرض وصفه لمفهوم الإظهار الذي اعتبره غامضا جدا[5] بالمقارنة مع ما عناه بالقول لذلك لا نستطيع مطلقا مع فتغنشتاين أن نحدد ميدانه نظرا لافتقاده لعناصر الانسجام.

وفي ثنايا هذه الثنائية قد يتبادر سؤال: عما إذا كان يرمي فتغنشتاين إلى تثبيت عالم آخر تستطيع اللغة أن تفصح فيه عن كل ما تريد، مادام أنها تعجز عن قول ما تريده في عالمه هذا؟.

وهو تساؤل مشروع جدا لكن هذه الشرعية لا تلبث أن تزول إذا علمنا أن فتغنشتاين الرياضي المنطقي لم يكن يرمي مطلقا إلى تثبيت أو حتى البحث عن عالم آخر بدليل أن دوافع تحديده لهذا المجال –الغير قابل للقول– لا تخرج عن كونها منطقية لغوية، إلى إمكانية أن تكون لاهوتية تيولوجية أو حتى هيرمينوطقية تأويلية، فقد صرح الرجل منذ البداية أن ما يمكن قوله نقوله

---

(1) Chauviré .C: Wittgenstien, Editions de seuil, 1989, p 89.

(2) لمزيد من الوضوح حول هذه المسألة يمكن الرجوع إلى ما أسلفنا الحديث عنه في إطار نظرية الرسم المنطقي، ص ص 33-34.

(3) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 1,1).

(4) راسل: مقدمة لرسالة فتغنشتاين المنطقية الفلسفية، مرجع سابق، ص 46.

(5) Glock .H.j: Dictionnaire Wittgenstein, Traduction H. R. Delara, et P.Delara, éditions Gallimard, 2003, p 27.

بوضوح، وما لا يمكننا قوله ينبغي أن نصمت عنه، بل وزاد على ذلك بتأكيده على أن المشكلات الزائفة في الفلسفة إنما مصدرها ناتج عن محاولة قول ما لا يمكن قوله –ما يمكن فقط إظهاره– وهو ما عبر عنه بسوء فهم منطق اللغة، ولا عجب أن عرفنا بعدها أن أعمق المشكلات ليست في حقيقتها مشكلات عن الإطلاق[1].

وعليه قد لا نجانب الصواب إذا اعتبرنا أن نظرية فتغنشتاين في القول والإظهار نظرية في المعنى واللامعنى أيضا من خلال رسم حدود الأول فيتضح الثاني، وهذا الذي يجعلنا نتلمس التعارض بين القول والإظهار في الرسالة بشكل صريح بدليل أنه في غالب الأحيان التي يذكر فيها فتغنشتاين الإظهار يذكره باعتباره معارضا ومعاكسا للقول وفق "ما يمكن إظهاره لا يمكن قوله"[2].

وغالبا ما يتم فهم هذا التعارض على أنه قطع لأي اتصال وفصل لأي اشتراك قد يجمع مواضيعهما، إذ أن الموضوع على هذا النحو إما أنه يقال ويقال فضلا عن ذلك بوضوح أيضا وإما أنه مما لا يقال ويكتفى بإظهاره ولا حديث عن إمكانية الوسط بين الموضوعين، بل إن الخلط بين ما يمكن قوله وما لا يمكن قوله ويكتفي بالإشارة إليه بإظهاره فقط، يعد سببا رئيسيا في نشأة الإرباكات والمشكلات الميتافيزيقية على غرار مثلا أن الصورة المنطقية مثلا لا يمكن التعبير عنها باللغة بدليل قوله "القضايا يمكن أن تمثل الوجود الخارجي كله إلا أنها لا يمكنها أن تمثل ما يجب أن يكون مشتركا بينها وبين الوجود الخارجي حتى يتسنى لها أن تمثله وهو الصورة المنطقية"[3].

ولقد لقيت دعوى التفريق بين القول والإظهار صدى كبيرا في أوساط شرَّاح وكذا نُقّاد فتغنشتاين على حد سواء، إذ لا نجد واحدا منهم يغفل الإشارة إليها من جهة، والإقرار بدورها المركزي في نسق الرسالة من جهة أخرى، ولا غرابة أن نجد الكثير منهم يعتبره العمود الفقري الذي تقوم عليه الرسالة على غرار ما ذهبا إليه ميركل وجاكو هنيتيكا M. J.Hintikka اللذان تصنف مساهمتها في الرسالة في هذا المجال من أدق الأبحاث التي تولت المسألة بالعناية البالغة بحثا

---

[1] فتغنشتاين : الرسالة، (ق 4,003).

[2] المصدر نفسه، (4,1212).

[3] المصدر نفسه، (ق 4,12).

وتحليلا وذلك في إشارتهما للمجال غير القابل للقول من قبيل العلاقات الدلالية، وكذا الصور المنطقية للموضوعات البسيطة[1].

وقد أشار فتغنشتاين إلى هذه الأخيرة في (ق 4,12)، واهتم بها هنيتيكا بالتحليل انطلاقا من أن كل الصور المنطقية التي تتأسس من موضوعات بسيطة تدخل في مجال ما لا يمكن قوله، وفي هذا الإطار يرى هنيتيكا أنه طالما أننا لا يمكننا التعبير عن ماهية الموضوع البسيط فإننا أيضا لا يمكننا قول صورته المنطقية ضرورة وبالنتيجة يكون عدم قول الصور المنطقية بردها إلى المواضيع البسيطة التي لا نستطيع قول ماهيتها[2].

هذا ويستطرد فتغنشتاين في حديثه عن هذه المسألة فيضيف بأن القضايا لا تستطيع أن تمثل الصورة المنطقية، بل تعكس هذه الصورة نفسها في القضايا وما يعكس في اللغة لا تستطيع اللغة أن تمثله[3].

وفي هذا تتجلى أهمية التفرقة بين ما يمكن قوله وما يكتفى بإظهاره ذلك أن الأول له وجود نجبر نحن على فرض وجوده، أما الثاني فيتميز بامتلاكه حيادا وجوديا[4] ولما نكون بإزاء هذه التفرقة نكون في الواقع إزاء التفريق بين المعنى واللامعنى ورسم حدود المعنى في اللغة والذي يترتب عنه صدور اللامعنى، ذلك أننا متى أردنا التعبير عن ما لا يمكن أن نعبر عنه وقعنا في قضايا مزيفة وغير حقيقية لا يمكننا التعبير عنها بواسطة دالة[5] كما هو الحال في القضايا الحقيقية[6].

3- موقف فتغنشتاين من الميتالغة "Meta- language" :

إن من أبرز النقاط التي يختلف فيها فتغنشتاين عن راسل جذريا في ذريته المنطقية -التي سايرها في الكثير من المسائل- هي مسألة لغة اللغة أو ما يعرف بالميتالغة "Meta- language" ذلك

---

(1) Hintikka. M-J : Investigation sur Wittgenstein, traduit de l'anglais, M Jauderbaum, ed Mardaga, 1991, pp26-30.
(2) Ibid, pp 29-30.
(3) Ibidem.

(4) محمد توم: المنطق واللغة والواقع، المرجع السابق ،ص 59.

(5) الدالة "Fonction" مصطلح رياضي استعارة المناطقة المحدثون، وهي للإشارة عن كل دالة القضية والتي هي عند راسل هي "عبارة تشتمل على مكون غير محدود أو أكثر بحيث لا تصبح العبارة قضية إلا عند تعيين قيم المكونات".
راسل، مقدمة للفلسفة الرياضية، ترجمة محمد موسى أحمد، مراجعة أحمد فؤاد الأهواني مؤسسة سجل العرب، القاهرة، د.ط، د.ت)، ص 169.

(6) المرجع نفسه، ص 60.

أن راسل يعد –إن لم نجزم الأمر– أول من دعا واستخدم ما يسمى بالميتالغة، وإن تلت فلسفته العديد من المحاولات في سبيل إرساء دعائم هذه الفكرة وتثبيتها أكثر. لذلك وقبل أن يتجلى لنا موقف فتغنشتاين منها نجد لزاما علينا إيضاح الفكرة كما وردت في مختلف التداولات المعاصرة له. وما راسل وفلسفته إلا واحدة من أهمها.

لقد كرس راسل نظرية بأكملها للحديث عن لغة اللغة أسماها نظرية الأنماط " Theory of types" إذ وفي إطار فلسفته العلمية اعتقد راسل أن للغة تأثير كبير على الفلسفة وإن لم نجد بدا من الانخداع بحجم هذا التأثير فمن الضروري أن نصبح على وعي به على الأقل. وقد نتساءل عن مشروعية هذا التأثير الذي تمارسه اللغة على الفلسفة، بيد هذا التساؤل لا يلبث أن يزول عندما ندرك أننا في حضرة الفلسفة التحليلية التي جعلت من اللغة هدفا من أهداف البحث الفلسفي ككل وهو ما ينطبق على الفلسفة الذرية عند راسل أيضا، غير أن هذه الأخيرة اعتقدت أن اللغة العادية تضللنا بمفرداتها وتراكيبها ولابد لنا أن نكون على حذر إزاء هذين الجانبين إذا ما أردنا لمنطقنا أن لا يؤدي إلى ميتافيزيقا خاطئة[1].

ومن ثم فقد كان على الفلسفة التحليلية عامة، وفلسفة راسل على وجه أدق الاهتمام بتحليل كل كلمة قبل ترميزها، وكل مفهوم متضمن فيها وذلك من أجل تحديد تطبيقاتها المنطقية[2].

وفي هذه الظروف ظهرت نظرية الأنماط عند راسل والتي كشفت عن كثرة من العبارات والصيغ الرمزية صنفت طبقا لقوانين النظرية وتبعا للفلسفة الذرية عند راسل إلى صنفين مختلفين من اللغة.

النـــوع الأول: اللغـــة الشيئيـــة"Object- language" :

وتختص باستخدام ألفاظ ورموز لإقرار أحكام عن أشياء واقعية تصفها مباشرة بحيث كل لفظة وعبارة لها مضمون ومقابل في الواقع.

---

(1) محمد مهران: فلسفة برتراند راسل، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1997، ص 268.

(2) يحي هاني: دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، المؤسسة الجامعية للدراسات والمنشورات، د.ط، 2002، ص 200.

النـــوع الثـــانـــي: الميتالغـــة "Meta- language":

ويراد بهذا النوع من اللغة تلك المتحدثة عن غيرها من الألفاظ والعبارات وليس وصف الأشياء وصفا مباشرا وهو النوع الذي ارتئ راسل تسميته بـــ "الميتالغة"[1] التي تحلل وتدرس بنية وتركيبة اللغة المعبرة عن الوقائع (الشيئية).

وهكذا فإن منظومة راسل اللغوية والمنطقية اقتضت بالتالي وجود لغة شيئية تتخذ العوالم الممكنة للأشياء موضوعا للحديث، في حين تكون الميتالغة المتحدث الرسمي عن هذه اللغة بالعمل على وصفها[2].

أما عن هدف راسل من الإقرار بوجود لغة للغة أو ميتالغة فهو الخروج من مأزق المفارقات المنطقية[3] وفخ المتناقضات اللغوية[4] والتي تعترض لغتنا نتيجة إشارة القضايا العامة إلى ذاتها "Self-Referance" أو انعكاسها على ذاتها "Self-leexirenss"، وهو أن كل ما يحتوي على متغير يجب أن يكون قيمة ممكنة لذلك المتغير[5].

وقد أشار روبير بلانشي"R-Blancher"في إطار نظرة توسعية وشاملة للنظرية بأن ما جرى على اللغة العادية ينطبق أيضا على اللغة الرمزية كأن نقول مثلا "V" هو رمز الفصل، ويمكن لهذه اللغة العادية أن تكون قادرة لا على تسمية الرموز فحسب، بل كذلك على أن تستعملها استعمالا ذاتيا ويكون ذلك من خلال دمجها في الميتالغة[6].

---

(1) زكي نجيب محمود: برتراند راسل، نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت، ص 32.

(2) محمد مرسلي: دروس في المنطق الاستدلالي، دار توبقال للنشر، ط1، 1989، ص 15.

(3) المفارقة "Paradox" يعرفها لالاند في معجمه الفلسفي بأنها ما خالف الرأي العام ويذهب صليبا للإشارة بأنها دالة في اللغة العربية على الآراء المخالفة للمعتقدات المألوفة والتي يصير أصحابها كحمل الرأي العام على التصديق بها.

A. Lalande : Vocabulaire Technique et critique de la philosophie, PUF, Paris, 1996, p734.

(4) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2، 1978، ص 402.

لتفصيل الحديث عن هذه المفارقات والنقائض يرجع إلى: جمال حمود، فلسفة اللغة عن فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص ص 232-237.

(5) كريم متى: المنطق الرياضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1983، ص 244.

(6) روبير بلانشي: مدخل إلى المنطق المعاصر، ترجمة محمود اليعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 38.

ويمكننا أن نصل من خلال هذه الصورة البانورامية لنظرية الأنماط عند راسل إلى القول بأن تبني راسل لهذا النوع من اللغة لم ينشأ من فراغ، وإنما باعتبار أن لهذه الأخيرة مقومات وأسس تعمل على تصنيفها على النحو التالي:

1- تحتوي على عناصر ذات طابع منطقي عام ومتغيرات من نمط منطقي أعلى من متغيرات اللغة الشيئة.

2- تحتوي الميتالغة على اللغة الشيئة كجزء منها.

3- تحوز الميتالغة على تعابير تركيبية بمعنى وجوب وجود الجانب التركيبي للغة والذي يضم تعابير وعلاقات قائمة بينها تفرضه الضرورة المنطقية.

4- وجوب أن تكون الميتالغة أقوى وأغنى من حيث وسائل التعبير على الخصوص[1].

ولاشك بعد التفريق بين هذين الجانبين من اللغة أنه من الأهمية بما كان عامة ولمنطق راسل تحديدًا، أن لا نخلط بين هذين النمطين المختلفين من اللغة لتجنب الكثير من مظاهر الاستحالة، ومطبّات التناقض والمفارقة.

ذلك كان باختصار فحوى دعوى راسل لإقامة ميتالغة أكدت أصالة النظرية رغم صدورها عن النسق الرياضي إلا أنها كانت نظرية ذات مدى أعم وأشمل، وتلك أيضًا كانت أسبابًا وجيهة لرفض فتغنشتاين القول بوجود لغة للغة، بدليل أنه لم يدع إليها مطلقًا بل وكان حريصًا دائما على رفضها بشدة، لذلك صبّ جلّ انتقاداته على هذه النظرية حين أقرّت التراكتاتوس أن الخطأ الذي وقع فيه راسل انه حين كان يقيم قواعد جهازه الرمزي كان يتحدث عن الأشياء التي تعنيها كلماته[2].

ويمكن بلورة انتقادات فتغنشتاين لنظرية راسل في الأنماط في نقطتين هامتين:

النقطـــة الأولـــى: هي أن نظرية الأنماط حين وضعت مستويات للغة إنما حاولت بذلك التعبير عن ما لا يمكن التعبير عنه والذي ينكشف بتصور فتغنشتاين من خلال اللغة.

---

[1] حسن الباهي : المنطق واللغة، المرجع السابق، ص 39.

[2] فتغنشتاين : الرسالة، (ق 3,331).

النقطـــة الثانيـــة: هي أن هذه النظرية تفترض معاني الرموز التي تحاول توضيحها وهي بذلك تحاول التعبير عن كيف يشير الاسم إلى الشيء[1] الذي ينبغي أن نصمت عنه في عرف فتغنشتاين.

إن فتغنشتاين في موقفه من الميتالغة كان واضحًا في رفضها بشدة والحرص على تفاديها، انطلاقًا من أنه إذا كانت اللغات الاصطناعية من قبيل ل1، ل2، ل3 تدرس بواسطة الميتالغة لتفادي النقائض. فمن يدرس هذه اللغة وهل نحتاج إلى متالغة لميتالغة؟[2] ومن هذه الزاوية يجيب فتغنشتاين بالرفض[3].

وقد لا يخفى على أي دارس للرسالة تعبير فتغنشتاين في أكثر من مناسبة عن الإقرار بوجود لغة للغة تكون بمثابة لغة فوقية تعلو على اللغة العادية –طبعًا اللغة المتناولة بالدراسة في الرسالة– وفي هذا السياق قد يوازي بعضهم بين رفض فتغنشتاين التسليم بوجود لغة فوقية ورائية وبين رفضه أيضًا القول بوجود فلسفة ورائية وإن كان الحديث عن الأمرين في سياق واحد قد لا يخلو من التطرق أو التعسف.

بيد أنه طالما ان لا وجود للميتافيزيقا عند فتغنشتاين حسب نسق الرسالة صراحة –رغم ما لاقى هذا الأمر من انتقاد– فإنه لا وجود للورائيات وسيّان الأمر في المنطق أو اللغة، فلا حديث لمنطقٍ ورائي أو منطق للمنطق ولا حديث بالموازاة مع ذلك عن لغة للغة، بل ولا حديث أكثر من ذلك عن فلسفة للفلسفة وتسقط معه كل مشروعية قد تخوّل الحديث عن الميتافلسفة في عرف فتغنشتاين التراكتاتوس. وهذا ما يجزم فتغنشتاين بعدم قبوله بتصريحه الذي وصف فيه ما نظنه حينما نستعمل كلمات للتكلم عن نفس الكلمات على غرار ما نفعله عادة عندما نقول بما أن الفلسفة تستعمل لفظ فلسفة فهل هذا يعني وجود فلسفة للفلسفة أو فلسفة من الدرجة الثانية[4].

---

(1) محمد توم: اللغة والمنطق والواقع، المرجع السابق، ص 62.

(2) سامي أدهم: فلسفة اللغة، تفكيك العقل اللغوي، بحث ابستيمولوجي أنطولوجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط، 2005، ص 137.

(3) Hottois. G: La philosophie du langage de Wittgenstein, Oc, p 31.

(4) Wittgenstein : Investigations philosophiques, trad. Française par : P. Klossowski,ed Gallimard, 1961, p 72.

وقد أكد فتغنشتاين أن هذا التأويل عارٍ من الصحة وذهب لوصفه كما لو كنّا في إطار حصة لضبط الإملاء والذي يهتم أيضًا بلفظة ضبط الإملاء إلا أنه حسب فتغنشتاين لا يحتاج لضبط ضبط للإملاء[1].

وبهذا التحليل نجد فتغنشتاين يخصص حيزّا كبيرًا للاهتمام بهذه الفكرة ورصد امتداداتها والتي يقابلها بنقدٍ صريح لا يلفه غموض إلى صديقه راسل في ما ذهب إليه في نظرية الأنماط التي سبق الإشارة إليها، والتي ارتبطت بشكل كبير باسمه صياغة وحلولاً.

هذا وقد لا نغفل الإشارة إلى أن رفض فتغنشتاين الإقرار بوجود لغة للغة ارتبط بشكل أو بآخر بالتمييزات التي وضعها بين ما يمكن قوله وما يكتفي بإظهاره، مع الإشارة إلى أن فتغنشتاين بتحديده للمجال غير القابل للقول لم يكن يهدف إلى الوقوف على شلل اللغة أو عجزها بعدم القدرة على التعبير عن نفسها، بقدر ما كان يهدف إلى التأكيد على أن اللغة واحدة ومكتفية بذاتها. ولا وجود للغة موضوعة للوصف ولغة أخرى وجدت من أجل الوصف ذاته.

وقد لا نجانب الصواب إذا قلنا أن الرجل منذ البداية وإن كان مشروعه في الرسالة الدعوة إلى لغة فنية رمزية خاصة مختلفة عن رمزية فريج وراسل، لم يكن يعتبرها مطلقًا بديلاً أو دعنا نقول لغة للغة العادية حين عدّ هذه الأخيرة لا تخلو مطلقًا من التنظيم بل هي مكتملة وفي نظام على النحو التي هي عليه[2] وهي إشارة إلى أننا لسنا في حاجة للحديث عن هذا النظام من خارج اللغة بابتداع لغة جديدة من أجل وصفها أو تحديد مجالاتها.

وأيًا ما كان الأمر في ذلك فإن فتغنشتاين يهدف من وراء هذا التميز في رفض الميتالغة وهو الرياضي والمنطقي الذي بلغت شهرته عنان الفلسفة المعاصرة والراهنة إلى اقتلاع هذه الفكرة التي يساهم في إرساء دعائمها رياضيون ومناطقة من قبيل راسل وكارناب"Carnap" من بعده[3] ليجد نفسه مغردًا خارج سربهم وإن كان لكل واحد اتجاه يختلف عن اتجاه الثاني.

وإذا كان هذا هو موقف فتغنشتاين من الميتالغة فإن هذا الموقف قد تعرض للانتقاد كثيرًا، ولعلّ أبرز نقد وجِّه له كان من الألماني كارناب، ذلك أن فتغنشتاين قد اعتبر أن ما يمكن قوله

---

(1) Wittgenstein : Investigations philosophiques, p 72.

(2) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 5,5563).

(3) الزواوي بغورة: في مفهوم فلسفة العلوم، ضمن كتاب: **مدخل جديد إلى فلسفة العلوم –دراسة تاريخية نقدية–** إشراف الزواوي بغورة، مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة، د.ط، د.ت، ص 18.

يمكن قوله بوضوح دون حاجة إلى الميتالغة فإن كارناب وخلافًا لما ذهب إليه فتغنشتاين يعتقد ومنذ بداية تفلسفه العلمي أن جميع المشكلات اللغوية بمعناها الحقيقي ما هي إلا تحليلات لتركيبات لغوية[1]، ولما كان الأمر كذلك جاء مشروع كارناب في التمييز بين خطابين أو لغتين:

الخطـــاب الأول: أطلق عليه اللغة الشيئية "Object- language" وهو الخطاب الذي يتولى مهمة وصف الوقائع والحوادث التي تجري في العالم الخارجي في جانبها الكمي ومن أجل ذلك يعتمد في صياغة النظريات العلمية والفرضيات على لغة مجردة وصارمة هي لغة الرياضيات والتي مهمتها يمكن التحقق منها مباشرة بالخبرة الحسية.

الخطـــاب الثانـــي: وأطلق عليه اللغة الشارحة أو النظمية "Meta- language" ومهمة هذا الخطاب تتجلى في دراسة الخطابات والعبارات العلمية التي قيلت عن الوقائع من حيث تركيبتها اللفظية ومعانيها المنطقية وهي بذلك تتحدث عن كلمات اللغة ذاتها.

وإلى جانب هذين النوعين من الخطاب أو اللغة يضيف بعضهم عبارات أخرى تقع في شد وجذب بين النوع الأول والثاني وإليها تنتمي مسائل كثيرة يقال عنها أبحاثًا فلسفية[2] بمعنى أن هذا النوع الأخير يوجد فيه عبارات نعتقد أنها تنتمي إلى النوع الأول ولكنها في حقيقة الأمر تنتمي إلى النوع الثاني. وهذا النوع من العبارات ليس مدار بحثنا.

وعلى هذا الأساس وانطلاقًا من هذا التحليل يقر كارناب مسايرة لراسل بوجود اللغة الشارحة أو الميتالغة[3].

وعلى هذا النحو عبّر كارناب عن لغة اللغة بأنها مجموعة من الإشارات أو الحروف المعكوسة بواسطة قواعد أساسية هي قواعد النحو التي تدير العلاقات بين إشارات اللغة وقواعد السيمانطيقا التي تقوم بشرح صيغة هذه اللغة[4].

---

(1) رودولف كارناب (1891-1970) فيلسوف ألماني ارتبط اسمه بحلقة فيينا، من مؤلفاته الشهرة "التركيب المنطقي للغة" و"البنية المنطقية للعالم". جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص 463.

(2) عبد الباسط سيدا: الوضعية المنطقية والتراث العربي، تقديم طيب تيزيني، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1990، ص ص76-77.

(3) السيد تفادي: معيار الصدق والمعنى في العلوم الطبيعية والإنسانية، مبدأ التحقق عند الوضعية المنطقية، دار المعارف الجامعية، د.ط، 1991، ص 60.

(4) Malhelber. F.J: Epistémologie Anglo-Saxonnes, Presses universitaire de Nanmur, 1981, p43.

وإذا كان فتغنشتاين قد ذهب إلى أن اللغة لا تمتلك القدرة على الإحالة الذاتية برفضه الميتالغة، فإن كارناب يذهب إلى أن اللغة التي تتحدث عن العالم يمكن أن تترجم إلى لغة عن اللغة، ويكون ذلك باستخدام الفواصل انطلاقًا من أن اللغة التي يكون موضوعها الأشياء يمكن أن تتحول إلى لغة تتحدث عن اللغة وعليه وباستخدام الفواصل تستطيع أن تترجم الجملة التي تتحدث عن الأشياء إلى جملة تتحدث عن الرموز أو الكلمات[1].

وفي حديثه عن منطقية اللغة يذهب كارناب في كتابه الشهير الموسوم بالتركيب المنطقي للغة "The logical syntax of language" إلى أن أغلب التشكيلات العادية من النمط المادي للخطاب تعتمد أساسًا على استخدام كلمات شاملة وعامة غالبًا ما تؤدي إلى مشاكل مزيفة بسهولة كبيرة كسؤالنا مثلاً عن الأعداد هل هي أجسام واقعية أم مثالية، وهل هي ممكنة أو فعلية...[2] أي أن الطريقة المادية العادية في الكلام تلفها المشاكل واللاوضوح، وبغية الوصول إلى المعنى الحقيقي ينبغي ترجمة جمل الطريقة المادية في الكلام إلى الطريقة الصورية فيه[3]، ومن هذا القبيل تكون تصورات الوجود والعدم السارتري أو الهايدغري مثلاً ألفاظًا لغوية لا مراجع لها حسب كارناب بل ولا تعاريف منطقية محددة لها، لذلك تكون غامضة ومشوشة[4].

وبهذا الموقف –ومرة أخرى– يكشف كارناب عن ولائه لراسل على حساب فتغنشتاين وفتغنشتاين التراكتاتوس تحديدًا في موقفه من اللغة العادية والتي اعتبرها لا منطقية على الإطلاق بل هي عند كارناب مكمن الغموض والالتباس، ولا غرابة في أن نجده يدعو إلى تغيير اللغة التي نستعملها كاملة واستبدالها بلغة خالية من كل لبس وغموض، مستقاة من المنطق الرمزي حتى وإن كان مثل هذا الاختبار يقضي بإمكانية قيام أكثر من نموذج واحد للغة[5] وعليه يكون من حيث يدري أولا يدري قد فتح الباب لاستعمال ميتالغة ثانية تتعلق بالمستويات المنطقية.

أي أنه لو سلمنا –مع كارناب ودعاةً الميتالغة عموما– أن اللغة الشيئية هي من الدرجة (ن) بلغة الرياضيات، فإن لغة اللغة ستكون من الدرجة (ن + 1) ذلك لأنها تحتوي على عناصر اللغة

---

(1) Malhelber. F.J: Epistémologie Anglo-Saxonnes, Oc, p 63.

(2) Carnap. R: The logical syntax of language, trad by Sareaton Kegan Paul, London, p 15.

(3) وداد الحاج حسن : رودولف كارناب، نهاية الوضعية المنطقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2001، ص ص108-109.

(4) سامي أدهم : أنطولوجيا الفراغ، الحقيقة، والفلسفة التحليلية، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية، ع10، 1999، ص 106.

(5) جورج زيناتي: رحلات داخل الفلسفة الغربية، دار المنتخب العربي، بيروت، ط، 1993، ص 153.

الأولى كجزء منها، وفي نفس الوقت تحتوي على عناصر خاصة تجعلها أكثر غنًى من الأولى، من حيث أنها تشكل نسقًا أقوى يحتوي على متغيرات هي باصطلاح تارسكي "Tarski"[*] متغيرات أعلى[1] أين عمل على تطوير لغة اللغة لاعتماده على اللغة الشيئية[2]، وانطلاقًا من إمكانية صورنة "Formalisation" اللغة الشيئية، وكذا اللغة الشارحة (الميتالغة) فإنه ومن أجل صورة لغة اللغة يجب الأخذ بلغة لغة اللغة وصورنة هذه الأخيرة يقتضي منا اللجوء إلى لغة لغة لغة اللغة [(اللغة)[3]]، وهكذا إلى ما لا نهاية وفقا للتدرج التالي:

صورنة صورنة صورنة صورنة

ن ← ن + 1 ← ن + 2 ← ن + 3 ← (...) ن + ن

هذا وما يمكن الإشارة إليه أنه في الحقيقة هذا التفريق بين مستويي اللغة (شيئية وشارحة) سمح بولوج اللغة إلى عالم الفلسفة أين أصبحت موضوعًا خصبًا للبحث الفلسفي والمنطقي على حدًا سواء فكل نظرية في اللغة تتحدث في إطار لغة اللغة حسب "رايشنباخ" نظرية في "علم المعاني" الذي تكون مهمته دراسة أنواع التعبير اللغوي[3].

هذا فضلاً عن كشفها المستور عن اللامعنى الذي لم يعد ناتجًا عن غياب المرجع في قضية ما، وإنما أصبح مكمنه اللغة ذاتها حين أجاب عن السؤال الهام ماذا نعني؟[4] وذلك قد يكون السبب الوجيه الذي ظل فتغنشتاين على إثره يرفض لغة اللغة باعتبارها حديثًا عن اللغة حين قال: "لكن هل اللغة لغة واحدة: لماذا لا توجد طريقة أخرى للتعبير تسمح بالحديث عن اللغة بحيث هذه الطريقة تظهر في ترابط مع شيء آخر"[5] وأصر على اعترافه بمستوى واحد للغة رافضًا عودة اللغة إلى نفسها أو ذاتها.

---

[*] تارسكي (1901-1983) منطقي ورياضي أمريكي من أصل بولوني.انظر: Www.wikipedia.org

[1] حسن الباهي: اللغة ولغة اللغة، مجلة المناظرة، العدد 2، الرباط، 1989، ص 112.

[2] ألفرد تارسكي: مقدمة للمنطق ومنهج البحث في العلوم الاستدلالية، ترجمة عزمي إسلام، مراجعة فؤاد زكريا، الهيأة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1990، ص 20.

[3] هانز ريشنباخ: نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1979، ص 199.

[4] جمال حمود: فلسفة اللغة عند برتراند راسل، أطروحة ماجستير في الفلسفة، إشراف الزواوي بغورة، جامعة منتوري، معهد العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، 1995-1996، ص 269.

[5] Wittgenstein .L: Les carnets (1914-1916), p 129.

إذ لا توجد إلا لغة واحدة وعليه فالجزم باستحالة أن تصبح لغة ما موضوعًا للغة ثانية هو نتيجة منطقية وخلاصة متوقعة لفتغنشتاين الرياضي الذي يبدأ بناءه المنطقي الفلسفي بمصادرة هامة مفادها أن لا يمكن لقضية أن تتكلم عن قضية أخرى إذ أن ما ينعكس فيها لا يمكن تمثله حتى ولو كان ذلك على حساب فلسفته عامة وفلسفة تراكتاتوس على وجه خاص لا سيما ما تبع ذلك من نقدٍ فيما يخص هذه المسألة على وجه أدق[1]، وبهذه الكيفية وعلى هذا المنوال انتهى فتغنشتاين إلى رفض تراتبية اللغة بنفس الكيفية التي رفض بها نظرية الأنماط عند راسل.

4- تداعيات الفصل بين القول والإظهار في الرسالة:

إن فتغنشتاين بوضعه الفواصل بين ما يقال وبين ما يكتفى بإظهاره يكون قد فرق في واقع الأمر بين ثلاثة مستويات ما له معنى، ، وما هو خالٍ منه "Unsinnig"[2] وما هو خارج عنه "Sinnlos".

حيث يتجلى الأول في قضايا الواقع التي تكون صادقة أو كاذبة بحسب وجود أو لا وجود هذه الوقائع وتصنف ضمن ما يمكن أن يقال ويشمل القضايا التجريبية، أما الثاني فيظهر في القضايا الزائفة وهذه بدورها لا تحوز على المعنى كما أننا لا يمكننا الحكم عليها صدقًا أو كذبًا، وهذه تندرج تحتها قضايا الميتافيزيقا والأخلاق والفلسفة ذلك أن العبارات الميتافيزيقية ليست قضايا تجريبية ولا قضايا رياضية أو منطقية وبالتالي فهي كلام فارغ[3]، في حين يتبلور الثالث في صنفٍ من القضايا الذي يحافظ على قواعد التركيب والصياغة المنطقية للقضية ولكنه لا يرسم وقائع[4] وفيه تتجلى قضايا المنطق والرياضيات التي تكون صادقة دومًا صدقًا صوريًا باعتبارها تحصيل حاصل[5] حسب ما أسماها فتغنشتاين.

---

(1) أدى التمسك بهذا الرأي إلى تبعات عديدة ونتائج هامة أبرزها على الإطلاق توقيع أنهاء الرسالة والذي كان بشكل أو بآخر نتيجة منطقية لخوض الرسالة في المجال الذي لا يمكن قوله وما لحق هذه النتائج أيضا من مواقف متباينة. وسنتناول هذه المسألة بشيء من التفصيل في معرض هذه الدراسة.

(2) القضايا ذات المعنى هي القضايا الراسمة للوقائع صدقا أو كذبا أما الخارجة عن المعنى فهي قضايا المنطق في حين الخالية منه هي قضايا الميتافيزيقا. وهذا التقسيم للقضايا أورده جمال حمود في كتابه فلسفة اللغة عند فتغنشتاين، المرجع السابق، ص227.

(3) محمد محمد مدين: فتغنشتاين المبكر في الموسوعة الفلسفية، إشراف معن زيادة، المرجع السابق، ص 298.

(4) جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين ،المرجع نفسه ،ص ص 227-231.

(5) محمد محمد مدين: فتغنشتاين المبكر في الموسوعة الفلسفية،المرجع نفسه ، ص 298.

وانطلاقا من هذه المستويات الثلاثة يمكننا أن ندرج محاولته هذه ضمن ما يعرف بالاقتصاد في الفكر[1] ومحاولة الإبقاء فقط على ما له معنى، وقد أشار العديد من الباحثين إلى هذه الفكرة ذلك أنه باعتماده على ما له معنى فقط بوضع الحدود بين ما يقال وما لا يقال يكون قد طبق نصل أوكام بقواعده وفق ما تقتضيه اللغة الرمزية.

ولعلّ من أبرز تداعيات الفصل والتمييز بين القول والإظهار هو ظهور ما يعرف بالبعد الصوفي للتراكتاتوس إلى جانب بروز واضح للجانب الميتافيزيقي، وطالما أننا لا نستطيع هذه المرة الفصل بين الجانبين نتيجة تداخلها فكلاهما ناتج عن الآخر وكلاهما مؤدٍ إلى الآخر، سندرسهما في سياق واحد.

إذن لعلّ من أهم ما كشفت عنه التفرقة بين القول والإظهار هو الجانب الصوفي للرجل الذي أودعه ثنايا التراكتاتوس، ذلك أن الاقتصار على حصر كبرى قضايا الرسالة في مجال ما يمكن التكلم عنه دون الاهتمام بما يكتفى بإظهاره حجب دعوى الرسالة في مسألة الصوفية التي نستطيع اعتبارها مظهرًا من مظاهر ميتافيزيقا التراكتاتوس والمرتبطة بما لا يمكن للغة التكلم عنه، بالرغم أن ما يمكن التعبير عنه موجود وهذا يظهر نفسه وهو الجانب الصوفي[2].

وعلى هذا الأساس عدَّ موضوع الصوفي من أهم جوانب فكر فتغنشتاين وإن أسقطه الغالبية من دارسيه وشراحه من أبحاثهم تأثرًا بشكل أو بآخر بالوضعية المنطقية[3]. ولئن ارتبط مفهوم الصوفي في الرسالة بما لا يمكن للغة التكلم عنه أو بما لا يقال فإنه يكون مرادفًا للصمت[4].

وإذا كان فتغنشتاين قد قام بتحليل العالم واللغة في مرحلته الذرية بالاستعانة بالمنطق الرمزي الذي رسم حدوده فريج وراسل قبله، فإنه فيما تعلق بالصوفي يتجنب كل ما له علاقة بالمنطق ولا يتخذ أية علاقات منطقية وإنما يصعد ما يسمى السلّم الروحي "Scala paridisi" بعيدًا عن أية رمزية أو تأويل[5]. وإذا كان فتغنشتاين أيضًا قد قطع شوطًا كبيرًا في تشييد رسالته على أساس من المنطق، إلا أن الفقرات الأخيرة من الرسالة آلت بدون منازع إلى نزعة ميتافيزيقية

---

(1) Taha. A: Langage et Philosophie, Imprimerie de Fedala Mohammedia, Maroc, p 103.
(2) Granger. G: L. Wittgenstein, philosophie de tout temps, Oc, p 67.
(3) ماهر عبد القادر: فلسفة التحليل المعاصر ،مرجع سابق، ص 289.
(4) جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين، المرجع السابق ،ص 278.
(5) ماهر عبد القادر: فلسفة التحليل المعاصر،المرجع نفسه ،ص 290.

مضمرة عند الرجل لم تلبث أن صارت صريحة بإدخال مفهوم الصوفي، بالرغم من ظهور أكثر من عبارة أكدت ميتافيزيقا الرجل من قبيل الفقرة القائلة أنا هو عالمي بيد أن فكرة الصوفي، جعلت هذه الميتافيزيقا أكثر جلاءً.

وقد نتساءل تساؤلاً مشروعًا جدًا وهو لماذا هذا التضخيم في البحث عن ميتافيزيقا للرجل كمن يبحث عن قشّة وسط رمادٍ؟ ثم ولو وجدت فما الذي يتغير في فكر الرجل في حياته أولاً وفي امتدادات فكره بعد موته ثانيا؟

الواقع أن هذا التساؤل ما يلبث أن يكتسب الشرعية حين نتفحص الرسالة، ذلك أنه بدأ فلسفته بإدعاء رفضه لكل ميتافيزيقا[1] واعتبرها كلام فارغ لا طائل من ورائه، وقد يعترض معترض على ذلك بقوله أنه كان بهذا الموقف تلميذ جيّد لمور وراسل، غير أن كل من هذين الآخرين كانا أكثر موضوعية من فتغنشتاين ذلك أن الأول رغم ثورته على الميتافيزيقا إلا أنه لم ينكر إمكانية قيام نوع من الميتافيزيقا ونفس الأمر بالنسبة لراسل بحيث أننا واجدون في كتاباتهما أفكارًا ميتافيزيقية[2] بينما فتغنشتاين صادر منذ البداية على موقفه من الميتافيزيقا واعتبرها خاوية من كل معنى.

بيد أن المتفحص الجيد لقضايا الرسالة لا يعدم في فلسفتها عناصر ميتافيزيقية ذات أبعاد مثالية كما هو الأمر بالنسبة لفكرة الأناوحدية "أنا هو عالمي" الذي يفهم أن الذات أو الأنية منحلة ومنغمرة في العالم وحوله، الشيء الذي يولّد تعاليًا لها باعتبارها ذاتًا ميتافيزيقية تشعر بالعالم وما ذلك إلا شعور صوفي[3] يظهر ذاته ولا تستطيع اللغة بكل أساليبها التعبير عنه، لأنه أعلى من أن يصاغ في عبارات لغوية أو تصورات فكرية لأن هذا الشعور إذا ما عاين أحدنا فإنه يجعله ينقطع ويتوقف عن كل عملية فيها تفكير[4]، وفكرة الحد أيضًا "Limit" سواء حد العالم أو حد اللغة، وكذا فكرته عن القيمة وغيرها من الأفكار، لذلك فإنه مما لا ريب فيه أن النزعة الميتافيزيقية المثالية

---

(1) محمد محمد مدين: فتغنشتاين المبكر في الموسوعة الفلسفية، إشراف معن زيادة،المرجع السابق ، ص 298.

(2) المرجع نفسه، ص 298.

(3) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 6,45).

(4) Nef. F : Logique et Mystique à propos de l'atomisme logique de Russell et de Wittgenstein, in Acta de colloque Wittgenstein, p 118.

واضحة تمام الوضوح في الرسالة ولا تشكل الجانب الأضعف في الرسالة كما روّج عنها[1] لأن فتغنشتاين تكلّم كثيرًا لغوًا ميتافيزيقيًا من حيث يدري أولا يدري.

غير أن ما هو جدير بالتأكيد –في اعتقادنا– أن فتغنشتاين في فكره وفي نسق الرسالة تحديدًا لم يكن بإخراجه قضايا الميتافيزيقا والقيمة من مشروعه الضخم الباحث عن المعنى والمعنى المنطقي تحديدًا رمي إلى التدليل بأنها بدون فائدة ولا جدوى من طلبها بقدر ما كان يرمي إلى تحديد ما يمكن قوله بواسطة العلوم الطبيعية وبطريقة منطقية وفصله عما لا يمكن قوله[2].

وعلى هذا النحو وبهذه الطريقة فقط يمكن فهم الميتافيزيقا التي تلقي بالسلم اللغوي في قالبه الرمزي بعيدًا لعجزه على مواكبة كل التطورات الجديدة. ذلك أن قضايا التراكتاتوس لم تحترم الحدود الفاصلة بين ما يمكن قوله وما لا يمكن قوله، بقولها عبارات عن العالم، وعن الأخلاق وبتأكيد الفقرتين في الرسالة واللتان أصبحتا تعرفان بقضيتا رمي السلم. وهما: "إن المنهج الصحيح للفلسفة يمكن أن يكون هو هذا: ألا تقول شيئًا إلا ما يمكن قوله أي قضايا العلم الطبيعي، أي شيئًا لا علاقة له بالفلسفة"[3] وقوله أيضا: "إن من يفهمني سيعلم آخر الأمر أن قضاياي كانت بغير معنى، وذلك بعد أن يكون قد استخدمها سلمًا في الصعود أي صعد عليها ليتجاوزها بمعنى يجب أن يلقي السلم بعيدًا بعد أن يكون قد صعد عليه"[4].

هاتان القضيتان أثارتا الكثير من النقاش بين الدارسين والمهتمين بفكر فتغنشتين، غير أن الرأي الأصوب أنهما كانتا نتائج منطقية جدًا ترتبت عن ربط المعنى بوصف الواقع وبما أن عبارات واختصارات الرسالة قد تجاوزت الواقع بكثير وتحدثت مرارًا عن موضوعات لا علاقة لها بالواقع كان أغلب عباراتها مستحيلة منطقيا[5] وبذلك عليها التزام الصمت.

وباتجاهه نحو الصمت بوابة السلم الروحي يكون قد ابتدع وسيلة جديدة كشفت عن جانب مثير في حياته وازدادت حدة هذه الإثارة بإنهائه لشطر من حياته بطريقة عدّت الأغرب في

---

(1) محمد محمد مدين: فتغنشتاين المبكر في الموسوعة الفلسفية، إشراف معن زيادة،المرجع السابق، ص 298.

(2) شريف بركة: مفهوم اللغة في فلسفة فتغنشتاين ، مرجع سابق، ص 83.

(3) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 6,53).

(4) المصدر نفسه، (ق 6,54).

(5) Black. M: A companion to Wittgenstein's tractatus, Oc, p 188.

تاريخ الفكر الفلسفي خلفت وراءها كمًا هائلاً من الاستفهامات وطرحت بشأنها عديد السجالات.

ولعلّ من أبرز مواطن الغرابة والإثارة في الرسالة هو هذا المآل الذي وضعت فيه التراكتاتوس نقطة النهاية. لذلك قد لا نعدم الصواب مطلقًا وقد لا نجد غرابة في الجزم بأن رسالته ظلت نموذجًا طيبًا للغموض حتى في لحظات احتضارها. والإعلان عن إنهائها فور إدراكها بأن قضاياها مهددة بالخلو من المعنى، وفق أنه متى توقف الفكر عن إنتاج المعنى وتحدث عما يمكن إظهاره فإن هذا الفكر يتوقف عن أن يكون فكرًا وبذلك يحكم فتغنشتاين على حديثه بالخواء وتختم الرسالة بما مفاده حيث لا تستطيع الكلام ينبغي أن تصمت.

وبهذا المعنى كان وضع الفلسفة في الرسالة شارحة لحدود الخطاب الإيجابي الحاصل على المعنى والذي في إمكاننا قوله عن طريق تحديد وتعيين ما يمكن التفكير فيه[1] فقد صرحت التراكتاتوس بدقة أن ما يمكن التفكير فيه على الإطلاق يمكن التفكير فيه بوضوح، وكل ما يمكن أن يقال يمكن أن يقال بوضوح[2] وعليه تكون الفلسفة نشاطًا ليس من شأنه البحث عن إجابات لنوع خاصٍ من الأسئلة بل تقتصر مهمتها على تقديم مجموعة من التوضيحات لنوع خاصٍ من الوقائع التي لا تفسرها العلوم الوضعية[3] وبهذا تكون نتائجها موضحة للقضايا لا قضايا في حدّ ذاتها[4] وعلى إثر ذلك ما يبدو لنا من مشكلات فلسفة لا تعدو إلا أن تكون نتاجًا عن سوء فهم لغتنا، ومتى كان ذلك وقعنا في الخلط ولا تكون مهمتنا على حدّ تعبير فتغنشتاين إلا في إزالة هذا الخلط[5].

ومن هذه الزاوية يمكننا أن نتصور الفيلسوف الجيد مع فتغنشتاين الذي يمتنع عن وضع أسئلة لا إجابة عنها أو يثير مشكلة لا حل لها، فما غرضك من الفلسفة حسب فتغنشتاين إلا أن تبين للذبابة الطريق الذي يخرجها من الزجاجة بدلاً من أن تساعد في إغرائها في أن تظل داخل

---

(1) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 4,114).

(2) المصدر نفسه، (ق 4,116).

(3) شريف بركة: مفهوم اللغة في فلسفة فتغنشتاين ،المرجع السابق ص 103.

(4) المصدر نفسه، (ق 4,112).

(5) Wittgenstein .L: Les cours de Combridge, traduit par Régal, transeuro press, 1980, pp 24-25.

الزجاجة متحيرة[1] وعليه تكون الفلسفة حسب فتغنشتاين نشاطًا ونتيجة ليس لجمع كمٍ من المعارف، بل لجعل القضايا واضحة عبر التحليل المنطقي للغة، وبهذه الطريقة وصفت فلسفته بأنها فلسفة ضد الفلسفة، فعلى حين كانت اسمية أوكام نصلاً يجتث به الزيادات الطائشة للفلسفة كانت نضرية فتغنشتاين عن اللغة فأسًا يقطع به شجرة الفلسفة[2].

وإذا كانت للفلسفة رأي آخر واصطنعت لنفسها وظائف أخرى خارج التي حددها لها فتغنشتاين وظلت تتغنى بالحكمة والمطلقية وقعت في محضوراتها الخاصة، وقادتنا إلى الإرباك حيث مكامن اللامعنى ومواطن الخواء، وهي النتيجة ذاتها التي وصلت إليها فلسفة الرسالة لتضع لنفسها نقطة نهاية تفلسفها بالتزام الصمت، فلكي نفهم فلسفة الرسالة حسب تعبير "شميت" هو أن نعرف كيف نصمت[3].

هذه النتيجة التي آلت إليها الرسالة بإثارتها وبغرابتها لم يستسغها الكثير من المهتمين بالرسالة[4] نظرًا لأنه ليس من المألوف أن ينهي الفلاسفة كتاباتهم بأقوال تهدم ما قيل فيها من قبل وهو الشيء الذي يولّد إشكالات صعبة وأسئلة مشروعة جدًا لكل متفحص للرسالة من قبيل: كيف استطعنا أن نفهم قضايا الرسالة مادام أنها بدون معنى؟ ثم ماذا نصدق، هل نصدق فقرتا رمي السلم أم نصدق باقي قضايا الرسالة...؟ وحتى وإن صدقتا القضيتين الأخيرتين فإننا نكون في واقع الأمر بين حلين أحلاهما مر:

نحكم على الرسالة طبقا لهاتين القضيتين بأنها برمتها خالية من المعنى أو مجرد لغو.ولكننا في ذات الوقت يجب أن لا ننسى بأن هاتين القضيتين هما أيضا من قضايا الرسالة ذاتها فهما بالتالي خاليتان من المعنى شأنهما شأن بقية العبارات وهكذا نكون حسب فتغنشتاين المنطقي أمام عبارات ذات معنى وخالية من المعنى في نفس الوقت وهذا هو التناقض بعينه.

بيد أن كل دارس جيد للرسالة يدرك أن الصمت الذي انتهت إليه الرسالة لم يشكل قلقًا أو حيرة أو حتى نقصًا بالنسبة فتغنشتاين، وقد يتساءل أحدنا كيف ذلك؟ وتكون الإجابة عن هذا

---

(1) محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 110.

(2) المرجع نفسه، ص 107.

(3) جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين ،المرجع السابق، ص 280.

(4) جمال حمود: المنهج الصحيح وحقيقة الصمت الصوفي، المرجع السابق ،ص 235.

السؤال نفسه في ثنايا التراكتاتوس ذلك أنه وبتطبيق المفهوم الصحيح للفلسفة عند فتغنشتاين على رسالته المنطقية والذي حدده بطريقة واضحة وصارمة يكون فعل رمي السلم مشروعًا جدًا بل والأكثر من ذلك أنه علامة قوية على تفلسف جادٍ وحقيقي، لذلك لا نرى رفقة بعض الدارسين للرسالة جدوى من الاستغراب حول موقفه من رمي السلم أو إنهاء الفلسفة[1].

ثم أن صمت فتغنشتاين المتبلور في المفهوم الصوفي[2] لم يكن إلا نتيجة للصرامة والدقة الشديدتين اللتين مارس بهما فتغنشتاين الفلسفة في الرسالة والناجمتين أيضا عن التكوين الرياضي والمنحى المنطقي للرجل، فإذا كان فتغنشتاين وهو المهندس في إطار بنائه بيتًا لأخته قد قام بتهديم جدار بأكمله لمجرد أنه وجد أن النافذة كانت بعيدة عن مكانها الصحيح ببضعة سنتيمترات[3] فالأولى أن يهدم فلسفة الرسالة إن حادت عن المنهج الذي رسمه لها.

وإيمانا منه بأن فلسفة الرسالة قد تجاوزت فعلاً المنهج الصحيح الذي وضعته لنفسها بحديثها عن قضايا خارجة عن نطاقها من قبيل القيمة، الميتافيزيقا... فإن عليه أن يرمي بها بنفسه قبل أن يرمى بها من طرف نقَّاده.

وهذا ما انتهى إليه فعلاً باعتزاله الفلسفة واقتناعه أن كل ما يمكن أن يقال فيها قد قيل فعلاً، والتزامه الصمت الذي دام عقدًا ونيفٍ من الزمن.

---

(1) نذكر من بينهم على سبيل المثال: آير، رمساي وقد أوردهما جمال حمود في مقاله عن: **المنهج الصحيح وحقيقة الصمت الصوفي**،في: **الفلسفة بين تعدد المناهج ووحدة الحقيقة** ،المرجع السابق ،ص ص 234-235.

ونجد أيضا بعض من حاول إنقاذ الرسالة على غرار: بلاك، مالكولم، كونان. ويمكن الرجوع في تفصيل الحديث عن هذا المجال ينظر: جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين ،المرجع السابق ، ص ص 282-283.

(2) لتفصيل الحديث عن صوفية الرسالة يمكن الرجوع إلى:

Bouversse .J: Wittgenstein la rime et la raison " Mysticisme et logique", éd de Minuit, 1973, pp 21-72.

(3) هذه القصة أوردها جمال حمود في مقاله عن المنهج الصحيح وحقيقة الصمت الصوفي، ص 235. ثقلاً عن بول سراتون في كتابه: Wittgenstein : je connais, p 47.

الفصل الثاني

ألعاب اللغة والمقاربة الجديدة للغة العادية

المبحث الأول : بين الانقطاع والعودة للفلسفة بوادر مسار جديد للتفلسف

المبحث الثاني : نظرية ألعاب اللغة وتمظهراتها

المبحث الثالث : وظيفة الفلسفة ومهام الفيلسوف

المبحث الرابع : موقف فتغنشتاين في ضوء نظرية ألعاب اللغة من :

1 – قضايا المنطق والرياضيات

2 – اللغة الخاصة

3 – قضايا الميتافيزيقا

انتهى فتغنشتاين من رسالته إلى اعتزال الفلسفة ما يقارب عقدًا ونيف من الزمن عزلة تكاد تكون تامة[1] لاعتقاده بأن ما يمكن أن يقال قد قيل حقًا، ودخل في صمت جر معه الرسالة إلى الصمت الذي يقود إلى إنهائها، و لم يعد فتغنشتاين إلى الخوض في الفلسفة مجددًا إلا سنة 1929، ويكون خلال فترة صمته قد راجع فلسفته الأولى، وتوصل إلى أفكار جديدة انتقد بها أفكاره القديمة، إذ منذ استقراره بكامبريدج واشتغاله أستاذًا بجامعتها انخرط فكره في عملية هدم وإصلاح ونقدٍ أيضا تدريجية لأطروحات الرسالة بدأت بنصوص 1930 ملاحظات فلسفية " Remarques philosophiques" وكتابات سنتي (1931-1932) النحو الفلسفي" Grammaire philosophique" ليشرح بالدفترين الأزرق والبني (1933-1934)[2] والذي شكل المرحلة الحاسمة في تفكير فتغنشتاين تمهيدًا لبلورة كتابه الأبحاث الفلسفية "Investigations philosophiques" العنوان البارز في هذه المرحلة الذي عبّر تعبيرًا صريحًا عن النقلة النوعية في فكر الرجل واعتبره تصحيحًا لأخطائه في الرسالة، لتبرز بعدها الكثير من المؤشرات التي تدلل بوضوح على أن التحول العميق الذي عرفته أفكار فتغنشتاين الأخيرة إنما يرجع في مجمله إلى تغييره للبراديغم اللغوي الذي أسس عليه كتابه التراكتاتوس وبدا جليًا أن اهتمامه تحول إلى صلب اللغة العادية إثر عدم اقتناعه بالنمذجة التي اقترحها للغة قبل ذلك الحين.

---

[1] عزمي إسلام: فتغنشتاين، المرجع السابق، ص ص 51-52.

[2] صحيح أن فتغنشتاين اعتزل الفلسفة والتفلسف طيلة عشرية من الزمن تقريبًا لم يفكر خلالها في كيفية إنهائه للرسالة أو إعادة بعثها مما يدل على أنه كان على اقتناع بهذه النتيجة التي كانت طبيعية لأطروحات الرسالة ذاتها، ولأجل هذا السبب ستكون عودته هذه المرة للتفلسف بداية بالتخلي عن الأفكار التي قادته للصمت والعزلة غير أن هذه العزلة لم تكن تامة بدليل أنه كان يحضر بعض محاضرات حلقة فينا بالإضافة إلى الرسائل التي كان يتبادلها مع أعضائها شليك وفايسمان تحديدًا. أنظر: جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين، المرجع السابق، ص 205.

المبحث الأول:بين الانقطـــاع والعـــودة للفلسفـــة بـــوادر مســـار جديد للتفلسف:

1- الوظيفـــة الجديـــدة للتحليـــل:

لا يخفى على أي دارس للفلسفة المعاصرة الاهتمام الكبير والمتزايد بالجانب التحليلي إلى الحد الذي يحلو للبعض فيه وصف القرن العشرين بعصر التحليل برافديه اللغوي والمنطقي[1].

إذ بسطت حركة التحليل المتمثلة في الفلسفة التحليلية نفوذها على الساحة الفلسفية المعاصرة فأصبغتها بسماتها، وطبعتها بمبادئها والتي يمثل التحليل أهمها على الإطلاق.

وإذا رجعنا إلى الدلالة الاصطلاحية لما نقصده بالتحليل فإنه كمصطلح فلسفي من جهة، ومنهج من مناهج التفكير الفلسفي من جهة أخرى يشير لغة إلى إرجاع الكل إلى أجزائه[2]. حيث أن أصلها الاشتقاقي حسب "بول موي" دال على التفكيك[3] وقد جاء أيضا في لسان العرب تأكيدا على هذا بمعنى الفك والفتح[4].

في حين ذهب "لالاند" في معجمه الفلسفي إلى وصفه بأنه تفكيك كل معين إلى أجزائه سواء كان هذا التحليل ماديا كالتحليل الكيميائي أو ذهنيا كتحليل تصور معين[5].

و بالانتقال من مفهومه في اللغة إلى مفهومه كمنهج يكون التحليل انتقالا من المجهول إلى المعلوم أي إلى المعلوم الذي سنصل إليه عن طريق المعرفة[6]وهذا المفهوم للتحليل في السياق الفلسفي هو ذاته الذي يتبادر إلى أذهاننا.

إن السياق الفكري للفلسفة التحليلية يبين لنا أن هذه الأخيرة قد ازدهرت وزادت تألقا وانتشارا بأعلامها البارزين بدءاً بمور مرورا براسل ووصولا إلى فتغنشتاين هذا الأخير الذي تباينت بشأنه الآراء واختلفت حوله الدراسات في موقفه من التحليل ذاته. بين دفتي فكره والذي لم يكن

---

(1) High D. M .: Language persons and belief, oxford university press, New York, 1967, p 3.
نقلا عن: محمد مهران رشوان، دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 99.

(2) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، 1978، ج1، ص 254.

(3) بول موي: المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة فؤاد حسن زكريا، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص 392.

(4) ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ج2، ص 976.

(5) Lalande.A: vocabulaire technique et critique de la philosophie, Oc, p 54.

(6) يحي هويدي: دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص 301.

-في اعتقادنا- إلا استرسالا طبيعيا ومنطقيا لمواقف متباينة في فكر الرجل كموقفه من الفلسفة عامة وفلسفة الرسالة المنطقية خاصة وما أعقبها من تطورات هامة في نسقه الفكري، بدءًا بنقطة النهاية التي وضعها لتراكتاتوس والتي لم تكن بفعل فاعل، وإنما كانت بفعل فتغنشتاين ذاته[1].

وإذا اتفقنا على اعتبار أن غرض فلاسفة التحليل من التحليل هو تحليل اللغة، ذلك أن الذي دأب على تحليله المحدثون هو اللغة التي تقع عليها أعيننا مكتوبة، أو تطرق آذاننا مسموعة[2]، وبمعنى أكثر دقة تحليل الخطاب الحاصل على المعنى -بتعبير فتغنشتاين- بيد أن هذا الأخير قد مارس هذه الوظيفة بطريقتين مختلفتين طبعت فكره المتقدم والمتأخر ذلك أن فتغنشتاين في سنوات شبابه شايع[3] راسل في ذريته المنطقية وكان نتاج ذلك الرسالة المنطقية الفلسفية، التي مارس فيها تحليل منطقي صارم لعبارات اللغة موازاة مع تحليل لوقائع العالم في علاقة تناظر واحد بواحد[4]، و لم يكن ذلك إلا في خضم مشروع تأسيس اللغة الفنية الصورية.

وتأكيدا لفكرة أن المنطق لا يتحدث عن أي شيء بصفة خاصة[5] كما ذهب إلى ذلك راسل، جاءت لغة فتغنشتاين في رسالته المنطقية لوضع النقاط على الحروف وتبين أن غرض فتغنشتاين من التحليل هو الوصول إلى ما يمكن قوله وما يمكن قوله يمكن قوله بوضوح، والابتعاد قدر الإمكان عن اللامعنى وتحديدا عما لا يمكن قوله من قضايا الميتافيزيقا.

---

(1) فكرة إنهائه للرسالة وبالتالي فلسفته عامة هي فكرة فتغنشتاين ذاته، إذ لم تتعرض الرسالة للنقد البناء الذي يحط من قيمتها بقدر النقد الذي وجهه فتغنشتاين ذاته لها، بدليل أن جل الدراسات التي اتخذت من التراكتاتوس موضوعا لها لم تهمل موقف فتغنشتاين من قضاياها، للحد الذي نصل معه إلى القول -في اعتقادنا- وإن كان في ذلك مبالغة أنه الجزء الهام من الرسالة منذ التصدير حتى نهاية الكتاب.

(2) أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة، مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، المركز الثقافي العربي، منشورات الاختلاف، بيروت، د.ط، د.ت، ص 71.

(3) فكرة مشايعة فتغنشتاين لراسل مشايعة تامة في ذريته المنطقية ليست صحيحة فلكل من الفيلسوفين نسق خاص به ولغة خاصة به، ولا أدل على ذلك إلا موقف فتغنشتاين من المقدمة التي أعدها راسل لكتابه الرسالة.

(4) علاقة واحد بواحد عند راسل هي العلاقة التي تكفل ترابطا بين فئتين حد بحد حيث كل حد في أي من الفئتين له المترابط به في الفئة الأخرى، أنظر: راسل، مقدمة للفلسفة الرياضية، المرجع السابق، ص 55.

(5) برتراند راسل: ما وراء المعنى والحقيقة، ترجمة محمد قدري عمارة، مراجعة إلهام جلال عمارة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005، ص 314.

وبهذا المفهوم كان التحليل هو السمة البارزة في فلسفة الرجل حتى أننا نستطيع معها القول أن الفلسفة عنده تحليل ولا يضيرنا إن سرنا في ركاب من قال "أننا يمكن أن نتكلم لأول مرة بطريقة صحيحة عن وجود فلسفة للتحليل حينما نتكلم عن فلسفة فتغنشتاين"[1]، التي جعلت من التحليل ذاته غاية قصوى للفلسفة في سبيل توضيح مشكلاتها التي إذا ما وضع معظمها تحت مجهر التحليل يتضح أنها مشكلات زائفة أو أنها ليست مشكلات على الإطلاق.

وفي هذا الإطار حددت وظيفة الفلسفة في تحليل وتوضيح قضايا الرسالة وتحديدا نوعين من القضايا ،الأولى ما تعلق منها بقضايا الميتافيزيقا الخالية من المعنى من أجل استبعادها ،والثانية قضايا العلوم الطبيعية من أجل تبيين تركيبها وعلاقة أجزائها بالواقع[2] لذلك انصب التحليل في هذه المرحلة على تحقيق مهمته الأصلية في رد كل ما هو مركب إلى عناصره البسيطة والتي لا تنحل إلى ما هو أبسط منها وبناءا على ذلك ينحل العالم إلى وقائع[3] والوقائع الأولية إلى أشياء[4] وتنحل اللغة كذلك إلى قضايا وهذه تنحل إلى قضايا أولية[5] التي تنحل إلى أسماء[6].

غير أن ما تجب الإشارة إليه في هذا الصدد هو أن هذا النَّوع من التحليل كان وليدا لعدة ظروف لعلّ أهمها هو الاتجاه الرياضي المنطقي للفيلسوف، والذي أصبغ بل وطغى على فلسفته إذ لم يكد يتخلص من الإرث المنطقي لفريج حتى وقع في قيود راسل الرياضية لينسج لنفسه فسيفساء منطقية رياضية، خليط من أفكار فريج وراسل منها ما قبل وعدّل ومنها ما أوجد واستحدث ومنها ما رفض واستُؤصل[7].

---

(1) Maxwell. J : Philosophy and Linguistic Analysis, Oc, p75.

نقلا عن: كامل محمد عويضة: لودفيغ فتغنشتاين ، فيلسوف الفلسفة الحديثة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ص 112.

(2) محمود فهمي زيدان: مناهج البحث الفلسفي، المرجع السابق، ص ص 83-84.

(3) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 1,2).

(4) المصدر نفسه (ق 1,01).

(5) المصدر نفسه(ق 4,221).

(6) المصدر نفسه (ق 4,22).

(7) مثلا فيما يخص ما قبل موقفه من الميتافيزيقا أما عن جديده فهو موقفه من الفلسفة عامة وموقفه من اللغة العادية في حين كان رافضا تماما لفكرة الميتالغة أو فكرة وجود لغة ورائية، وهذه الإيضاحات كانت على سبيل المثال لا الحصر ويمكن الرجوع في ذلك إلى ما أسلفنا الحديث عنه في فصلنا الأول،ص50.

وعلى كل فإن الأمر الذي لا فكاك من الإشارة إليه –وإن كان على وجه الإجمال– هو أن فتغنشتاين قد اتخذ من التحليل للعالم واللغة منهجا وغاية في الوقت ذاته ألا وهي علاج الفلسفة من أمراضها المزمنة باكتشاف أن كل مشكلاتها التقليدية ليست مشكلات على الإطلاق، كما أقر ذلك فتغنشتاين ذاته حين رد الفكر إلى لغة ورد اللغة إلى تركيبات على صور معينة تصدق على وقائع العالم الخارجي الذي قوام كل واقعة منه شيء بسيط[1].

أما فيما يخص الضرب الثاني من التحليل عند فتغنشتاين فقد ولد مع عودته للفلسفة وتجلى بشكل أوضح في كتابات ما بعد 1929، لاسيما كتابه الموسوم بالبحوث الفلسفية الذي يعد العنوان الأبرز في هذه المرحلة.

وفي هذا الإطار أكد معظم الشراح والباحثين المهتمين بفكر فتغنشتاين بعد الرسالة أن التحليل في هذه المرحلة قد تغيرت وظيفته واتسع نطاقه، وسط الثوب الفكري الجديد الذي رسم أبرز سماته في التخلي الواضح عن استعمال اللغة الفنية الخالصة[2] للتعبير عن المواقف الفلسفية في مقابل اهتمام واضح وجلي باللغة العادية أو المتداولة يوميا والتي كان قد وصفها راسل قبل ذلك بغير الكافية للتعبير الدقيق إذا ما أخذت على حالها[3].

كما ابتعد فتغنشتاين عن فكرته الأولى في وظيفة اللغة من أنها تصوير للواقع وانتقل للإيمان بتعددية وظائف اللغة بتعدد معاني الرموز واستخداماتها[4] للحد الذي وصفت آراؤه المتأخرة بفلسفة اللغة العادية[5]. إذ بعد أن أصبحت اللغة وسيلة للاتصال بين الناس خدمة لأغراضهم المختلفة لوجوه نشاطهم الحيوي أصبحت مسألة تحليلها بمثابة الكشف عن التشكيلات اللغوية المختلفة أو ما أسماها بألعاب اللغة.

---

(1) عبد الغفار مكاوي: في مقدمته لكتاب البحوث الفلسفية تأليف فتغنشتاين، ترجمه إلى العربية وعلق عليه عزمي إسلام، مطبوعات جامعة الكويت، 1990، ص ص 20.

على الموقع الإلكتروني للمكتبة الإلكترونية: www.4Shared.com.

(2) نميل إلى تسمية لغة فتغنشتاين التراكتاتوس بهذه التسمية تمييزا لها عن لغة فريج الرمزية وراسل الكاملة منطقيا.

(3) راسل: ما وراء المعنى والحقيقة، المرجع السابق، ص 314.

(4) يوجد في القسم الأول من البحوث أمثلة متنوعة عن هذه الاستخدامات كالشكر والتحية والصلاة وإصدار الأوامر وإطاعتها، ووصف شيء، ورواية حادثة وقعت وغيرها.

(5) محمود فهمي زيدان: مناهج البحث الفلسفي، المرجع السابق، ص ص 85-86.

بيد أنه ورغم ذلك فإن الأمر الذي لا يزال يراوح مكانه في فكر الرجل المتقدم والمتأخر[1] على حد السواء هو أننا لا نجده يبتعد بالتحليل إلى ميادين أخرى خارج اللغة، لذلك ظل تحليل اللغة في رأي معظم الباحثين والمهتمين بفكره هو الهدف الأساس في فلسفته وفكره عامة.

وسيان الأمر في ذلك سواء في فلسفته المبكرة كما عبرت عنها الرسالة بوجه خاص أو في فلسفته المتأخرة كما تناولتها البحوث بصورة أساسية[2]، مع تأكيد واضح جمع المرحلتين معا في اعتبار الفلسفة ليست إلا تحليل للغة[3].

وعليه فإن فتغنشتاين يتابع مشروع الرسالة بطريقة غير مباشرة في مواصلة تحليل اللغة ومتابعة فكرة المعنى فيما بعد الرسالة على اعتبار أن الهدف الرئيسي من التحليل عامة هو تحويل الصياغات المجردة التي دأب على استعمالها الفلاسفة إلى أمور واقعية مستعملة في اللغة العادية الجارية بهدف تبديد ما حولها من غموض وضباب وكشف المستور من مصطلحات الفلاسفة الخالية من المعنى[4].

وبذلك يكون فتغنشتاين قد أسس من حيث يدري أو لا يدري وظيفة جديدة للفلسفة التحليلية عامة وهي دراسة اللغة العادية والبحث عن المعنى والدلالة في الاستخدامات اللغوية[5] انطلاقا من منهجه التحليلي الجديد في البحوث، إذ كان المهندس الرئيسي لهذا التحول حينما أكد على أننا نكتشف اللغة من خلال تحليلها والكشف عن استعمالاتها المتعددة في حياتنا اليومية[6].

---

(1) يرى بعض الباحثين أن مجمل الفلاسفة ذهبوا إلى أن فتغنشتاين أراد أن يقيم فلسفتين مختلفتين لكل منها تفسيراتها الخاصة بها، الأولى متمثلة في كتابه الرسالة أما الثانية فهي تنتمي إلى كتاب الأبحاث. أنظر: عبد الفتاح الديدي، الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، مذاهب وشخصيات، المرجع السابق، ص 266. لكن هناك من يرى بأن فلسفة فتغنشتاين واحدة وأن الأبحاث توسيع وتطور للرسالة لأن معالم تحوله لم تكن جديدة في مجملها ولتفصيل هذه النظرة ارجع إلى:
Granger. G : L. Wittgenstein philosophe de touts temps, Oc, p 71.

(2) عبد الغفار مكاوي: مقدمة البحوث الفلسفية، المرجع السابق، ص 22.

(3) في الرسالة نجد القضية (ق 4,0031) وفي الأبحاث نجد

(4) يحي هويدي: قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، ص 149.

(5) عطيات أبو السعود: الحصد الفلسفي للقرن العشرين وبحوث فلسفية أخرى، منشأة المعارف الإسكندرية، د.ط، د.ت، ص 10.

(6) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وعلى هذا النحو كاد يجمع أغلب دارسي المرحلة الثانية من فكره أنه انتقل انتقالا سحريا من التحليل المنطقي في الرسالة إلى الوصف في البحوث الذي غايته معرفة استخدام الكلمة أو التعبير[1] وبالتالي لفت الانتباه بوجه أو بآخر إلى العناية بالسياق ومحاولة فهم الآخر قدر الإمكان من خلال تحليل استخداماته للغة في إطار البحث دائما عن المعنى الذي كان محور كل دراساته[2].

2- النقـــد الـــذاتي لنظريـــة الرســـم المنطقـــي:

من بين المعالم الرئيسية التي أرست لبنات بناء الرسالة على الأساس المنطقي السليم ما يسمى نظرية الرسم المنطقي[3] "Blid theory" وفي هذا الإطار لا نستطيع أن نربأ بأنفسنا عن الحديث عن أهميتها في نسق الرسالة نظرا لثقل وزنها في الإجابة عن السؤال المركزي في فلسفة فتغنشتاين والمتعلق بماهية اللغة[4]، إذ عملت على كشف مصدر الوضوح في ما نقوله من قضايا بردها لهذا المصدر إلى تمثيل هذه القضايا للواقع الخارجي وبالتالي تكون قد هيأت الأرضية التي سمحت بتحقيق الهدف العام والنهائي أيضا ألا وهو رسم الحدود الفاصلة بين ما يقال بطريقة واضحة ومشروعة في اللغة[5] وبين ما لا يقال بنفس الوضوح وبنفس المشروعية ولا غرابة إذا وصفها"غرانجي" بأنها الأكثر جاذبية في نص الرسالة بدورها المركزي فيها[6].

إن فتغنشتاين هدف من دون شك من خلال فلسفة الرسالة، وإتباعا للخط الذي رسمه فريج وجسده راسل مواصلة السعي في التأسيس المنطقي للعلاقة بين اللغة والعالم، وتجسد هذا المسعى عند فتغنشتاين منذ اللحظة التي أعلن فيها ميلاد العلاقة الإشارية المباشرة التي تربط الأسماء بالأشياء[7].

---

(1) عبد المنعم الحفني: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، المرجع السابق، ص ص 952-957.

(2) Ouelbani. M : Wittgenstein et la philosophie contemporaine in Centenaire de Wittgenstein, colloque organisé par Ouelbani. M, Tunis, 3 et 4 Mars, 1989, p 76.

(3) للإشارة توجد إلى جانب هذه النظرية نظريتان أساسيتان في الخطاب المنطقي في التراكتاتوس ويتعلق الأمر بنظريتا حدود اللغة التي أسلفنا الحديث عنها في فصلنا الأول ونظرية الماصدقية والتي يوجد تحليل واف لها في: جمال حمود، فلسفة اللغة عند فتغنشتاين، المرجع السابق، ص ص 81-113.

(4) بيد أنه لم يفكر مطلقا في إمكانية تحديد هذه الماهية في حدود لغوية منطقية أنظر:

Marconi. D : La philosophie du langage au XX^{e} siècle, Oc. p 71.

(5) جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين ، المرجع نفسه، ص 164.

(6) Granger. G : L. Wittgenstein philosophe de touts temps, Oc, p 2.

(7) Blak. M: A companion to Wittgenstein tractates, Oc, p73.

ولم يكن فتغنشتاين ليضع هذا الهدف أساسا لفلسفته في الرسالة –مع ما في ذلك من مبالغة– ويعطيه هذه الأهمية في تخصيص وقت غير يسير من حياته في سبيل تحقيقه، إلا للخروج من وضع لغوي منطقي أقل ما يقال عنه أنه صعب للغاية بمفاهيم فريج وراسل وخاصة بمفاهيم فتغنشتاين التي أرجعته مباشرة إلى مظاهر الخلط والغموض فضلا على الإرباك الحاصل في الفلسفة لذلك لا فكاك في الخروج من هذا المأزق إلا من خلال وجود علاقة مؤسسة تأسيسا منطقيا بين اللغة والعالم، لا يزاحمها خلط ولا يشوبها غموض ولا يصاحبها إرباك، وما في ذلك إلا رسم للغة منطقية فنية وخالصة، سخرت التراكتاتوس كل آلياتها في سبيل تحقيقها في مقدمتها نظرية الرسم المنطقي التي سارت في خطين متوازيين يمثل أحدهما تحليل بنية العالم ويمثل الآخر تحليل بنية اللغة[1].

بيد أن فتغنشتاين بعد انقطاعه عن الفلسفة مدة ليست بالهينة راجع الكثير من الأفكار التي آمن بها طيلة عشرية من الزمن ودونها في كتابه الرسالة بكثير من الدغماتية[2].

بعد أن تبين له أن معالجته لمسائل الرسالة كانت بنظرة أحادية تحت التأثير الواضح للذرية المنطقية عند راسل تحديدا، إذ وعلى إثر تخلصه من الإرث المنطقي والرياضي لفريج وراسل، نلمس التغيير في المسار الفكري للرجل، بدليل أن الدور البالغ الأهمية الذي أدته نظرية الرسم للقضايا الأولية في فلسفة الرسالة جعلها تدفع الثمن أولا لاعتبار واحد –في تقديرنا على الأقل– يمكن تتبعه من خلال دلاليات الرسالة التي فسحت المجال للحديث عن نظام رمزي قوامه حصر كل قضية بما تشير إليه والأكثر من ذلك وربما الجانب الأكثر إثارة في هذا الكتاب هو التوصل من خلال هذه النظرية إلى المطابقة التامة بين حدود اللغة وحدود العالم[3].

هكذا وبعد أن تخلى فتغنشتاين عن الوظيفة التصويرية للغة فقدت نظرية الرسم المنطقي مبرر وجودها وسط انتشار واسع للحديث عن أكثر من نظام لغوي يتميز بنوع من الليونة وكثير

---

(1) صلاح إسماعيل: نظرية المعرفة المعاصرة، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط1، 2007، ص 109.

(2) اعترف فتغنشتاين في مقدمته لكتابه التراكتاتوس بهذه الدغماتية قائلا: "أحسب أن أفكاري التي سيقت هنا يستحيل الشك فيها أو هي فيما أرى أفكار مقطوع بصحتها"، ص 60.

ويمكن أن نستكشف هذا الاعتراف أيضا في الكتب اللاحقة للرسالة وخاصة كتابه:

Wittgenstein et le cercle de vienne, p 162.

وللمزيد من التفاصيل حول هذه المسألة يمكن الرجوع إلى:

Quilliot.R: Wittgenstein et le procès de la philosophie in visages de Wittgenstein, sans la direction de R.B Quilliot Banchesne, 1995, p 24.

(3) Baraquin .N, Laffile. J: Dictionnaire des philosophes, Armand Colin, Paris, 1997, p 333.

من التساهل في استعمال الألفاظ، و لم يعد الاهتمام وارد بمنطق الرسالة الذي لا يسمح باستخدام العلامة الواحدة بأكثر من معنى واحد ولا يسمح إلا بقول ما يكون صادقا أو كاذبا في حين وفر الحديث بعد التخلي عن بعض مظاهر حدود اللغة[1] حرية في الكشف عن فكر متحرك أصبحت معه الكلمة معبرة عن عدة أشياء وأصبح الشيء يوصف بكلمات عديدة في دلالة واضحة عن التخلي التام عن اختصار الرسالة القائل: "الاسم هو الشيء والشيء هو معناه"[2].

3- مـــن الدقـــة والحســـاب إلى المرونـــة والألعـــاب:

قد لا يخفى على أي دارس لفلسفة فتغنشتاين الرسالة أو فلسفته الأولى كما يحلو للبعض تسميتها أن اللغة كانت عنده على صنفين أو ضربين:

الضـــرب الأول: مثل لغة أولية معبرة على ما نعرفه حقيقة أي معبرة عن الظواهر وهو الضرب السائد في الرسالة.

الضرب الثاني: تمثله لغة ثانوية يومية تستعمل في تداولاتنا العادية، وكان على اقتناع إلى ذلك الوقت على الأقل بأن ثمة ضرب من التعارض يفرق بينهما، وبالرغم من دعوته بوضوح إلى لغة فنية صورية خالصة قوامها المنطق في الرسالة فإن موقفه من اللغة العادية لم يكن بهذا الوضوح وبهذه الدقة أيضا بدليل أنه ظل يتأرجح في اعتبارها في نظام على النحو الذي هي عليه[3] وبين كونها لا تحوز على معايير الدقة وأداة فاسدة لما يمكن قوله بوضوح (التمثيل المنطقي)[4].

غير أن ما هو جدير بالإشارة هنا هو ما تميز به فتغنشتاين على الجيل الكلاسيكي للمنطق الرياضي وأساتذته فريج وراسل خصوصا هو الموقف من اللغة العادية في الرسالة ذاتها، وفي أوج

---

[1] فكرة حدود اللغة ارتبطت ارتباطا وثيقا بنظرية الرسم المنطقي لكنها لم تختف تماما بعد الرسالة إذ لم يكن مصيرها كنظرية الرسم بدليل أننا نستطيع تتبع بعض مظاهر هذه الفكرة في كتبه التالية في الرسالة أين استطاعت التعايش مع المستجدات الفكرية للرجل ولذلك لا نرى مانعا من الإقرار بوجود هذه الفكرة في أعمال فتغنشتاين المتأخرة مع مراعاة طبعا كل التلوينات التي طرأت عليها ويمكن لمس هذه الفكرة في كتاب فتغنشتاين في النحو الفلسفي.

Wittgenstein .L: Grammaire philosophique, trad. A.Lescourret, ed, Gallimard, 1980, pp 123-124.

[2] فتغنشتاين: الرسالة، (ق 3,203).

[3] المصدر نفسه ، (ق 5,5563).

[4] المصدر نفسه، (ق 4,0031).

الخطاب المنطقي المزدهر في ذلك الحين إذ لم يدع إلى إنكارها وحذفها كما ذهب إليه المناطقة قبله والوضعيين التجريبيين[1] في عصره. وإنما حفظ لها مكانا في الرسالة اختلف النقاد في تحديد مجاله بين كونه لائقا لها وبين كونه وجها آخر لنقدها لا يصلح إلا للمقارنة مع لغته الفنية التي يكون قد تبناها في الرسالة حتى يثبت أهميتها وصلاحها لإقامة صرح اللغة المنطقي.

وسيان القول بهذه أو تلك فإن الأكيد أن فتغنشتاين اهتم باللغة اهتماما بالغا وإن كان اهتمامه بلغة منطقية رمزية خالصة في مرحلة الرسالة واضحا فإن اهتمامه باللغة العادية بدا أوضح بعد عودته للتفلسف أين أكد على أهميتها والتي كانت حتما على حساب اللغة الأولية الفينومينولوجية[2] "Phenomenological language" التي تبناها في الرسالة والتي تجلت بشكل أوضح في التعريف الإشاري للغة من حيث بنيته لمنطق الرسالة الذي يسند للكلمة دور الإشارة إلى الواقع، وقد سار تدريجيا في التقليص من حجمه بعد أن تأكدت له أهمية اللغة العادية.

ولعلنا لا نجانب الصواب إذا قلنا أن القواعد والحساب والدقة المنطقية والصرامة المنهجية التي اتسمت بها فلسفة فتغنشتاين الأولى برمتها قد تحولت إلى مرونة ونوع من التساهل غير المعهود في فكر الرجل الشاب، إذ قادته هذه الطريقة الجديدة في التفلسف إلى التخلي عن مجموعة من الأفكار التي قد نادى بها في الرسالة منها على سبيل المثال لا الحصر الفكرة الهامة في الرسالة القائلة أن الاسم يعني الشيء الذي نمثله ونشير إليه[3] إذا اكتشف أن هذه الوجهة من النظر لا تكشف إلا عن جانب واحد من جوانب اللغة المتعددة الذي يحصر في الوظيفة التصويرية[4] وهو التسمية القاصرة بعينها. ومحاولة التغلب على هذا القصور هي التي جعلها فتغنشتاين شغله الشاغل بعد عودته للتفلسف وما شهدته كتابات هذه المرحلة خير دليل على ذلك، إذ عثر على حيلة جديدة

---

(1) فيما يخص المناطقة نقصد راسل تحديدا أما ما يتعلق بالوضعيين التجريبيين فهم أعضاء حلقة فيينا بكل أعلامها وفي مقدمتهم كارناب.

(2) اللغة الفينومينولوجية هي اللغة الأولية التي لا تحتوي إلا على قضايا أولية تامة التحليل، إلا أن فتغنشتاين لم يذكرها بالاسم في الرسالة، جمال حمود، فلسفة اللغة عند فتغنشتاين، المرجع السابق، ص 261.

في حين أنه في بداية كتابه "الملاحظات الفلسفية" أشار إليها قائلا: "لم أعد اعتبر اللغة الفينومينولوجية أو الأولية شيئا ضروريا لأنها لم تعد ترمي إلى الهدف الذي أصبوا إليه" أنظر:

Wittgenstein. L: Remarques philosophiques, Trad. Faure, Gallimard, 1975, p 1.

(3) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 3,203).

(4) المصدر نفسه ، (ق 4,01).

أسماها الألعاب اللغوية "Language Games " وقد تبلورت هذه الفكرة في شكلها النهائي في كتابه الموسوم بالأبحاث الفلسفية بعد أن مهد لها بالدفترين الأزرق والبني، فضلا عن إشارات لها في كتابيه الملاحظات الفلسفية، وكتاب النحو الفلسفي لتصبح الباراديغم اللساني الأساسي البديل لتفسير معظم قضايا اللغة، معبرة عن ازدياد وعيه بقدرات وإمكانات اللغة العادية.

وفي كتابه الأبحاث الذي نشر سنتين بعد وفاته 1953[1] لا يتخلى فتغنشتاين عن بعض مظاهر الصرامة التي طبعت الرسالة فحسب بل يعمد فضلا عن ذلك إلى قياس دلالات العبارة انطلاقا استعمالها وعلى هذا الأساس أثار هذا المؤلف ردود فعل كثيرة لا تقل حدة عن تلك التي وجهت للتراكتاتوس ، فعلى حين كانت الرسالة تقدم في ترتيب وعلى نحو دوغمائي الأطروحات وكأنها قطيعة كانت البحوث تكشف عن فكر متحرك يتغنى بفضل حوار متخيل مع مخاطب ارتيابي، حوار لا يفضي إلى خلاصة قارة وثابتة[2].

وليس من شطط القول إذا ذهبنا مع معظم دارسي فتغنشتاين إلى القول بوجود هوة سحيقة بين الرسالة وبين البحوث، إذ هذا التباين الشديد بين الكتابين شاهد أكثر من ذلك على التباين بين فتغنشتاين الشاب وفتغنشتاين الكهل، ولا يسع القارئ لهذين الكتابين إلا أن يلج بنفسه إلى الفروق الحقيقية بين الإثنين إذ فعلى حين تختص الرسالة في الحديث عن اللغة في وضعها المنطقي تنشغل البحوث بفحص ألاعيب اللغة واستعراض استعمالاتها بطريقة فريدة من نوعها جعلت من الكتاب لوحة رسام أو ألبوم صور جمعت فيه مناحي شتى من الألعاب[3].

وفي الوقت الذي اهتمت فيه في الرسالة بما يمكن قوله أو بالأحرى ما يسمح للغة بقوله اهتم في البحوث بإظهار تنوع استعمالات اللغة العادية متنقلا من الحدود المنطقية للغة إلى العبارات التي تدور في اللسان الطبيعي، وقد لا نحتاج إلى جهد كبير لمعرفة أن فتغنشتاين الثاني باتت تؤرقه في المقام الأول قواعد التداول التي تنضبط لها اللغة العادية.

---

[1] جون إي جوزيف، نابل لفا وآخرون: أعلام الفكر اللغوي، التقليد الغربي في القرن العشرين، ترجمة أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديدة المتعددة، بيروت، ج2، ط1، 2006، ص 126.

[2] مؤلف مجهول: فتغنشتاين او من اجل فلسفة أخرى تقديم و ترجمة محمد فراطميسي مجلة فكر و نقد ،ع 14، ديسمبر 1998، الرباط، ص ص143-140نقلا عن:

Magazine littéraire n° : 362, Mars, France, 1967.

[3] Shulte. F : lire Wittgenstein , traduit de l'allemand par: M Charriere et J.P Cometli ,ed de l'éclat ,1992, P 44 .

صحيح أن الرسالة لم تول الاهتمام الكافي باللغة العادية و لم تخف في ذات الوقت تعقدها، إلا أن البحوث باعتبارها الكتاب الرئيسي في هذه المرحلة أو المنعطف الثاني في فكره عرض فيها التلوينات التي تنطوي عليها اللغة اليومية في ربط دائم مع ألاعيب اللغة ومن أجل ذلك السبب اتسمت مقاربة المباحث لقضايا اللغة بكثير من المرونة واللاوثوقية، قياسا بالرسالة في تعاملها مع اللغة العادية ذلك وأن لم تسقط التراكتاتوس لغتنا اليومية من حساباتها وذهبت إلى حد اعتبار قضاياها في نظام على النحو التي هي عليه وأكد ذلك فتغنشتاين عندما قال "فريج قال كل قضية بنيت على قواعد مشروعة يجب أن يكون لها معنى، وأنا أقول: كل قضية ممكنة هي قضية مبنية على قواعد مشروعة، وإذا لم يكن لها معنا فإن ذلك لا يرجع إلا لأننا لم نعط معنا للبعض مكوناتها"[1].

إلا أنه وعلى صعيد آخر لم تخف مطلقا رغبتها في تجاوزها إلى لغة فنية تعانق الرمزية[2] وراء لغتنا العادية في حين أخذ الاهتمام بهذه الأخيرة بعدا جديدا ووضعا آخر مع المباحث أين حرص على الاستعمال الفعلي للغة.

وعلى هذا الأساس يجمع من اهتم بدراسة فكر فتغنشتاين بعد عودته للتفلسف أو المرحلة الثانية من فكره كما يحلو للبعض تسميتها[3] أن لغته في هذه المرحلة لم تكن مطلقا حسابا منطقيا دقيقا إذ لكل قضية –بلغة فتغنشتاين التراكتاتوس– معنا محدد، وننتقل من قضية إلى ما يلزم عنها من قضايا حسب قواعد الاستدلال المنطقي الذي أُسس له منذ أرسطو وعرف تطورا وازدهارا مع الرعيل الأول من المناطقة الرياضيين ونقصد هنا تحديدا المنطق الرياضي الصوري البارز في جهود المنطقي غوتلوب فريج وأعمال الرياضي بيرتراند راسل وإنما أصبحت الكلمة عنده مطاطة تتسع استخداماتها وتضيق حسب الضرورة والاحتياجات[4]، و لم تصبح اللغة على حد تعبير أحدهم الرجل الصارم الذي يعرف دائما ما يريد ويفعل دائما وفقا لقاعدة محددة تفضي إلى نتيجة متوقعة

---

(1) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 5,4733).

(2) المصدر نفسه، (ق 3,325).

(3) Marcoui. D : La philosophie du langage au XX^{e} siècle,Oc, p 66.

(4) محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة ، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1985، ص 57.

وحتمية دوما[1] وإنما أصبحت اللغة كرجل فضفاض متفائل له مناشط متعددة ويتلاعب بما لديه دون صرامة أو خطة لغوية[2] وتلكم نتيجة متوقعة بناء على المنهج التحليلي المتبع في هذه المرحلة.

المبحث الثـــانـــي:نظريـــة ألعـــاب اللغـــة وتمظهراتهـــا[3]:

قد لا يخفى على أي أحد منا من أن الحياة الاجتماعية بظروفها المختلفة جملة من النشاطات والتطبيقات، كما أنها إبداع فكري، ثقافي، فني، تطبيقي، ديني... وتلك التعددية في الفعل الإنساني تساوقها تعددية في الفكر اللغوي تكفل من خلالها لكل من هذه المجالات إمكانية لغوية "Inventaire de langage" وكم من الكلمات موجه لتلبية احتياجات الإنسان في التواصل وعلى هذا الأساس ومن هذا المنطلق تبلور المفهوم الاجتماعي للغة عند فتغنشتاين ممثلاً في الألعاب اللغوية.

وأول ظهور لمصطلح الألعاب اللغوية كان في الكتاب البني "L. Brun" وهو الكتاب الذي جمعت فيه ملاحظاته التي أملاها على طلابه خلال العام الدراسي (1934-1935)[4] إلا أن كتاب البحوث الفلسفية الذي نشر سنتين بعد وفاته[5] أعطى إغناءً هامًا لموضوع لعبة اللغة خصوصًا في جزئه الأول. ذلك أنه ومنذ أن بدأ في إلقاء محاضراته الهامة في كامبريدج بعد عودته

---

[1] لا نقصد هنا كما لا يقصد فتغنشتاين الضرورة المنطقية التي كانت واضحة في الرسالة، وإنما الضرورة في إطارها الاجتماعي التواصلي.

[2] كان فتغنشتاين في كتابه الرسالة ينادي بالضرورة المنطقية كحتمية حين قال لا ضرورة إلا في المنطق كما لا استحالة إلا فيه لكن مع الأبحاث أصبح يتغنى باللاحتمية التي تصاحب الحرية في إطار قواعد لعبة لغوية ما.

[3] لم يقترح فتغنشتاين نظرية لغوية مطلقًا لا في كتاباته المتقدمة ولا المتأخرة، ولم يطرح أية صياغات نظرية، بل ولم يهتم في أن تكون له نظرية فلسفية وكان شعاره دائمًا أنه لا يريد أن يكون في موضع تقليد مقلِّد أو مقلَّد.أنظر:
Marcoui. D : La philosophie du langage au XX^{e} siècle, Oc, p 66.
.
لذلك سوف نقر من البداية بأن اعتمادنا مصطلح نظرية للألعاب اللغوية إنما جاء تعسفًا وتماشيًا مع الكثير من أفكاره، التي رأى فيها تلامذته والمهتمين بفكره أنها نظريات قائمة بذاتها حتى وإن كان رافضاً لفكرة التنظير في الفلسفة من أصلها.

[4] عبد الغفار مكاوي: في تقديمه للبحوث الفلسفية تأليف فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 25.

[5] هذا الكتاب يعد الأهم والأضخم بعد عودته للتفلسف يتكون من جزئين؛ الأول انتهى من تأليفه في 1945، والثاني ألّفه بين عامي (1947-1949) وقد نشر سنتين بعد وفاته أنظر: عزمي إسلام: ، فتغنشتاين مرجع سابق، ص 53.
هذا وقد اعتمدنا على هذا الكتاب في نسخته المترجمة إلى اللغة الفرنسية بشكل أساسي وأحيانًا نعود إلى الترجمة العربية التي قدمها عزمي إسلام للإطلالة عن بعض شروحاته وتعليقاته عليها.

للتفلسف عام 1930 كانت له تصورات جديدة تبلورت بشكل جيد في كتابه البحوث (...) تحت ما يسمى ألعابًا لغوية[1] والتي رسمت خطًا فكريًا جديدًا أكد أن كل لغة ما هي في واقع الأمر إلا جملة من الألعاب المعقدة والمشدودة بوضعيات الحياة[2] والتي تحدد داخل المجالات المميزة للفعل "Act"، ويمكن انطلاقا منذ ذلك تسجيل عدد لا نهائي من ألعاب اللغة.

وبهذا المنظور يجوز لنا التساؤل عن ماذا كان يقصد فتغنشتاين بما أسماه لعبة اللغة؟ وما وجه التماثل الذي ستنسجه اللغة مع اللعبة؟ وهي أسئلة مشروعة جدا، بل الإجابة عنها تشكل لب فلسفة البحوث.

1- مفهـــوم الألعـــاب اللغويـــة "Language Games":

تجدر الإشارة منذ البداية أنه وككل مصطلحات فتغنشتاين التي عهدناها في فلسفة الرسالة يواصل فتغنشتاين طابعه المتفرد في عرض أفكاره محافظا على أسلوبه الخاص ورابطا بذلك دفتي فكره بنسقية واحدة أيضا ولذلك لا تنئ ما يعرف بلعبة اللغة عن هذا السياق إذ لا يمكن أن نتوقع أن يعطينا مفهوما واضحا وتعريفا جامعا مانعا لما قصده بهذا المفهوم، ومن أجل ذلك نحاول تعقب المصطلح في ثنايا بحوثه من خلال تعدد المفاهيم الواردة له.

قد يكون من السالف الحديث عن أهمية التحليل بالنسبة لفلسفة فتغنشتاين إذ عدّ الأداة المثلى للوصول إلى الوضوح في كل فلسفته، بيد أن الجديد في ذلك كان في هدفه من تحليل اللغة البحث عن التشكيلات اللغوية أي الألعاب اللغوية التي تستخدم فيها الألفاظ أو العبارات المختلفة[3]، ذلك أن ما يقصده فتغنشتاين بما أسماه لعبًا لغوية لا يختلف عن لعب أخرى، وإنما وجه تميزها في أنها نوع من اللعب تستخدم فيه الرموز والكلمات للتعبير، حيث تتجلى ماهية اللغة الأساسية في اللعب بالكلمات وكيفية إخراج الصوت المنظم وتكوين الجمل باستخدام قواعد لغوية تساعد على الإدراك والتعبير الجيد كما تعالج على اكتشاف أشكال جديدة في طريقة التكلم.

---

(1) صلاح إسماعيل: فلسفة اللغة والمنطق، دراسة في فلسفة كواين، دار المعارف، القاهرة، 1995، ص 3.

(2) Taha. A : Langage et philosophie, Oc, p 121.

(3) عزمي إسلام: في شروحاته عن الرسالة المنطقية الفلسفية تأليف فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 169.

هذا وإذا كانت اللغة لعبة كبقية الألعاب التي يلعبها الناس في أوقات فراغهم فإن فتغنشتاين لم يعط لنا معنى واحد وبطريق مباشر للعبة التي يقصدها نتيجة لكثرة الأمثلة والتشبيهات التي يوردها[1].

خاصة وأن اهتداءه لهذه الفكرة -كما أشار إلى ذلك بعض الدّارسين- كان عشوائيا إثر مشاهدته لمباراة كرة قدم في أحد الملاعب، حين أدرك أن اللاعبين في لعبهم إنما يتكلمون لغة وبناءً عليه بنى افتراضه أننا نلعب باقي اللعب بالكلمات[2].

ولهذا السبب ايضا نجده يتوقف طويلاً في تشبيهه اللغة باللعبة "فلكي نتساءل ماذا عسى أن تكون اللعبة لو كانت اللغة مجرد عملية نستخدم فيها بعض الأسماء كبطاقات تقوم مقام بعض الموضوعات؟ لما كان ثمة صعوبة في أن نهتدي إلى إجابة محددة لهذا التساؤل، ولكننا لو عدنا إلى الحياة العادية لوجدنا أن كلمة لعبة تستعمل على أنحاء عديدة مختلفة"[3].

وقد يتساءل أحدنا في هذا الإطار عن وجه الشبه الذي يمكن إقامته بين اللعبة واللغة ؟ غير أننا بإمكاننا استعارة هذه التشابهات من خلال أن الأولى تتضمن قواعد تمامًا مثل اللغة كما أن اللغة فعل مثل اللعبة وهذا الفعل مكون من ألفاظ في حين اللعبة من قطع وأشكال، وإذا كان للغة نظام يأخذ فيه كل لفظ معناه اعتبارًا لمحيطه فإنه وبالموازاة مع ذلك كل قطعة أو شكل في اللعبة قيمتها من القطعة الأخرى في ظل قواعد ما.

هذا فضلاً عن الخاصية الاجتماعية التي تتصف بها كل من اللعبة واللغة على اعتبار أن هذه الأخيرة ما هي إلا ظاهرة اجتماعية ذلك أن ظهورها لا يظهر إلا من خلال التعامل في المجتمع تمامًا كاللعبة[4].

ولَما كان فتغنشتاين ليس بالذي يطرح أفكارًا دون الاقتناع بها فقد وضع تعبير اللعبة اللغوية في العديد من السياقات[5] ليكشف عن معاني رئيسة له ممثلة فيما يلي:

---

(1) محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 54.

(2) Malherbe. J : Langage ordinaire et philosophie chez le second Wittgenstein, séminaire de philosophie du langage, 1979-1980, Lanvin, Paris, 1981, p 15.

(3) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 259.

(4) سامي أدهم: فلسفة اللغة، تحليل العقل اللغوي، المرجع السابق، ص 137.

(5) Ibid, p 14.

1- أنها تعني في البداية بعض صور اللغة الأولية كتلك التي يستخدمها الطفل عند البدء في التكلم تمامًا مثلما يفعل مع لعبه[1].

2- أنها تحيل إلى ما يمكن تسميته أفعالاً لغوية[2] كالتهنئة والشكر والأمر وغيرها.

فضلاً على أنها تشير قبل كل ذلك إلى لغة كل يوم[3] والمرتبطة بكل الأفعال التي ينجزها الإنسان ونحوها من هذه الجوانب شُرِّع لنا الحديث عن لعبة اللغة تمامًا مثل اللعبة[4].

بيد أننا لا نعدم الدليل إذا قلنا بأننا لسنا واجدون حتى الآن موضوعًا محددًا يشير إليه هذا المفهوم والأكثر من ذلك أننا لا نكاد نعثر في الأبحاث كلّها عن ماهية جوهرية تجمع شتى الموضوعات التي اتفقنا أنها تشير إليه.

وربما قد يزول هذا اللبس أو على الأقل يقلل من حدته عندما نلمس في أقواله التي ضمنها الأبحاث إفاضة ليست بالهينة في استعراض شتى الألعاب المتداخلة فيما بينها شبكة معقدة من المتشابهات أطلق عليها المتشابهات العائلية "Family resemblance"، وبالنظر للتماثل الذي أقامه بين اللعبة واللغة فإن هذه الأخيرة أيضا في الاستعمالات المتعددة للتعبير الواحد تشكل أسرة واحدة، وإذا كان من العبث البحث عن طبيعة جوهرية للألعاب فإنه من العبث أيضًا البحث عن ماهية واحدة لمعانٍ مشتركة[5]، لكن ينبغي الإشارة في هذا الصدد إلى أنه وبالرغم من أن فتغنشتاين لم يأخذ هذا التماثل بين اللغة والألعاب مأخذ الجد على أنه وصف لتناظر تام بين الألعاب واللغة، إلا أنه كذلك لم يقصد أن يأخذه عرضيًا إذ يقول: "إننا نسمي كل طريقة لاستخدام الأسماء على نحو معين لعبة من ألعاب اللغة"[6] بل والأكثر من ذلك أنه سيسمي أيضًا "كل ما هو مؤلف من اللغة والأفعال المرتبطة بها، أي النسيج الكلي المكون من الألفاظ والأفعال بلعبة اللغة"[7].

---

(1) Malherbe. J : Langage ordinaire et philosophie chez le second Wittgenstein. Oc 14.
(2) Ibidem.
(3) Ouelbani. M : Wittgenstein et la philosophie contemporaine, Oc, p 78.
(4) Ibidem.
(5) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 259.
(6) L. Wittgenstein : Investigations philosophiques, Sec 07.
(7) Ibid, Sec 142.

وبذلك يمكننا أن نفهم بأن استخدامه لاصطلاح ألعاب اللغة لا يعني كونه مجرد تمثيل شارح لا يقدِّم إلا زاوية من الزوايا التي ننظر فيها إلى اللغة ونفكر بها ونتحدث عنها وإنما المقصود بهذا التماثل هو أن العمليات اللغوية تشبه الألعاب في بعض الجوانب إلا أن هذا لا يعني أن العلاقة بين اللغة والألعاب في هذا المستوى علاقة هوية[1]، بل الهدف الذي يكمن وراء الجمع بين هذين النوعين هو توضيح التشابه بين القواعد البسيطة للألعاب والقواعد المركبة للغات الفعلية فضلاً عن ما بينهما من تشابه عام إذ أن كل تقرير في اللغة هو حركة في لعبة، وباختصار نشاط محكوم بقواعد لابد من مراعاتها في كل لعبة من الألعاب وبهذا المعنى تصبح اللغة أشبه ما تكون باللعبة من حيث ضرورة التزام بعض القواعد في كلٍ منها، فكما أنه لو سمح كل لاعب لنفسه في أي لعبة بابتداع قواعد جديدة أثناء لعبه أو أساء تطبيق أصول اللعبة المتعارف عليها أو اعتمد بعض اللاعبين في وجه آخر على التزام السكون في اللعبة فإن كل هذا سيقود حيث الفوضى[2] ويعم الاختلاط الذي تفقد معه اللعبة قيمتها، وبالمثل ومناظرة مع اللغة، لو عمد أحدنا على ابتداع قواعد لغوية جديدة أو ذهب إلى مخالفة الأصول المتعارف عليها في قواعد اللغة، فإنه سيقع في الإرباك أيضًا ويوقع معه اللغة في الغموض الذي يجر إلى القضاء على جوهرها المتعارف عليه[3]، ومن هنا تنشأ مختلف المشاكل الميتافيزيقية.

وعليه فإذا كنا ملزمين في كلِّ لعبة على احترام قواعدها فإننا محكومين أيضا بالتزام قواعد تعبيرنا في كلِّ حالة وفي كل موضوع لبلوغ المعنى المقصود منه، ولا سبيل لمعانقة هذا المعنى إلا من خلال احترام الآليات التعبيرية في سياقاتها الدالة عليها.

ولتوضيح هذه المسألة أقام فتغنشتاين تناظرًا بين لعبة الشطرنج واللغة قائلا: "إن السؤال الذي يُسأل عما حقيقة اللفظ مماثل للسؤال ما قطعة الشطرنج"[4] وطبقًا للتماثل بين اللعبة واللغة تكون قطع لعبة الشطرنج لا معنى لها إلا في إطار اللوحة التي تلعب عليها، واستنادًا أيضا للأدوار المناطة بكل بيدق أو قطعة إذ يكون أحدهم جنديًا والآخر ملكًا، وكذلك الكلمات لا تكون ذات

---

(1) مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 108.

(2) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص ص 257-258.

(3) نقدم شرحًا كافيًا حول هذه المسألة عند تطرقنا لموقف فتغنشتاين من الميتافيزيقا في معرض هذه الدراسة.

(4) Wittgenstein. L: Investigations philosophiques, Sec 108.

معنى إذا استعملت منفردة ولا تصبح محيلة إلا عندما تكون مستعملة في إطار سياق لغوي[1]. وفي هذا الإطار تشير انسكومب إلى أن فتغنشتاين قد تأثر بفريج حين فرق بين معنى الألفاظ وبين ما تشير إليه الألفاظ من أشياء وكيفية استخدامها أي التفرقة بين المعنى والدلالة أثناء مناقشة صدق الموضوعات والمفهومات والقضايا والأفكار[2].

وعليه إذا كان تناقل الكلمة في اللغة هو الأساس فإنها تماثل نقل القطعة في لعبة الشطرنج، ثم إن الإنسان لا يعرف لعبة الشطرنج إلا إذا مارسها، وبذلك لن تكون لها قيمة ولا معنى إلا أثناء اللعبة تمامًا كاللفظ الذي لا معنى له إلا في سياقات استخدامه.

إذن وانطلاقًا مما تقدم نرى بأن أي تماهٍ قد يتبادر إلى أذهاننا بين لعبة اللغة ولغة اللعبة يجب أن يأخذ بعين الاعتبار المجال التداولي الاجتماعي والذي يعبر طلاقة عن آية التماثل بين الفعلين، فكما أننا نلعب ألعابًا بواسطة اللغة فإن ألعابنا لا تخلو في الحقيقة من لغة نتداولها بها وإن اختلفنا في تحديد وصفها.

ثم إن ما ينبغي الإشارة إليه أيضا في إطار هذا التماهي هو أن فتغنشتاين حين يتكلم عن ألعاب اللغة لا يعني مطلقا باللغة ما نقصده عن الفرنسية أو الإنجليزية أو غيرها بأنها لغات أو مجرد أنساق وقواعد اتفاقية، بل تكون مأخوذة بالمعنى الذي نعنيه حين نتكلم عن لغة العلم أو لغة الشِعر أو لغة الأخلاق[3]. ذلك أننا حين نتكلم عن لعبة لغة العلم مثلا فإننا نقصد منطقيًا الطرق التي تستخدم بها الحدود في الأغراض والسياقات العلمية بغرض الوصف أو الإخبار.

وذهب الرجل أبعد من ذلك حينما امتدت لعبته لتطال معنى أكثر خصوصية حين تكلم عن لعبة اللغة التي نستخدمها في استعمال الألفاظ الدالة على اللون مثلاً أو التي تستخدم عادة في حديثنا عن الألم وغيرها[4].

---

(1) تأثير فريج في فتغنشتاين واضح جدًا في رسالته عندما اعتبره أحد مصادر فكره بمؤلفاته العظيمة إلى جانب راسل (فتغنشتاين في تقديمه للتراكتاتوس) ولكن هذا الأثر يبدو مع أنسكومب أنه انتقل وامتد إلى أفكاره الجديدة التي ضمتها الأبحاث.

(2) Anscombe. G.L.M : An introduction to Wittgenstein tractatus, Oc, p 12.

(3) مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 107.

(4) عادل عوض: التحليل النفسي والتحليل الفلسفي العلاجي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، بيروت، د.ط، د.ت، ص 72.

2- مقـــومـــاتهـــا:

لقد كان ظهور كتاب الأبحاث الفلسفية حدثًا هامًا فاجأ الكثير من مريدي وأنصار الفيلسوف المتحمسين لفكره والمشتغلين بالدراسات الفلسفية في إنجلترا عامة بالنظر للأفكار المستجدة في مسار الفيلسوف، لذلك لا يعدم الدليل من أشار إلى أنه كان الوجه الآخر للقرن العشرين بامتداداته المختلفة، ذلك أن أهم بند وضع بين أيدينا بعد مخاضٍ عسير دام أزيد من عقد من الزمن هو ما نستطيع أن نسميه بحق نظرية جديدة في المعنى، ونتمادى في القول بأنها واقفة على النقيض من تلك التي ضمنها التراكتاتوس أطلق عليها المهتمين بفكره نظرية ألعاب اللغة، تلك النظرية التي أخذت على عاتقها البحث عن معنى الألفاظ في استخداماتها واستعمالاتها.

وبذلك تكون قد غيرت بعد ولادتها الكثير من المفاهيم والباراديغمات التي سار عليها الفكر الإنجليزي والوضعي على حد سواء زهاء النصف قرن من الزمن، وسنحاول إيجاز مقومات هذا المنعطف في النقاط التالية:

2-1- المفهـــوم الجـــديـــد للـــدلالـــة: المعنـــى فـــي الاستعمـــال:

مع البحوث الفلسفية لم يعد الجهاز الرمزي يشكل نموذجًا يستعان به في مجال المعنى كما كان في الرسالة حين أعطيت الأولوية وبامتياز لاستخدام واحد للغة على حساب كل الاستخدامات الأخرى إذ يتحقق المعنى حصريًا في عملية رسم أو تمثيل منطقي للواقع بواسطة القضايا الأولية باعتبارها أبسط وحدات التعبير، وما ترتب عن ذلك في إقامة صرح المعنى بطريقة آلية ومنتظمة ونهائية أيضًا وسط القوالب المعمول بها، وإن خالفنا ذلك وقعنا في مكامن اللامعنى التي تكمن مهمتنا في استبعاده بالمثل بطريقة منتظمة وآلية ونهائية أيضًا[1]، وتلكم خلاصة نظرية المعنى التي ضمنها رسالته المنطقية مخضعًا إياها لتوصياته السبع والتي لا نجد ضررًا في إعادة صياغتها على النحو التالي: (مقدمة- عرض- خاتمة).

المقدمـــة: كل ما يمكن قوله يمكن وله بوضوح.

1- العالم هو جميع ما هنالك

[1] جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين ، المرجع السابق ، ص 305.

2- إن ما هنالك –الواقعة– هي وجود الوقائع الذرية.

3- الفكر هو الرسم المنطقي للوقائع.

4- الفكر هو القضية ذات المعنى.

5- القضايا عبارة عن دالات صدق للقضايا الأولية.

6- الصورة العامة لدالة الصدق هي الصورة العامة للقضية.

الخـــاتمـــة: إن ما لا يستطيع الإنسان أن يتحدث عنه ينبغي أن يصمت عنده.

في حين أن المعنى الذي بات يقصده من خلال البحوث، أن ليس ثمة معنى واحد وثابت لكل لفظ من ألفاظ اللغة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإنما أصبح مقتنعا أن المعنى يتعدد وفقا لاستخداماتنا له، ووفقا لما تواضعنا عليه[1]، ولم تعد الحاجة لأي نموذج خارج استعمال الكلمات والجمل وفق قواعد معينة داخل المجتمع، وتصرح البحوث أن التصور الفلسفي للمعنى يجد مكانه الطبيعي في الفكرة البدائية عن كيفية قيام اللغة بوظائفها تماما عندما يعمل المعلم على لفت انتباه الطفل في تعلمه لشيء ما وهو يشير إليه.

ويسمي فتغنشتاين كل طريقة من طرق استخدام الألفاظ لعبة من ألعاب اللغة إذ تصرح الأبحاث أن "شرح معنى كلمة يكون بإظهار كيفية استخدامها"[2] ذلك "أنك تعرف معنى الكلمة لأنك تعرف كل استخداماتها"[3].

وبذلك سيكون لسؤالنا عن كيف للعبارات أن تمثل شيئا؟ جوابه عند فتغنشتاين باعتبار أننا نرى ذلك حين نستخدمها لأنه أثناء الاستخدام لا يكون هناك شيء خافي[4] وبمعنى آخر فإن سؤالنا عن لفظ ما هو بمثابة سؤلنا عن كيف يستخدم هذا اللفظ في ألعاب اللغة. وهذا بدوره يتطلب تذكر السياقات التي تعلمنا كيف نستخدم الكلمة بطريقة مناسبة وذات معنى، وبلغة فتغنشتاين علينا أن نكتشف بأي ألعاب اللغة تتعلق؟ ثم بعدها نكرر قواعد هذه اللعبة، كما هو

---

(1) ألفرد آير: الفلسفة في القرن العشرين، ترجمة بهاء درويش، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 253.

(2) Wittgenstein. L : Investigations philosophiques, Sec 247.

(3) Ibid, Sec 246.

(4) عزمي إسلام: فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 269.

الحال حين شخص ما يقول عزمي إسلام. ما هو البيدق؟ [عسكري الشطرنج]،فإننا يجب أن نجيب أولا بأنه أحد القطع المستعملة في لعبة الشطرنج ثم نردد القواعد التي تحكم حركات البيدق أثناء اللعب"[1].

وبناء عليه تكون ألعاب اللغة صيغا من الاستعمال أكثر بساطة من تلك الصيغ المعقدة جدا والتي تستخدم فيها العلامات في لغتنا اليومية، ولهذه الخاصية نجد أن الطفل يبدأ بواسطتها في استعمال الكلمات، لذلك ينبغي فحصها إذا ما أردنا إزالة الغشاوة الذهنية التي تغلف عادة الطريقة التي تستعمل بها الكلمات[2]، وإذا انطلقنا من حقيقة واضحة وهي كثرة الألفاظ في لغتنا ما يؤدي إلى كثرة طرق استعمالها وبالتالي كثرة ألعابها فكيف لنا أن نوفق بينها؟.

وإذا رمنا تحقيق هذا الهدف فإن ذلك لا يكون إلا إذا كان "فهمنا للكلمات ليس بالطريقة النظرية وإنما بالممارسة والطريقة العملية، وبتعبير فتغنشتاين أن يلعب الإنسان في الحياة اليومية، ومثلها كالذي يود تعلم السباحة فهو لا يسأل عن معنى كلمة "السباحة" وإنما يحاول تعلمها مباشرة إذ لا يتم في هذه الحالة شرح معنى السباحة لأنها تعتبر من قبيل الممارسة والاستعمال بل إن الاستعمال الفاسد للسباحة يؤدي بصاحبه إلى نتيجة لا يقبلها"[3].

ومن هذه الزاوية ندرك أن نظريتنا الجديدة في المعنى تعني أن معنى أي كلمة لا يتمثل في أي موضوع يفترض في الكلمة أن تقوم مقامه، وإنما حينما نتحدث في حياتنا العادية عن معنى أية كلمة فإننا نتحدث عندئذ عن الطريقة التي نستخدم بها تلك الكلمة. لذلك عندما نصدر قرارا أن هذا الشخص قد تعلم أو فهم معنى هذه الكلمة فإننا نعني بحكمنا أنه أصبح يعرف كيف يستخدم تلك الكلمة[4] وفي هذا السياق يقول فتغنشتاين لا تسأل عن المعنى وإنما اسأل على الاستخدام[5] إذ معنى الكلمة ليس غير طريقة أو طرق استخدام الناس لها في حياتهم اليومية فكان صاحب القول الشهير الذي سيكون له باع كبير في الفلسفات المعاصرة القائل: المعنى هو الاستعمال[1].

---

(1) عزمي إسلام: فتغنشتاين ، المرجع السابق ، ص 270.

(2) مؤلف مجهول: فتغنشتاين او من اجل فلسفة اخرى، تقديم و ترجمة محمد فراطميسي، المرجع السابق، ص144.

(3) علي بحري: المعنى وتطوره عند فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 101.

(4) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 257.

(5) Wittgenstein. L: Investigations philosophiques, Sec 340.

(1) Marconi. D : La philosophie du langage au XX^{e} siècle, Oc, p 73.

وفي معرض حديثه عن المبدأ الأساسي الذي ينبني عليه صرح نظرية الألعاب اللغوية والمتمثل في أن الاستخدام الصحيح للكلمة هو الذي يعطيها معنى، يورد فتغنشتاين العديد من الأمثلة منها على سبيل المثال لا الحصر قوله "إذا قلت مثلا أعطني السكر، وقلت أعطني اللبن لوجدنا أن كل عبارة من العبارتين السابقتين لها معنى، أما إذا قلت "لبن سكر" فإن ذلك لا يكون له معنى"[1].

هذا ويذهب فتغنشتاين أبعد من ذلك عندما اعتبر أن الألفاظ أو الكلمات التي لا تستعمل بمثابة جثث ميتة والذي يكسبها الحياة هو استخدامنا لها إذ أن هناك بعض الكلمات التي نسأل عن معناها مثل محفظة، قلم، كراس، بالبحث عن الشيء الذي تعبر عنه وترمز إليه إلا أن هناك بعض الكلمات لا نستطيع أن نسأل عن معناها مثل: ليس، لهذا، ولكن نسأل عن كيفية استعمالها فالمعنى ليس شيئا وراء سلوكنا اللغوي، بل هو عملية سلوك لغوي إذن فالمعنى هو الاستعمال[2].

وفي هذا الإطار نستطيع أن نتبين دروب نظرية المعنى الجديدة من خلال الاستخدام الصحيح للفظ انطلاقا من اللعبتين التاليتين:

اللعبـــة الأولـــى: تتعلق بإبراز تشابه ألفاظنا اللغوية بأدوات غرفة قيادة إحدى القاطرات.

ففي معرض حديثه عن الألفاظ باعتبارها وسائل تستخدم بطرق مختلفة تحت مظاهر مشتركة قدم لنا مثال تجريبي ممثل في تخيل غرفة إحدى القاطرات وكثرة المقابض الموجودة فيها مقارنة بكثرة ألفاظنا اللغوية وفي هذا الإطار يقول: "إن الأمر شبيه برؤيتنا لما هو موجود داخل غرفة قيادة إحدى القاطرات إذ أننا نرى مقابض متشابهة إلى حد ما –وهذا التشابه طبيعي طالما أنها ما نمسك به– بيد أن كل واحد منها وظيفة خاصة إذ منها ما هو خاص بذراع الدولاب الذي يمكن أن نحركه من أجل التنظيم بصفة مستمرة، ومقبض آخر يختص بجهاز التحويل يشتغل في وضعين إمّا لوصل –تقريب– التحويلة أو نزعها –أو فصلها– ومقبض ثالث خاص بإيقاف الحركة الذي كلما ضغطنا عليه كان إيقاف حركة القاطرة أسرع [يعادل المكبح في السيارة] وهناك مقبض رابع يختص بمضخة تعمل تبعًا لحركة هذا المقبض إلى الأمام أو إلى الخلف[1].

---

[1] Wittgenstein. L: Investigations philosophiques, Sec 498.

[2] عبد الرحمن بدوي: اللغة والمنطق في الدراسات الحالية، مجلة فكر ونقد، ج1، ع1، 1971، ص 72.

[1] Ibid, Sec 12.

ومن خلال التمعن في هذه اللعبة التي أرادنا فتغنشتاين أن نتخيلها معه ندرك أن الاستعمال الصحيح هو الذي يعطي معنًا لأدوات هذه القاطرة وبالمثل فإن ألفاظنا وكلماتنا تصبح ذات معاني إذا استعملت استعمالاً جيدًا جعلها تؤدي وظيفتها، وكما سبق وأن رأينا في غرفة القاطرة كل مقبض له وظيفة محددة واستعمال خوِّل له وإن أخل بهذا الاستعمال وتجاوز هذه الوظيفة عمّ الخلل وأصاب التوقف أجزاء القاطرة. كذلك بالنسبة لألفاظنا وبهذا ندرك أن فيتغنشتاين لم يمنح حرية مطلقة للإنسان في استخدامه للألفاظ وإنما هي حرية متعلقة بالاستعمال وخاضعة للقواعد تمامًا عندما نقول "2 + 2 تكون أربعة" يمكننا أن نعوض "تكون" بعلامة التساوي إذ أن هناك قاعدة تمكننا من وضع عبارة التساوي في الأولى وتمنعنا عن ذلك في العبارة الثانية[1].

فلا وجود إذن للعبة اللغة بدون قواعد كما لا وجود لأي لعبة أخرى بدون قواعد ذلك أنه حيثما يوجد فراغ في القواعد لا توجد اللعبة[2].

اللعبـــة الثـــانيـــة: لعبة البائع والزبون:

في إطار بناء المفهوم الفلسفي للمعنى يطلب منا فتغنشتاين أن ندرس معه الاستخدام الافتراضي (الخيالي) للغة في لعبة لغوية أبطالها صاحب دكان وزبون يعطي صاحب الدّكان قصاصة من الورق مكتوب عليها هذه العلامات "خمس تفاحات حمراء" يأخذ هذا الشخص الورقة إلى صاحب المتجر الذي يفتح الدرج الذي مكتوب عليه علامة تفاح ثم يبحث عن كلمة أحمر في قائمة أمامه، ويجد نموذجا لهذا النوع في مقابل تلك الكلمة، ثم ينطق سلسلة من الأعداد الصحيحة التي يفترض أن يعرفها عن ظهر قلب حتى كلمة خمسة وهو يأخذ مع كل عدد تفاحة من الدرج لها نفس لون النموذج الملون[3].

ولا يذكر فتغنشتاين إلى حد هذه النقطة سبب طلبه من القارئ تصور هذه اللعبة اللغوية لكن هناك شيء جدير بالملاحظة عندما يشرح فتغنشتاين ما تعنيه كلمتا "أحمر" و"خمسة" فإنه لم

---

(1) L. Wittgenstein : Investigations philosophiques, Sec 558.
(2) Ibid, Sec 546.
(3) Ibid,. Sec 1.

يذكر أنهما تشكلان شيئيين معيين، وإنما نجده يخبرنا ببساطة عما يفعله صاحب الدكان عندما يتسلم الملحوظة المكتوبة[1].

وإذا انطلقنا من فكرة أن فتغنشتاين في كتاباته المتأخرة قد ارجع ما يسمى الإرباك الفلسفي والمشاكل الفلسفية الناجمة عن التعسف والأوهام إلى سوء استعمال اللغة وميلنا حينما نفلسف الأمور إلى فرض خصائص معينة نستخدمها في تمثيل ظاهرة ما غير أننا نجده في هذه اللعبة يطرح سؤالا يثير الإرباك لا يلبث أن يزيله بطريقة أثارت إرباكا أيضا حين نجده يقول ولكن ما معنى كلمة خمسة؟ ويجيب نفسه بأن هذا ليس من اهتمام بحثه وإنما صميم اهتمامه ينصب فقط على كيفية استخدام كلمة خمسة[2]؟ لأن مثل هذه الأسئلة هي التي تقود إلى الإرباك الفلسفي.

ومن زاوية أخرى وما هو جدير بالبيان في معرض تحليلنا لما يقصده فتغنشتاين بمعنى الاستخدام أو الاستعمال في فلسفة الأبحاث الجديدة أن هذا الأخير أي الاستعمال لم يكن جديدا بدليل أن فكرة الاستعمال في حد ذاتها لم تكن مفهوم حديثا في فلسفة فتغنشتاين –إذا سايرنا طبعا الاتجاه القائل بأن فلسفته الثانية مقطوعة الصلة بالأولى– إذ عشنا معه تطبيقاتها في الرسالة مثلا حين قال أن الأسماء لا تدل إلا إذا استخدمت في القضايا الأولية أين تكون مرتبة ترتيبا منطقيا[3].

لكن وجه الاختلاف بين مفهوم الاستعمال في الرسالة وبين مفهومه في الأبحاث في أنه مع فلسفته الجديدة أدخل مفهوما جديدا للاستعمال "Use" وهو ما يمكن أن نطلق عليه المفهوم الاجتماعي للغة الذي يهدف إلى تحقيق أغراض الأفراد المختلفة في مجتمعاتهم[4] وبهذا المعنى لن تبقى اللغة جامدة ومحتفظة بصور معينة داخل قوالب جاهزة مفروضة كالمنطق بل إنها ستواكب التنوع في أغراضنا من استخداماتنا لها، إذ حينما نتحدث عن معنى المعنى في لغتنا العادية فإننا في الواقع نتحدث عن المعنى الذي نستخدم به تلك الكلمة، وعندما نقول عن شخص ما أنه فهم معنى الكلمة، نقصد أنه فهم أو تعلم استخدامنا لها نقول أنه أصبح عضوا في جماعة لغوية معينة[1].

---

(1) جون أي جوزيف وآخرون: أعلام الفكر اللغوي، المرجع السابق، ج2، ص 132.

(2) L. Wittgenstein : Investigations philosophiques. Sec 1

(3) جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 280.

(4) عبد المنعم الحفني: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، المرجع السابق، ص 954.

(1) المرجع نفسه، ص 955.

وبناء عليه ونظرا للاعتبارات السابقة نجد أنه من وضوح البيينات الاختلاف الواضح بين الدلالة عند فتغنشتاين التراكتاتوس وفتغنشتاين الأبحاث ذلك أنه بتخليه عن أفكاره السابقة وبمجاوزته الذرية المنطقية كما جاء بها راسل بالابتعاد عن أعمدتها السابقة لاسيما ما تعلق منها بالمعنى أين كان يرى أن معنى الاسم هو الشيء الذي يشير إليه، في حين نجده في الأبحاث يفرق تفرقة واضحة بين الاسم والمسمى الذي يحمل الاسم بدليل قوله "الشيء أو الفرد المسمى باسم هو ما يقابل الاسم ولكنه لا يكون معناه أو دلالته لأن معنى الاسم أو دلالته تتحدد وفقا لشيء آخر غير وجود مسماه، وذلك هو النحو الذي يستخدم عليه اللفظ أو الاسم في اللغة بطريقة ذات معنى"[1].

وهذا هو الفارق الجوهري بين دلالة الاسم في الرسالة ودلالته في الأبحاث من حيث أن هذه الأخيرة ترى بأن دلالة اللفظ لا ترتبط بمسماه فليس من الضروري أن يكون لكل اسم مسمى متحقق بالفعل تماما عندما نقول أن "X" هو اسم شخص معين والذي يعني ويشير إلى أن هناك فرد معين يصدق عليه هذا الاسم، لكن قد يسأل سائل ماذا لو مات هذا الشخص فهل يصبح هذا الاسم بدون معنى اعتبارا لموت حامله؟ غير أن مثل هذا السؤال كان يُفْترض أن يُسْأَل لفتغنشتاين التراكتاتوس لأن الأبحاث لا تجد حرجا في الإجابة على أن الإنسان يقول أن حامل هذا الاسم قد مات ولكنه لا يقول أن المعنى قد مات، فمثل هذا القول يكون لغوا، لأنه لو زال معنى الاسم لما كان هناك أي معنى لقولنا إن X قد مات"[2] فللاسم معنى حتى ولو غاب مسماه.

وفي ذات السياق أيضا تبدّى لنا مع فتغنشتاين أن الذي كان قد اعتبره عيبا من عيوب لغتنا في استعمالها لكلمتين بمعنى واحد، أو لكلمة بمعنيين أصبح ركيزة أولى من ركائز صرح نظرية الألعاب اللغوية، حين قال: "أن اللفظ الواحد يستخدم بمعنيين مختلفين مثل فعل الكينونة في عبارة "هذه الوردة تكون حمراء" والذي يختلف معناه في عبارة أخرى مثل 2 +2 تكون أربعة"[3].

ومشروعية وجود معنيين للفظ واحد عند فتغنشتاين راجع إلى طريقة استخدام اللفظ في السياقات المختلفة إذ يقول تعقيبا على ذلك "ألن يكون غريبا إذن أن أقول أن كلمة "يكون"

(1) L. Wittgenstein : Investigations philosophiques, Sec 43.
(2)Ibid, Sec 40.
(3) Ibid,Sec 43

تستخدم بمعنيين مختلفين (كرابطة وعلاقة تساوي)، ولا اهتم بأن أقول بأن معناها هو طريقة استخدامها –أعني– أنها أداة ربط وعلامة تساوي"[1].

وقد وضح ذلك أيضا عزمي إسلام في إطار حديثه عن الدلالة عند فتغنشتاين في الأبحاث حين أشار أن فتغنشتاين فعلا قد قصد استخدام لفظ واحد بأكثر من معنى في السياق الواحد مثل قولنا: "إن مستر سكوت ليس سكوت" حيث اللفظ في الحالة الأولى اسم علم يشير إلى شخص معين مسمى بهذا الاسم، في حين هو في الحالة الثانية كلي أي أن يعني أن الشخص اسكتلنديا" وعليه فاللفظ الواحد يستخدم بأكثر من معنى في نفس السياق[2].

وإذا سايرنا فتغنشتاين في هذه الرؤية الجديدة في إطار نظرية الألعاب التي ضمنها الأبحاث نصل إلى حدّ يجعلنا نتساءل وبإلحاح عن المعنى النموذجي للفظ؟ فإذا كان للكلمة الواحدة معان مختلفة باختلاف استخدامها ووسط تعدد هذه المعاني نتساءل أي هذه المعاني يشكل معناها؟ بمعنى هل يوجد معنا واحد لهذه المعاني كلها وبعبارة أخرى ما هو المعنى الذي نأخذ به على أنه المعنى النموذجي وسط تعدد المعاني؟ إن فتغنشتاين لا يرى بأن هناك معنى نموذجي للكلمة أو اللفظ الواحد يكون أفضل وأصدق وأحق وأشمل من معنى آخر بل كلها معان صحيحة بالنظر إلى الألعاب اللغوية التي وظفت فيها[3] وكأننا به يريد أن يقول لنا أننا إذا بحثنا عن معنى نموذجي واحد للفظ أو المعنى فكأننا نبحث عن نموذج واحد للألعاب اللغوية يكون أفضل وأصدق وأحق وأشمل من الألعاب اللغوية الأخرى.

وبالتالي فإن ما يريد فتغنشتاين التأكيد عليه في معناه الجديد للدلالة إنما يكمن في أن الاستخدام الفعلي للكلمة في اللغة العادية هو الذي يحدد معناها الصحيح.

2-2- توسيع مفهوم الفكر والمدلول الجديد للنحو:

من بين المفاهيم الهامة التي قامت عليها نظرية الألعاب اللغوية مفهومي الفكر والنحو بالطابع الجديد لكل منهما ونبدأ أولاً بـــ:

---

(1) L. Wittgenstein : Investigations philosophiques, Sec 561.

(2) عزمي إسلام: فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 268.

(3) محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 109.

أ- توسيـــع مفهـــوم الفكـــر:

تعتبر العديد من الدراسات أن الفكر نتاج اجتماعي من حيث أسلوب بدايته ومنهج قيامه بوظائفه وخلاصة نتائجه[1] ونجد تفسيرًا لهذا الإدعاء في الحقيقة القائلة بأن الفكر يرتبط ارتباطًا شديدًا بأنشطة كالعمل والكلام التي هي من الخصائص المميزة للمجتمع الإنساني وحده[2].

وعليه يكون الفكر النشاط الجوهري لأي فاعلية إنسانية، ومن ثم يمكننا القول أن فكر الإنسان يتم في أو ثق ارتباطه مع الكلام ونتائجه يعبر عنها في اللغة، فالفكر لا يوجد خارج الكلمات كما قال ميرلوبونتي.

وإذا كان هذا هو مفهومنا العام للفكر فإن فتغنشتاين له مفهوم آخر للفكر أكثر خصوصية، إذ نجده يردف تعريفات عديدة له في رسالته من قبيل قوله: "في القضية يجيء الفكر معبرًا عنه في صورة تدرسها الحواس"[3] و"الفكر هو القضية ذات المعنى"[4] وبهذا نجد فتغنشتاين يرُد الفكر كله إلى صيغة قضية يكون لها معنى، ومعنى هذا أن القضية هي المعنى أو الفكر القائم في الذهن والذي يعبر عنه بواسطتها.

ولا يفوتنا الإشارة هنا إلى أن الرسالة بأكملها كعنوان بارز في مرحلة مضيئة من فكر فتغنشتاين قد جعلت هدفها الرئيس إقامة حدٍّ للتفكير وحصرت التفكير الصحيح فيما يمكن التعبير عنه وقوله بوضوح، أما ما لا يمكن أن نفكر فيه وبالتالي أن نعبّر عنه فهو من قبيل اللامعنى. وعليه فإن ما نلحظه في الرسالة هو الربط الصارم بين الفكر والمعنى إذ حيثما يوجد معنى يوجد فكر، وحيثما يوجد فكر يوجد معنى.

وعملية حصر وتحديد الفكر بهذه الشاكلة إنما جاء خدمة لتحديد المعنى[5] الذي بنيت عليه الرسالة بأكملها. وجاء التعبير عن هذا المعنى في لغة الرسالة المعبرة عن الفكر بلغة خاصة لغة المنطق التي حصرت التفكير الصحيح فيما يمكن أن نقوله ونصوغه في هذه اللغة، وما سواه فهو في سياق اللافكر حيث اللامعنى استنادًا إلى أن المعنى يوجد حيث الفكر.

---

(1) Griffen. J: Wittgenstein's logical atomism,Oc , p 127.
(2) Ibid, pp 127-128.

(3) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 3,1).

(4) المصدر نفسه، (ق 4).

(5) جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 311.

أما نظريته اللغوية في عهده الجديد الذي ابتدأ مع الملاحظات الفلسفية " Remarques philosophiques"[1] وامتدادًا إلى الأبحاث قد وسعت من دائرة الفكر و لم يعد محصورًا في القضية ذات المعنى، بل و لم تعد حسب "الملاحظات" الرموز اللغوية تشكل إلا حيزًا صغيرًا جدًا[2].

وبذلك لم تعد القضية ذات المعنى حسب تعبير الرسالة الوسيلة الوحيدة والنموذج الأمثل للتعبير عن الأفكار بل فتح الباب واسعًا أمام إمكانية مشاركة صور أخرى غير لغوية في عملية التداول الاستخدامي للغة مادام أنها تحقق الغرض الذي نقصده منها.

لذلك قد لا يكون من الأمر المرفوض أن تؤدي أية حركة جسدية دور جملة أو قضية ذات معنى[3] تحديدًا مثلما قالت الرسالة سواء بالإشارة بواسطة اليد أو إيماءة الرأس أو حديث العيون مادام أنها تحقق الغرض الذي نريده منها، فقد أطلب من شخص الخروج بواسطة إشارة أو حركة من العين فأكون بذلك قد حققت الغرض الذي أرمي إليه بهذه الحركة ويكون في ذات الوقت الشخص الموجهة إليه هذه الإشارة قد فهم القصد أو المعنى.

وبهذه الطريقة تكشف الألعاب اللغوية عن تعدد الصور الممكنة للتعبير عن الفكر كالإشارات وغيرها[4].

وهكذا شهد الفكر في مراحل تطور فلسفة فتغنشتاين توسيعًا هامًا لمجاله إذ أنه قدم كما أشار إلى ذلك بعض الباحثين نوع من المقاربة البراغماتية لمشكلة المعنى حيث وسّع مجال المعنى ليشمل زيادة عن اللغة بعض الأفعال الإنسانية كطرائق للتعبير عن الفكر لأنها تحقق أغراضًا معينة[5].

---

(1) من أهم كتب ما يسمى المرحلة الانتقالية والتي تقع زمانيًا بين الأعمال التي تلت الرسالة وبين تلك التي تمتد إلى ما قبل المباحث بقليل، وهو المؤلف الذي كتب على الآلة الكاتبة باللغة الألمانية. انظر: عزمي إسلام: فتغنشتاين ، مرجع سابق، ص 51.

(2) L. Wittgenstein : Remarques philosophiques, p 5.

(3) جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 312.

(4) بيد أن هذا لا يعني مطلقًا أنه في الإمكان الاستغناء عن اللغة في التعبير وإنما هو توسيع لمجال الفكر حتى لا يحصر في قضية أبرز سماتها أنها ذات معنى.

(5) المرجع نفسه، ص 312.

ب- المدلول الجديد للنحو:

إن ما يشد الانتباه في هذه المسألة هو أن فتغنشتاين يستخدم كلمة "نحو" بمعنى واسع جدا لا نكاد معه ندرك المقصد الحقيقي منه، ونضيع معه وسط مفاهيمه المتعددة له، بحيث تصبح القواعد النحوية تدخل في كل المستويات في استعمالات واستخدامات اللغة، صورية أو غيرها، وإن كان في رسالته يهتم بقواعد اللغة الصورية الفنية الخالصة التي ترسم حدود المعنى في ضوء نظرية الرسم المنطقي.

غير أننا إذا حاولنا الولوج إلى عالم النحو في الأعمال التي تلت الرسالة فإننا سنصادر منذ البداية على اعتباره المجال الذي يصف العلاقة القائمة بين اللغة والواقع في ظل المستجدات الفكرية للرجل، إذ قد يعترض معترض قائلا أن هذه الوظيفة قد وُجدت في الرسالة قبل الأبحاث نحو عقد من الزمن، بيد أن مفهوم الرسالة لهذه العلاقة يختلف ومفهومها عند فتغنشتاين في أعماله المتأخرة، وقد لا نجد مخرجا لفهم هذا المدلول ما لم نحصره في اتجاه واحد حتى يكون في إمكان القواعد النحوية معنى دلالي واستخدامي باعتبارها مختصة بوصف العلاقة بين اللغة المستعملة والواقع. وقد نتمادى في القول بأن النحو عند فتغنشتاين قد أصبح يخص الدلالة أي الاستعمال مع البحوث أكثر مما يخص اللغة في حدِّ ذاتها، إذ يصرح في البحوث على ما نصه "إنني أقرر أو أثبت على نحو أو قواعد استخدام كلمة لغة وذلك بالربط بينها وبين القواعد الخاصة باستخدام الكلمة"[1].

لذلك فإن فتغنشتاين لم يعد يهتم بفحص القواعد الخاصة بالبناء الداخلي للغة، أي قواعد بناء اللغة الرمزية كما كان يفعل في الرسالة بصرامة منطقية شديدة، وإنما أصبح مع الأبحاث يتولى فحص قواعد لعب اللغة التي تهتم بما هو خارج عنها، أي بالاستخدامات المتعددة لها في مختلف الألعاب، ويبدو أن فتغنشتاين في حديثه عن النحو لا يبحث عن كيف يبني اللغة استنادا إلى الوظيفة المقررة لها والتي تعمل بواسطتها على التأثير في الناس، وإنما أصبح يبحث في مفهومه الجديد للنحو على قواعد بناء اللعبة اللغوية ووصف الاستخدامات الفعلية لها.

2-3- الاعتداد باللغة العادية:

إن المقوّم الأساسي الذي قامت عليه نظرية الألعاب والذي وفّر المحيط الملائم لجميع تطبيقاتها هو العودة إلى اللغة العادية، ونستطيع القول أن كل الأسس التي قامت عليها النظرية بما

(1) فتغنشتاين: البحوث الفلسفية، ق226.

في ذلك المستجدات الفكرية للرجل فيما يخص المعنى والنحو وغيرها، لم تكن إلا في صلب لغة اعتيادية اعتاد الناس على تناقلها بين ألسنتهم، وبذلك لا نجد حرجًا في اعتبارها أساس كل التغيرات التي طرأت على فلسفة الرجل منذ ما يتعارف على تسميته بالمرحلة الانتقالية[1] لاسيما بوجود الكثير من المؤشرات التي تدل بوضوح على أن التحول الجذري الذي عرفته أفكار فتغنشتاين إنما يرجع إلى تغييره للبارادايغم اللغوي الذي أسس عليه كتاب الرسالة، وبدا جليًا أنه أصبح يرد الاعتبار للغة العادية منذ فترته الانتقالية، في إشارة واضحة إلى أنه لم يعد مقتنعًا بالنمذجة التي افترضها للغة قبل ذلك الحين.

والذي يجول بناظريه في فلسفة فتغنشتاين سوف لن يقف به نظره عند هذا الحد بل إنه سيجد مواقف متباينة ومتقلبة بشأن اللغة، غير أن هذه المواقف لا تلبث أن تحقق الوضوح إذا أدركنا أن فتغنشتاين قد تبنى في فلسفة الرسالة تعريفًا أو مفهومًا منطقيًا للغة يتناسب من حيث نسبته لمنطق الرسالة التي تسمي الأشياء بمسمياتها طبقًا لبنود الذرية المنطقية وهدفًا استراتيجيًا أبان عن عيوب اللغة العادية التي تعجز عن الوفاء بمتطلبات التعبير الدقيق عن المفاهيم[2] وإن كان موقف الرسالة من اللغة العادية يشوبه الغموض إلا أنها لم تخف في ذات الوقت عجزها عن مواكبة المعنى.

وإذا كان من باب الموضوعية الإشارة إلى الموقف الغامض للرسالة تجاه اللغة العادية فإننا نشير إلى أنه قد وضعها على محك النقد منذ استهلاله للرسالة عندما صرّح أن هدفه من هذا الكتاب هو إقامة حد للتفكير أو للتعبير عن الأفكار كما قال[3] وإقامة هذا الحد لا يكون حسبه بظنه إلا بلغة منطقية رمزية خالصة.

وبهذا المعنى نتبين أن هدف فتغنشتاين من نقد اللغة العادية كان مشروعًا منذ البداية وخيارًا ميتودولوجيًا أملته النزعة الذرية المنطقية، إذ ذهب في هذا السياق مشايعًا لفريج ومساوقًا لراسل في أن اللغة العادية غامضة ومعقدة بل وذهب إلى اعتبارها الجزء من الإنسان الأكثر تعقيدًا حين قال:

---

(1) قد سبق وأن أشرنا إليها ونقصد بها الأعمال التي تلت الرسالة أي بعد العودة إلى التفلسف 1929 وصولاً إلى ما قبل الأبحاث.

(2) رودولف ميتس: الفلسفة الإنجليزية في مئة عام، ترجمة فؤاد زكريا، دار النهضة العربية، القاهرة، ج1، 1967، ص 79.

(3) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 5,900).

"اللغة الجارية هي جزء من الكيان العضوي الإنساني كما أنها لا تقل تعقيدًا عنه، ومن هذه اللغة الجارية يستحيل على الإنسان أن يصل إلى منطق اللغة مباشرة"[1] وساق فضلاً عن ذلك جوانب النقص في اللغة وعدّد عيوبها منها أنها تفتر للدقة وحائزة على الغموض والقصور والنقص، إذ بها كلمات ليس لها معنى محدد وأخرى معانيها متداخلة، فضلاً على أنها بمفرداتها عاجزة وقاصرة عمّا نريد التعبير عنه باعتبارها لا تتطابق مع محايثة Immanence الفكر للمنطق وباختصار هي تشويه للفكر.

ومن الجهة الأخرى يؤكد فتغنشتاين أن لا استخدامًا صحيحًا للغة إلاّ عن طريق قواعد تتكون منها اللغة ذاتها، ولهذا اعتبر جميع المشكلات ناجمة عن سوء منطق اللغة " Logical of language"[2] وبذلك فإن أي محاولة للتخلص من هذه المشاكل خارج اللغة لا جدوى منه إنما مكمن العلاج والدواء هو التحليل المنطقي للغة[3] بغية بناء صرح لغة خاضعة لقواعد النحو المنطقي واضعة لموازين قسط في تسمية الأشياء بمسمياتها، وتكفينا عناء البحث عن دلالة كلِّ رمز[4] وهو ما تفتقده اللغة العادية. وبناءً على معايير اللغة الرسمية في الرسالة يمكن أن نعدد رفقة فتغنشتاين عيوب التراكتاتوس على النحو التالي تمهيدًا لتبني موقفه منها في الأبحاث:

1- قــول مــا لا يمكــن قــولــه:

إن أخطر جوانب النقص في اللغة العادية على الإطلاق هو أنها تتحدث في كلِّ شيء بلاحدود، ولا تضع الحدود الفاصلة بين ما يمكن قوله بوضوح وبين ما لا يمكن قوله بوضوح، ونجدها تتكلم عن نفسها وعن العالم في سياق واحد، في حين الأصح حسب فتغنشتاين:

1- تنص نظرية الرسم المنطقي على عدم التعبير عن الصورة المشتركة بين الرسم والوجود الخارجي لأنها شيء يتجلى بنفسه، وكل محاولة للتعبير عنها أو وصفها فيها تجاوز للغة ووقوع في اللامعنى[5]، وفي هذا تصرح الرسالة بأن ما يعكس نفسه في اللغة لا تستطيع اللغة أن تمثله[1].

---

(1) فتغنشتاين: الرسالة ، (ق 4,002).

(2) المصدر نفسه، (ق 4,003).

(3) عزمي إسلام: فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 188.

(4) زكريا إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 249.

(5) عزمي إسلام: فتغنشتاين ، المرجع نفسه، ص ص 143-144.

(1) المصدر نفسه، (ق 4,1212).

2- معنى القضية مرتبط بالوجود الخارجي، ولا حاجة لشرحها "فإني أفهم معنى القضية دون أن يتم شرح معناها لي"[1] وكل محاولة من طرف الفلاسفة أو غيرهم للتكلم عن معنى القضية هي محاولة قول ما لا يقال هي محاولة لا معنى لها.

3- العلاقات الداخلية للوقائع وصفاتها لا يمكن التعبير عنها ذلك أن هذه الصفات وهذه العلاقات تظهر بنفسها في القضايا الممثلة للوقائع وسيكون من اللامعنى الحديث أو التكلم عنها "فهذا اللون الأزرق مثلاً أو ذلك يرتبطان بعلاقة داخلية هي كون أحدهما أشد لمعانًا وأشد قتامة بالضرورة وما لا نستطيع التفكير فيه بالنسبة لهذين اللونين أن لا تكون بينهما هذه العلاقة"[2].

4- ما تشترك فيه القضية مع الواقعة هو الكثرة المنطقية والتي لا يمكننا التعبير عنها باللغة، وهذه الكثرة تشير إلى المناظرة بين الواقعة والقضية بحيث عدد العناصر التي تتكون منها القضية هو نفسه عدد العناصر الذي تتكون منه الواقعة[3].

2- الخلط بين الأسماء الكلية وأسماء الأعلام:

في لغتنا اليومية نستخدم الاسم بإطلاق بغض النظر عن صنفه، في حين لاحظ فتغنشتاين أن هناك فرقًا كبيرًا واختلافًا شاسعًا بين الاسم الكلي واسم العلم، ذلك أن الأول يشير إلى أشياء موجودة في الواقع على غرار كلمة إنسان مثلاً إذ لا نجده مفردًا معينًا بذاته، وإنما هو اجتماع لعدة صفات يشترك فيها أفراد الإنسان مثل "زيدٍ" و"علي" و"عمرو" و"فاطمة"... في حين يشير الثاني إلى شيء أو فرد مفردٍ كقولي: "هذه الطاولة"، أو "قلمي"، أو "محمد"[4] والاسم حسب اختصارات الرسالة يعني الشيء والشيء هو معناه[5] ولذلك فإنه من الخلط وسوء الفهم في لغتنا اليومية الحديث عن اسم العلم والاسم الكلي في سياق واحد ذلك أن هذه الأخيرة أي الأسماء الكلية هي تصورات خالية من المعنى[1].

---

(1) فتغنشتاين: الرسالة ، (ق 4,02).

(2) المصدر نفسه، (ق 4,129).

(3) عزمي إسلام: فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 145.

(4) المرجع نفسه، ص 140.

(5) المصدر نفسه، (ق 3,203).

(1) المصدر نفسه، (ق 4,12671).

3- الخلط بين الصورة المنطقية للقضايا وصورتها الحقيقية:

يذهب فتغنشتاين مسايرًا لراسل في اعتباره أننا في اللغة العادية نقع في الخلط بين الصورة المنطقية الظاهرة للقضايا وصورتها النحوية الحقيقية ، ويتضح ذلك من خلال إشارة الكلمة الواحدة إلى أكثر من معنى، أو على الأقل إلى معنيين مختلفين كل الاختلاف، كما قد نستخدم بنفس الطريقة كلمتين مختلفتين في الدلالة تمامًا عندما نقول: الأخضر أخضر إذ الأولى اسم علم والثانية صفة إذن هناك كلمة واحدة بمعنيين مختلفين. كما تستخدم عادة الكلمة "يكون" "Is" عند فتغنشتاين في قضية ما على أنها رابطة بين الموضوع والمحمول، وتستخدم في جانب آخر للدلالة على التساوي أو تعبير عن الوجود[1] لذلك اعتبر عدم التمييز بين هذين النمطين من أهم أنواع الخلط الفكري الذي تمتلئ به الفلسفة كلها[2].

ويضيف فتغنشتاين استطرادًا لما سبق على أنه وإن استعملنا الألفاظ والتعبيرات في سياقات لها معنى، إلاّ أننا حين نستخدمها في سياقات أخرى لا يكون لها معنى، والسبب في هذا الخلط هو كونها على نفس الصورة المنطقية الظاهرة، لذلك نفشل في استعمالها في السياق الثاني من ملاحظة خلوّها من المعنى مثل العبارة: "أنا وجود" "I'm existing" لها نفس الصورة المنطقية للعبارة "أنا ذاهب" "I'm going" لذلك نسرع مباشرة إلى اعتبار كلمة "موجود" كخبر في الجملة الأولى من نفس النمط الخاص بكلمة "ذاهب" كخبر في الجملة الثانية، وتقودنا العبارة الأولى إلى طرح عديد الأسئلة المتناقضة على الوجود هل هو موجود أم لا؟ وهل هو واحد أم كثير...؟[3] وغيرها التي ستوقعنا في اللامعنى في إشارة واضحة إلى عجز اللغة العادية على مواكبة المعنى الصحيح من القول.

4- الخلط بين معنى القضية ومعنى الإسم:

من خلال التراكتاتوس نلمس تفريق فتغنشتاين بين معنيين هامين هما معنى الاسم ومعنى القضية في إطار اللغة الفنية الخاصة، وكشف بذلك عن جانب آخر من جوانب النقص في اللغة العادية.

---

[1] فتغنشتاين: الرسالة، (ق 3,323).

[2] المصدر نفسه، (ق 3,324).

[3] عزمي إسلام: فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص ص 139-140.

ذلك أن القضية حسب فتغنشتاين لها معنى سواء كان لها ما يقابلها في الوجود الخارجي في حالة صدقها كقولي "القلم فوق الطاولة" أو لم يكن لها ما يقابلها في الوجود الخارجي في حالة ما إذا كانت كاذبة كأن أقول مثلاً: هذا كتاب في المنطق ولا يكون كذلك بل يكون كتاب في علم النفس[1]. وبذلك نفهم معنى القضية عندما نعرف ما هنالك إذا كانت صادقة[2] في حين يأتي الاسم دالاً على الشيء الذي هو معناه[3]، بمعنى أن معنى الاسم يقتضي مقابلاً في الوجود الخارجي هو الشيء المسمى بهذا الاسم، ولذلك فالأسماء ذات دلالة ولا معنى لها، والقضايا ذات معنى ولا دلالة لها[4].

وتلكم كانت أبرز جوانب الخلط التي يقع فيها الفلاسفة والتي كشفت عن الغموض الذي يلف اللغة، ولذلك جعل فتغنشتاين المهمة الأولى التي يتوجب على الفلسفة الاضطلاع بها هي نقد اللغة حين صرح أن الفلسفة كلها نقد للغة، ووضع الحدود الفاصلة بين المعنى واللامعنى الناتج أصلاً عن محاولة الفلسفة قول ما لا يمكن قوله في اللغة[5].

وبذلك يكون قد فتح الباب واسعًا أمام نقد اللغة العادية بيد أن هذا النقد لا يجب أن يفهم مطلقًا أن الرجل كان حاسمًا بشأن اللغة العادية حين جمع فأوعى فقال بأن هذه الأخطاء يلزم استبعادها ويلزم بناءً على ذلك استخدام لغة رمزية خاضعة للنحو المنطقي[6].

ذلك بأنه عاد فقال أن لغتنا في نظام على النحو الذي هي عليه، وهذا أيضًا ما أكسب التراكتاتوس غموضًا إضافيا ممثلا في موقفه من اللغة العادية نقدها واستبعادها أو الإبقاء والدفاع عنها من جهة أخرى.

وحتى وإن ساوقنا الاتجاه الأول الذاهب إلى الإطاحة باللغة العادية فإنه لا يجب أن يفهم مطلقًا أن فيتغنشتاين قد تبنى طرح فريج أو راسل للغة بأكمله، وإن كانت مسايرته لهما في بعض

---

(1) عزمي إسلام: فتغنشتاين ، المرجع السابق ، ص 159.

(2) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 3,024).

(3) المصدر نفسه، (ق 3,203).

(4) عزمي إسلام: فتغنشتاين ، المرجع نفسه، ص 160.

(5) جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 253.

(6) المصدر نفسه، (ق 5,5563).

جوانب فكره ضرورة منهجية فرضتها ذريته المنطقية، ذلك أن لغة فتغنشتاين التراكتاتوس لم تأت مطلقًا لأن تكون بديلاً عن لغتنا العادية وإنما جاءت مساوقة لنوع الفلسفة المتبناة في الرسالة، حتى وإن صرّح فتغنشتاين أن رمزية فريج وراسل مثال عن اللغة التي يريدها[1] فإن هذه الرمزية التي يقصدها ليست رمزية مطلقة وإنما هي رمزية نلجأ إليها في حالات خاصة أين تعجز قضايا لغتنا على أن تكون رسمًا منطقيًا للواقع[2]. وفي نفس الوقت هذه الرمزية ليست لغة استعمال يومي بل وليس منتظرًا منها أن تكون كذلك، وهذه النتيجة نكتشفها مع قول فتغنشتاين الذي اعترف فيه أن ليس ضرورة إيجاد أو اختراع لغة مثالية واصفة للعالم بل لغتنا العادية ستكون رسمًا منطقيًا عندما تعرف إشارة كل كلمة[3].

هكذا وتأسيسًا على ما سبق ندرك الموقف الغامض في الرسالة من لغتنا العادية وإن بدا واضحًا تمسكه بلغة منطقية قادرة على الإيفاء بكل متطلبات التعبير الدقيق. غير أنه سيشرع تدريجيًا في حصر وتقليص هذا النموذج بعد أن تأكدت له أهمية اللغة العادية وبدا واضحًا هذه المرة في موقفه منها بعد أن أقر في الملاحظات أن لا لغة إلا اللغة اليومية[4].

وبوسعنا أن نستشعر أولى بوادر هذا الانعطاف من كتاب الملاحظات الفلسفية وتجلى أكثر مع مقدمة كتابه الأبحاث الفلسفية الذي أحدث زلزلة عنيفة في أوساط المهتمين بفكره حين صرّح قائلاً: "منذ أن بدأت أعاود الاشتغال بالفلسفة منذ ستة عشر سنة خلت اضطررت أن أتبين أخطاء جسيمة فيما كتبته في الكتاب الأول"[5].

وقد كان هذا التصريح إيذانًا بولوج مرحلة جديدة تعيد حسابات المرحلة السابقة، وترسم معالم فكر جديد قوامه لغة الإنسان اليومية، وأصبح من الخطأ القول أننا في الفلسفة نعتبر اللغة الكاملة منطقيًا هي التي تقابل اللغة العادية، ذلك أن مثل هذا القول يجعلنا نعتقد أننا قادرون على إحكام هذه الأخيرة، ولكن في الحقيقة أن اللغة العادية تبقى هي ذاتها ونحن عندما نخترع لغة كاملة

---

(1) Wittgenstein. L: Wittgenstein et le cercle de vienne, p 223.

(2) جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 260.

(3) Ibid, p 222.

(4) Wittgenstein. L: Remarques philosophiques, p 75.

(5) فتغنشتاين: البحوث الفلسفية، المقدمة، ص 6.

منطقيًا فهذا لا يكون بغرض إحلالها محل لغتنا العادية، بل من أجل استبعاد بعض المسائل التي تدور في الأذهان.

وبات التردد الذي لمسناه في الرسالة بشأن لغتنا اليومية لا يجد مكانًا له بعدما تجلى اهتمامه بها إلى الحد الذي اعتبر فيه أنه من الغرابة أن يهتم المنطق بلغة مثالية غير لغتنا[1] بل وإن عليه بدلاً من ذلك البحث في تعابيرنا المستعملة في اللغة العادية[2].

ثم عندما يولي فتغنشتاين وجهه شطر اللغة العادية ويعود باللغة من استعمالها الصوري المنطقي–الفني إلى استعمالها اليومي، فهو يرد الاعتبار للغة الطبيعية وفي ذات الوقت يجدِّر تفكيره الفلسفي على أرضية المسائل العامية المتداولة في إطار نظرية الألعاب اللغوية.

ولنفس الاعتبار لم تتخل الأبحاث عن بعض مظاهر الصرامة المنطقية التي طبعت الرسالة فقط، بل عمدت فضلاً عن ذلك إلى قياس دلالات ومعاني العبارات انطلاقًا من استعمالاتها المختلفة في الألعاب اللغوية المختلفة أيضًا وإن أشارت الملاحظات قبلها إلى مسألة المعنى الذي لن يتحقق خارج استعمال الكلمات على قواعد معينة في مجتمع ما[3].

صحيح أن الرسالة وفي إطار تمييزها الصارم بين ما يمكن قوله وما يمكن فقط إظهاره لم تخف ميولاتها القطعية بإيجاد حلول جازمة للكثير من المشاكل الفلسفية منذ التقديم وذلك لا يكون إلا في مجال ما يمكن قوله، والمخرج من هذه المشاكل لا يمكن إلا في التزام ما يمكن قوله. لكننا وبانتقالنا مع فتغنشتاين إلى الأبحاث يتبدى لنا جليًا أن ذلك الإطار المنطقي الصارم بدأ يتضاءل، وأول ملحوظة قد تلفت دارسي الكتابين هو ربما الأسلوب الجديد في الأبحاث والذي تميز بالإطالة وكثرة عرض الأمثلة والتشبيهات المختلفة وباختصار كان كصندوق قصاصات أو مجموعة من الصور على حدِّ تعبير فتغنشتاين[4] في حين كانت الرسالة تقدم وعلى نحو دوغمائي الأطروحات وكأنها نهائية بأسلوب مختصر وعبارات موجزة وقطعية تُعد حلولا دقيقة لا مجال لمناقشتها[1].

---

(1) Wittgenstein. L: Remarques philosophiques, p 3.
(2) Ibidem.
(3) Ibid, p 18.

(4) فتغنشتاين: البحوث الفلسفية، المقدمة، ص 6.

(1) المصدر نفسه، ص 60.

وعلى هذا الأساس اتسمت مقاربة المباحث لقضايا الفلسفة بكثير من المرونة واللاوثوقية قياسًا بالرسالة، وليس أدل على ذلك من تناولها لتلك القضايا في أبسط حالاتها أي من حيث هي مستويات لألعاب اللغة، هذه الأخيرة التي وجهت ضربة قوية وعنيفة لقضايا الرسالة القطعية، وكفلت في الآن ذاته التفتح على التنوع والتعدد في الاستعمال الطبيعي للغة، موجهة أنظارنا إلى الاعتناء باللغة كلغة، وفحص كل قواعدها لبيان وظيفتها الدلالية[1].

وبهذا المعنى يصبح باستطاعتنا التأكيد على أن التعامل مع اللغة العادية عند فتغنشتاين الأبحاث وقد اتخذ وضعًا جديدًا يصر على الاستعمال الفعلي للغة ومتخليًا عن رغبة الرسالة المضي وراء اللغة العادية في اقتراح لغة رمزية تستجيب لقواعد النحو المنطقي[2]، هذا ولا تقف المباحث عند هذا الحد، بل تذهب أبعد من ذلك إلى حدِّ اعتبار اللغة العادية هي المعيار الحقيقي لكل الأشكال التعبيرية، وإذا كان السوفسطائي قديمًا يتغنى بأن الإنسان معيار الأشياء جميعًا فإن فتغنشتاين بعد أكثر من عشرين قرنًا من الزمن يبني اقتناعه على أن اللغة العادية هي معيار اللغات جميعًا.

ذلك أن كل تعبير يروم الاتصاف بمواصفات اللغة فإنه سيقارن حتمًا باللغة العادية لأن نعت هذه التعابير باللغة لا يكون إلا على سبيل المشابهة والمماثلة[3] باللغة العادية كما تقول الأبحاث على اعتبار أساسي هو أن اللغة حسب فتغنشتاين ليست إلا اللغة العادية وبإمكاننا القول بلغة المنطق بأن اللغة العادية عند فتغنشتاين هي كل اللغة باستخدام كلمة "كل" التي تفيد الاستغراق التام بحيث لا يبقى جزء من اللغة غير لغتنا العادية، ولا نعدم الصواب إن قلنا بأن هذه الفكرة حاضرة بقوة في فلسفة فتغنشتاين الأبحاث وفي إحدى الملحوظات التي جمعها فايزمان ضمن كتابه "فتغنشتاين وحلقة فيينا" أكد أن فتغنشتاين ظل يدافع عن اللغة العادية ولم يجد بدًا من إعلائها اللغة الوحيدة فنحن لسنا في حاجة إلى بناء لغة جديدة أو نظام رمزي جديد[1] وإنما لغتنا

---

(1) تحتوي المباحث على كثير من الفقرات التي تعالج معنى العبارات المستخدمة في اللغة العادية، وتحضي في ذات الوقت سياقات استعمالها، ونظرًا لكثرة هذه الفقرات فإنه يصعب علينا إحصاؤها على نحو دقيق ومع ذلك لا بأس أن تلفت نظر القارئ إلى بعضها على النحو التالي: .Investigations philosophiques, Sec (59, 60, 253, 254, 261)

(2) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 3,325).

(3) Ibid, Sec 494.

(1) شريف بركة: مفهوم اللغة عند فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 152.

العادية قادرة على بناء نظامها بمنهجها الذي لا يكتفي فقط بإحصاء الاستعمالات الفعلية للكلمات بل إن مهمته أيضًا تكمن في اختراع استعمالات جديدة كما قال غرانجي.

هذا وانطلاقًا من التحليلات السابقة يمكننا أن نؤكد ومن باب الموضوعية أن فتغنشتاين من البداية وفي رسالته المنطقية كان يعتقد بأهمية اللغة العادية وهو الاعتقاد الذي لم يقده إلى إلغائها واستبعادها في إطار بناء فلسفته الذرية المنطقية على غرار ما فعله راسل مثلاً. لكن هذه الأهمية لم تلبث حتى أصبحت حقيقة متجسدة في الاستعمال الفعلي للغة، ولهذا السبب جاءت معظم كتاباته الانتقالية تشير بشكل أو بآخر إلى هذه الأهمية وصولاً إلى كتاب الأبحاث الذي أعطى السلطة المطلقة للغة العادية على حساب كل اللغات بما في ذلك لغته الفنية الصورية التي كانت أساس بنائه الفلسفي المبكر وامتداد فكره في الوضعية المنطقية. وفي هذا الصدد قال "راسل" متأسفًا عن تخلي فتغنشتاين عن مشروعه في بناء لغة منطقية: "... وقد وافقني فتغنشتاين في وقت من الأوقات على الاعتقاد بأن اللغة المنطقية ستكون نافعة في الفلسفة، وقد نسبت إليه هذا في المقدمة التي كتبتها للرسالة المنطقية الفلسفية"[1] ولسوء الحظ أنه في ذات الوقت لم يكن قد تخلى عن هذا الرأي فحسب بل لقد نسي فيما بعد أنه ارتآه على الإطلاق...[2].

وبإعادته الاعتبار للغة العادية فتح المجال أمام تعدد وظائفها في مقابل الوظيفة الإشارية الوحيدة في الرسالة أو الوظيفة التصويرية لتأخذ بعدًا آخر مع الأبحاث أين أصبحت وسيلة للاتصال والتفاهم مع الآخرين، وانتقلت من فرديتها المتفقة مع فكرة الأناوحدية إلى اجتماعيتها المتضمنة في فكرة الألعاب اللغوية وفي هذا تقول الأبحاث: "أنني لا أقول بدون اللغة ما كنا نستطيع أن نتصل ببعضنا البعض فقط بل إني أقول أيضًا أن بدونها لا يمكننا أن نؤثر في غيرنا من الناس على هذا النحو أو ذاك"[1] وعليه فاللغة ليست قوالب جامدة جاهزة وإنما هي نشاط يمارسه الإنسان لتحقيق التواصل مع بني جنسه[2] من جهة ولتحقيق أغراضه ومصالحه من جهة ثانية، وبهذا المفهوم

---

[1] يذكر أن فتغنشتاين كان متحفظًا على نشر الرسالة ومعها مقدمة راسل لأنه كان يعتقد أن راسل قد أساء فهمه في رسالته وتوضح سوء الفهم هذا في المقدمة التي أعدّها للرسالة. ينظر: جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص28.

[2] راسل: فلسفتي كيف تطورت، المرجع السابق، ص 201.

[1] Wittgenstein. L: Investigations philosophiques, Sec 491.

[2] علي بحري: المعنى وتطوره عند فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 85.

الجديد لوظيفة اللغة ينتهي فتغنشتاين إلى صورة من صور البراغماتية يمكن أن نطلق عليها براغماتية لغوية تهتم بالنتائج التي نحصل عليها وبعبارة أخرى هي براغماتية تهتم بالمعنى الذي نقصده من خلال استعمالنا للغة في الحياة العادية ومعرفتنا للاستخدام الصحيح للكلمات ومعانيها هو الذي يقودنا إلى الوضوح ويوجهنا الوجهة الصحيحة تمامًا عندما يفهم سائق السيارة معاني السهام المرسومة على الطريق. وبهذا تصبح اللغة وسيلة نتصل ونؤثر بها على الآخر للوصول إلى نتيجة نرغب فيها.

3- تمظهـــرات نظـــريـــة ألعـــاب اللغـــة:

3-1- التشابـــهـــات الأســـريـــة "Family Resemblances" :

من الأقوال التي لها سحرها وجاذبيتها في نسق الأبحاث والتي تنم عن حدس مرهف، وخيال واسع ما قاله فتغنشتاين عن اللغة حين اعتبرها متاهة من الطرق والمسالك حيث تأتي من جهة مكان ما فتتعرف بنفسك على طريقك، وقد تأتي إلى نفس المكان من جهة أخرى فلا تتعرف على طريقك[1]. وتلكم واحدة من أبرز التشابهات والتماثلات والتعريفات التي أسندت للغة وجعلت منها تشبه مدينة عتيقة مشتبك من الأزقة والأحياء، ومن المنازل المبنية في عصور مختلفة، وتحيط بها ضواحٍ جديدة أكثر انتظامًا وتشابهًا في الشكل[2]، وكل قطاع من القطاعات اللغوية له طريقة خاصة في الدلالة على المعنى، يمكن فهمها بواسطة نموذج لغوي أو لعبة لغوية، ولا ينبغي رد أشكال اللغة إلى جنس واحدٍ، بل يجب تحليل الأنساب التي تربط بينها، وتجعل منها أسرة واحدة[3].

ورغم أن الأبحاث لم تعط كما سبق وأن أشرنا معنًا محددًا لما تقصده بالألعاب اللغوية وفقد معناها وضوحه في غمرة الأمثلة والتشبيهات والاستطرادات العديدة التي يوردها فتغنشتاين.

فإننا قد لا نجد من العسير أن فهم هذا المعنى وفق ألعاب أخرى نظرًا للتشابه الذي أقامه بين الألعاب وألعاب اللغة، فإذا كنا نلعب لعبة الورق أو كرة القدم أو الشطرنج أو غيرها نلحظ أن الذي يكاد يجمع بينها لا يعدو أن يكون إلا لفظة "لعبة" "Jeu"[1].

---

(1) Wittgenstein. L: Investigations philosophiques, Sec 203.

(2) Malherbe. J : Langage ordinaire et philosophie chez le second Wittgenstein, Oc, p 5.

(3) عبد الرحمن بدوي: الموسوعة الفلسفية، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ج2، ط1، 1984، ص 121.

(1) محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 54.

بالرغم من أنها تتفق كلها في عنصر التسلية فضلاً عن نتائج هذه اللعبة أو تلك بين الربح والخسارة، وبالرغم أيضا من المنطلقات المتعددة لكل هذه اللعب والأسس المختلفة التي تقوم عليها كل لعبة من اعتماد الحظ تارة والمهارة والذكاء تارة أخرى، وقد تعتمدهما معا في تارة أخرى، فإننا سنجد أنفسنا أمام لوحة معقدة من التشابهات يتداخل بعضها مع بعض، ويندرج بعضها ضمن بعض تحت اسم التشابهات الأسرية[1] التي أصر فتغنشتاين على كشفها انطلاقًا من أمره: (لا تفكر... بل انظر!) "Do not think but look"[2].

هذه التشابهات التي استعارها فتغنشتاين من التشابهات التي تربط أعضاء الأسرة الواحدة، فكما أننا لا نكاد نجد صفة واحدة محددة تجتمع فيها الأسرة مثلاً كلون واحدٍ للشعر أو لون واحد للعيون، وإنما نجد مجموعة من التشابهات المتداخلة التي لا تؤدي إلى الحكم بوجود صفات مشتركة محددة، أي لا يعني وجود صفة مشتركة وواحدة بين أفراد الأسرة، وإنما يعني وجود صفات متداخلة لا تؤدي إلى الحكم بوجود صفات مشتركة محددة ضرورة.

وفي هذا يقول فتغنشتاين في الأبحاث "قبل أن أتحدث عن ما هو متشابه مع كل ما هو لغة، أقول أنه لا شيء يتشابه مع هذه الظواهر التي تسمح لنا باستعمال نفس الاسم لكن هذه الظواهر متقاربة الواحدة تلو الأخرى بطرق مختلفة وبسبب هذا التقارب نسميها لغة"[3].

وإذا استعرضنا مجموعة من الألعاب "أ" و"ب" و"ج" نجد تقاربًا بين بعضها ولا يوجد بين كلها، فمثلاً اللعبة "أ" تتشابه بعض الشيء مع اللعبة "ب"، واللعبة "ب" لديها تشابه آخر مع اللعبة "ج"، ولكن اللعبة "أ" لا تتشابه بما فيه الكفاية مع "ج". فعندما تكون شبكة التشابه غنية فإننا لا نرى المانع بأن تكون "أ" و"ب" و"ج" لها نفس الرسم وهو ق$_1$ اللعبة[4].

وكما هو الحال بالنسبة للألعاب تنسج ألعاب اللغة -يقول فتغنشتين- تشابهات أسرية على غرار نموذج الألعاب[1].

---

(1) Wittgenstein .L: Investigations philosophiques, Sec.

(2) المرجع نفسه، ص 55.

(3) Ibid, Sec 65.

(4) Grahame. L: Wittgenstein philosophie logique thérapeutique, Oc, p 208.

(1) Hottois. G: La philosophie du langage de Wittgenstein, Oc, pp 118-119.

وفي هذا الإطار يصرح فتغنشتاين انه لم يستطع تمييز هذا التطابق إلا بكلمة "تشابه أسري" على اعتبار اختلاف التشابهات الموجودة بين مختلف أعضاء العائلة كالقامة، خطوط الوجه، لون العيون...الخ.ومنه فالألعاب تكون عائلة (أسرة)[1].

ولتبسيط فهم هذا القول نستعرض مع "لوك Look" التخطيط الشكلي الذي وضع مختلف الخصائص التي نجدها بين أعضاء الأسرة الواحدة:

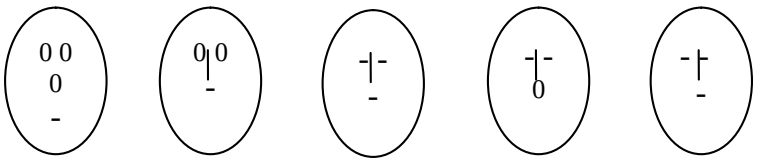

-A- -B- -C- -D- -E-

فإذا كانت هذه بعض ملامح الأسرة فإننا لا نجد بين الفرد A والفرد E مثلا نقاط تشابه شديدة تجعلنا نحكم بأنهما من عائلة واحدة، ولكن إذا نظرنا بدءً من:

A-B-C-D-E نستطيع الكلام حول شبكة من التشابه العائلي أو الأسري[2].

والحل أننا نجد التشابه بين أنواع اللعب قريب من التشابه الذي يقوم بين أفراد الأسرة الواحدة، وبهذا المعيار لا نتوقع أن نجد كل أفراد الأسرة الواحدة ببنية جسمية واحدة وملامح محددة شاملة، ولون واحد معين، ومزاج انفعالي محدد... بل إنها سمات قد تتحقق في بعضهم دون أن تكون موجودة في البعض الآخر[3].

ولكن قد يسألنا القارئ عن جدوى الحديث عن هكذا علاقات أو تشابهات في اللغة! ولكن سرعان ما يزول استفهامه عندما يعرف أنه في حضرة فلسفة فتغنشتاين الأبحاث أي باختصار هو إطار لعبة للغة باعتبار أن اللغة بمفرداتها وتعابيرها تؤلف لعبة بالمعنى السابق والذي يحقق تشابهات أسرية.

ويزيل "شولت" هذا الغموض عن هذه الفكرة أكثر عندما يذهب إلى توضيح هذه المسألة انطلاقًا من الوظائف المتعددة التي تقوم بها الجمل أو المفردات، وعلى ذلك فلن نتوقع معنًا واحد

(1) Wittgenstein. L: Investigations philosophiques, Sec 67.
(2) Grahame .L: Wittgenstein philosophie logique thérapeutique, Oc, pp 94-95.
(3) محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 55.

ومحدد لكل كلمة ، بل على العكس من ذلك لكل كلمة معانٍ عديدة، ووجود عنصر مشترك وموحد بين كل هذه المعاني ليس شرطًا مسبقًا، وإنما لا وجود لمثل هذا العامل المشترك الرابط بين هذه المعاني وفي هذا الإطار يُنبئ ما يعرف بالتشابه الأسري بين كل هذه المعاني[1] كما ورد بالمعنى السابق.

وقد لا يتطلب منا الأمر مجهودًا عظيمًا لإدراك هذه التشابهات مادام أن فتغنشتاين حدد منذ البداية في نظريته في ألعاب اللغة وظائف متعددة للكلمات، حيث للكلمة الواحدة أكثر من معنى وأكثر من استخدام، وربما استخدامات لا حصر لها، وبما أن الكلمة هي البناء التيمولوجي للجملة الواحدة فإن هذه الأخيرة سيكون لها أكثر من معنى وبين كل هذه المعاني يوجد تشابه أسري ما.

وحتى تستقيم هذه الفكرة في أذهاننا فإنه علينا تصور ألعاب على هذه الشاكلة، خاصة الألعاب باتت المثال المفضل لدى فتغنشتاين عندما تطبق على الأشياء رغم أنها ليست لها جميعًا مميزات متشابهة موحدة.

ثم إن المتمعن الجيد لمختلف الألعاب التي لعبها فتغنشتاين بواسطة اللغة سيدرك بأن تلك التشابهات الأسرية هي الأصل في تشكيل اصطلاح لعبة اللغة[2] وبما أن ألعابنا اللغوية لا حصر لأنواعها، فإن اختلافها في قواعدها وشروطها وأهدافها من لعبة إلى أخرى وارد جدًا، وإن كانت تشترك في شيء واحد، وهي أنها جميعًا ألعاب، وأنها جميعًا تكون أسرة تربط بينها سمات التشابه العائلي ممثلة في اللغة العادية.

---

(1) Schulte. B : Lire Wittgenstein, Oc, pp 129-130.

(2) تذكر بعض المراجع أن اصطلاح لعبة اللغة لم يكن إبداعًا فتغنشتاينيا خالصًا بل إنها تضرب في أعماقها إلى فريج الذي أنجز مقارنة منتظمة بين "اللوغاريتم" و"لعبة الشطرنج"، حيث سمحت هذه المقارنة بإيجاد الاختلافات بين الإشارة كحقيقة فيزيائية دقيقة عمل على تقديمها في عمل بحيث تكون قطع اللعبة من خشب أو من أي معدن، والإشارة في وظيفتها الدالة على ذلك والتي تبرز في عمل كل قطعة استنادًا لقواعد اللعبة أنظر:

Dummul. J : Le jeu de Wittgenstein, Essais sur la mathesis universalis, PUF, 1991, p 82.

غير أن قد ذهب فتغنشتاين باصطلاح لعبة اللغة أبعد بكثير عن ما قصده فريج في إطار شرح مفهومه على المعنى والدلالة لتصبح نظرية دائمة بذاتها لها أبعادها وتأثيراتها المختلفة.

3-2- اللغـــة صـــورة حيـــاة"Language is a forme of life" :

إن الرباط الذي يربط اللغة بالحياة رباط متين منذ الوجود الأول للإنسان وإن أهمل من حيث الدراسة والبحث، ولكن الجدير بالانتباه هنا هو الحديث عن لعبة اللغة وهي الشعار الجديد لفلسفة فتغنشتاين الجديدة باعتبارها تنطوي على صورة حياة. حين صرّح في شذرة من البحوث قائلا: "ولعبة اللغة هي جزء من نشاط أو صورة حياة"[1].

وغني عن البيان الإشارة إلى أن فتغنشتاين انتهى في نظريته الجديدة في المعنى والممثلة في نظرية ألعاب اللغة إلى لغة تتصف بالمرونة من حيث هي عبارات تدور في اللسان الطبيعي، وتنشغل بفحص ألاعيب اللغة، واستعراض تعدد استعمالاتها وتعدد معانيها، والأكيد أن تعدد الاستخدامات وتعدد المعاني لا يتم إلا في ارتباطه بحياة الإنسان.

وبوسعنا أن نقول في هذا الإطار أن فتغنشتاين كان يقصد من خلال قوله أن لعبة اللغة تنطوي على صورة حياة أبراز الحقيقة القائلة بأن تكلم اللغة هو جزء من الفاعلية الإنسانية وهذه الفاعلية لن تكون إلا في إطار حياة إنسانية أيضًا. وفي الجهة المقابلة من يتساءل عن حقيقة الألفاظ اللغوية دون الرجوع إلى منبعها الحقيقي يعتبر من الذين يعزلون اللغة عن الحياة لأن من الضرورة المنطقية أن تصور لغة ما يستلزم معنى حياة أو أسلوب حياة[2].

وعليه يكون في كل لعبة لغوية شكل حياة ويوضح فتغنشتاين هذا الأمر بالمثال التالي: افرض أن هناك قبيلة معزولة تعودت على استخدام معين للغة في تعبيرها على رغبات أفرادها أو وصف الأحداث التي حدثت بالفعل، أفرادها لا يستطيعون افتراض مواقف لم تحدث فعلا، إذ لو قصصت عليهم قصة خيالية لم تحدث ثم ضحكت فإن أفراد هذه القبيلة سيصابون بالذهول ولا يجدون رد فعل مناسب تجاه هذا الفعل لأنهم لم يفهموا كل وظائف اللغة. وهم هنا لا تنقصهم الكلمات وإنما تنقصهم الاستجابة الناشئة عن لعبة اللغة[3].

وبهذا المعنى فإن اعتبار فتغنشتاين لعبة اللغة تنطوي على صورة حياة هو جانب آخر يؤكد إنسانية اللغة، أي أنها خاصية إنسانية وظيفتها تواصلية وتبليغية، وفي هذا اعتراف بالجانب العملي

---

(1) Wittgenstein .L: Investigations philosophiques, Sec 22.

(2) علي بحري: المعنى وتطوره عند ، فتغنشتاين المرجع السابق، ص 107.

(3) محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 56.

للمعنى أي الاستخدام الذي يوصف شكل حياة ويعبر عن أسلوب عيشة، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار كل الوضعيات والسياقات التي تشكلها[1].

وبهذه الشاكلة لا نجد حرجًا في اعتبار اللغة في فلسفة فتغنشتاين المتأخرة جزء من النشاطات كما أكدت ذلك والباني "Oualbani" لأنها بل كل شيء مرتبطة بالحياة[2] فهي بذلك أسلوب من أساليب الحياة العادية.

وعلى هذا الأساس يمكننا الجزم بأن أي محاولة لفهم اللغة سوف لن تكون دون العبور إلى فهم هذا الأسلوب، وسيتجلى هذا الخيار أكثر عندما نقصد باللغة لعبة يلعبها الإنسان في حياته اليومية فهي أولاً وقبل كل شيء فعل وتفاعل[3] هذا بالرغم مما يخالج غالبيتنا عندما نسمح بهكذا اصطلاح –لعبة– من أنه نشاط خاص بالأطفال أو على الأكثر خاص بالمراهقين الذين ليس لهم شيء جدِّي للقيام به، غير أن فتغنشتاين لا يقصد ذلك مطلقًا، وإنما أقصى ما يريد توضيحه من اللعبة على الأقل في اعتقادنا هو التأكيد على فكرة استعمال اللغة والذي يرتبط ارتباطًا لا ينفصم عن جدية الحياة، وفي سياق تأكيده على أهمية اللغة في الحياة الإنسانية يقول ما نصه "إنني لا أقول بدون لغة لا نتصل ببعضنا البعض، ولكن أقول أيضا بدون لغة لا يمكننا أن نؤثر في غيرنا من الناس على هذا النحو أو ذاك..."[4] وبغية إحداث الأثر المطلوب من اللغة في الحياة وجب أن تعلَّم هذه اللغة بكل مبادئها للأطفال في حداثتهم أين يتولى المعلم هذه المسؤولية، إذ يقوم بتوضيح الشيء، ثم بعد ذلك تسميته حتى يفهم أكثر، وهي طريقة تنطبق على الألعاب اللغوية إذا أريد تعليمها للأطفال ويطلق فتغنشتاين على هذه الألعاب مصطلح الألعاب الأولية[5].

والحقيقة أن المقصود وراء كل عملية التعليم هذه هو الوصول إلى مواصفات معينة يتفق حولها من هم داخل الأسرة اللغوية فيتلمسون آثارها في تواصلهم في الحياة وبتأثيرهم في بعضهم البعض.

---

(1) Grillo. E : La philosophie du langage, Ed seuil, PUF, Paris, 1997, pp 44-45.
(2) Ouelbani. M : Wittgenstein et la philosophie contemporaine, Oc, p 79.
(3) Radnilzky. G : Entre Wittgenstein et Poper, archive de philosophie, recherche et documentations, Revue trimestrielle publiée avec le concoure de cette national de la recherche scientifique, cahier 1, p 47.
(4) L. Wittgenstein : Investigations philosophiques, Sec 22.
(5) Ibid, p 2.

وهذا ما أوضحه مالينوفسكي[1] "Malinovski" في هذا السياق عندما ذهب إلى أنه "ينبغي علينا أن نربط ما بين دراستنا للغة، ودراستنا لأنواع النشاط الاجتماعي والإنساني الأخرى، وأن نفسر دلالة كل لفظ أو عبارة داخل إطار السياق الحقيقي الذي تنسب إليه، واللغة بهذا المفهوم تعد نمطًا من أنماط السلوك البشري، لا يؤدي مجرد وظيفة ثانوية بل يؤدي دورًا وظيفيًا خاصًا به، دورًا فريدًا لا يمكن أن يحل محله شيء آخر [...] فالحقيقة اللغوية هي العبارة المنطوقة" في سياق موقف معين"[2] وهذا ما يؤكد أن تمثيل لغة يعني تمثيل شكل من الحياة[3].

وبهذا الأساس لا يمكن فصل اللغة عن الحياة بأي شكل من الأشكال ذلك أنها الوعاء الذي يحفظ فيه الإنسان تجاربه وأفكاره ويخلد به آثاره، وبهذا المعنى لا وجود للإنسان بوجود اللغة بل هي دليل على وجود أناسٍ يعيشون ويتكلمون بطريقة معينة لذلك يمتد الأثر الذي تطبعه اللغة على الإنسان إلى درجة تجعله يتشكل ويتربى حسب ما تحمله اللغة التي يكتسب بها معارفه من مبادئ وعادات فكرية وأخلاقية[4].وفي هذا أيضًا تأكيد على أن فتغنشتاين يريد أن يؤكد تحليله عما أورده في الرسالة بشأن اللغة، فقلب النظر في صفحاتها تجد حديثًا بائنًا عن لغة تتجاوز بسماتها وخصائصها واقع الإنسان وظروف حياته.ثم ارجع البصر في الملاحظات وما تلتها وصولاً إلى الأبحاث يتجلى لك اهتمامه بلغة الإنسان اليومية التي تجسد خبراته الشخصية في حياته، فلو كانت هناك لغة خاصة تشير إلى الخبرات الفردية –التي لا يعانيها إلا شخص واحد– لكانت هذه اللغة ضربًا من الاستحالة، لأنها لن تكون في الواقع ظاهرة اجتماعية، في حين أن الصيغة الاجتماعية هي أول سمة تتسم بها اللغة، هذا من جهة ثم أنه يستحيل خلق لغة خاصة لكل فرد لأنه سيفرغ معنى التواصل من محتواه ويقضي على فكرة تبادل الخبرات والعيش المشترك من جهة ثانية، فالحياة الاجتماعية تطبيق عملي "Praxis" وهذا الشكل الحياتي الذي تمثله اللغة يندرج حتمًا ودائمًا في مواقف اجتماعية وثقافية[5].

---

(1) علي عزت: اللغة ونظرية السياق، مجلة الفكر المعاصر، العدد 76، 1971، ص 20.

(2) Ouelbani. M : Wittgenstein et la philosophie contemporaine, Oc, p 79.

(3) مالينوفسكي "Malinovski" (1884-1942) عالم أنثروبولوجي، من مؤلفاته: الحدائق المرجانية وسحرها. أنظر: المرجع نفسه، ص 20.

(4) علي بحري: المعنى وتطوره عند فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 263.

(5) ج. شميدت: دراسة علمية للسردية الأدبية، نظرية وتطبيق، مجلة العرب والفكر العربي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ع9، 1990، ص 69.

وعليه فاللغة في مجملها شكل من أشكال الحياة تقتضي اجتماعًا وتواصلاً بين البشر وهذا المعنى يقضي على كل لغة خاصة.

وعلى ضوء هذه الفكرة يمكن أن نفهم فحوى الفلسفة التقليدية عامة ونظرتها للغة أين دأب فلاسفتها على القذف باللغة بعيدًا عن تروس عجلة الحياة، وبذلك كان استخدامهم لمفرداتها وألفاظها استعمالاً هجينًا غير مألوف[1].

إذا كانت هذه هي الصورة البانورامية لعلاقة اللغة بالحياة الإنسانية في الفلسفة القديمة فإن ما جاء به فتغنشتاين بخصوص هذه المسألة وإفاضته في الحديث عن اللغة بوصفها لعبة تستدعي طابعًا اجتماعيًا مليئًا بالأنشطة ومحفوفًا بصور وأساليب حياة متعددة تتداعى لها سائر القواعد الاتفاقية بغية تحقيق منظومة لغوية اجتماعية تواصلية سيعد محط غرابة، بل وحتى نفور من هذا الوضع الذي آلت إليه اللغة، بعد أن عمّرت في برجها العاجي لعقودٍ من الزمن.

ولمثل هذه المواقف وأخرى كان لفتغنشتاين موقفًا حاسمًا تجاه الفلسفة ومشاكلها، ولا يتوانى في كل فرصة تتاح له من إبراز موقفه الخاص جدًا منها وهذا ما سنحاول إبرازه في ما هو موالي من هذه الدراسة.

المبحث الثالث: وظيفـــة الفلسفـــة ومهـــام الفيلســـوف:

1- وظيفـــة الفلسفـــة:

لم يختلف النقاد في تقييمهم لفلسفة فيلسوف كما اختلفوا بشأن فلسفة فتغنشتاين وانقسموا بصددها بين مؤيد مقرِّظ عدّه من أنبياء الفلسفة بل ومسيحها المعاصر وبين مسخّف مناهض اعتبره المسؤول عن الهبوط بالفلسفة إلى الأسفل والبلوغ بها إلى حدِّ النقيض الخالص[2] حيث اللافلسفة، وبين هذه وتلك واصل فتغنشتاين تعبيره عن أفكاره الفلسفية بكل جرأة وبكل ثقة أيضًا.

وإذا كنا لا نعدم الدليل بأنه ساير راسل ومور في ثورتهما ضد المثالية فإننا لا نجانب الصواب أيضًا إذا قلنا بأنه بالغ في هذه الثورة وجاهد فيها بعنفٍ حتى بدت وكأنها ثورة ضد كل

---

(1) زكريا إبراهيم : دراسات في الفسلفة المعاصرة، مرجع سابق، ص 262.

(2) عبد المنعم الحفني: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، المرجع السابق، ص 957.

أنواع التفكير الميتافيزيقي، بل وضد الفلسفة ذاتها لدرجة وصفها بأنها كانت فلسفة ضد الفلسفة[1].غير انه كان على وعي بحكمة أرسطو جيدًا التي تقتضي أن كل رفض للفلسفة هو فلسفة في ذاته.

إن موقف فتغنشتاين من الفلسفة موقف متميز وفريد من نوعه فقد صرحت التراكتاتوس أن الفلسفة ليست علمًا من العلوم الطبيعية بل إنها يجب أن تعني شيئًا أعلى أو أدنى من العلوم الطبيعية ولكن ليس على مستواها[2] فهي ليست علمية كالتي دعا إليها راسل في فلسفته العلمية.

ومن جهة أخرى اعتبر الفلسفة كلها نقدًا للغة[3] وبذلك أسندت مهمة جديدة للفلسفة ممثلة في تحليل اللغة، وحصرت وظيفتها في التوضيح واعتبرها نشاطا وفعالية ليس من شأنها أن تبحث عن إجابات من نوع خاص للأسئلة، بل تكتفي بتقديم مجموعة من التوضيحات لنوع خاص من الوقائع، حتى يتبين لنا أن ما نعده مشكلات فلسفية لا تعدو إلا أن تكون نتاجًا عن سوء فهم منطق لغتنا[4] وبذلك جاء مشروع الرسالة معالجًا لمشاكل الفلسفة عن طريق تحديد المنطلقات الدقيقة المؤدية للامعنى لأن معظم القضايا والأسئلة التي كتبت عن أمور فلسفية ليست كاذبة بل خالية من المعنى[5]، هذا ويذهب عدد المهتمين بفلسفة فتغنشتاين إلى أن هذا الأخير حمل هذه الترسانة من المواقف بشأن الفلسفة من التراكتاتوس وصولاً إلى المباحث ومرورًا بالملاحظات باعتباره حافظ على مهمة الفلسفة كما صاغها في كتابه الأول، ولم يعمد إلى تغيير مهمتها بل نستطيع القول –حسب هذا الرأي– أن هناك حرص وتأكيد كبيرين على مهمة تحليل اللغة فلا يزال يصف الفلسفة بأنها معركة ضد البلبلة وعلّق على ذلك قائلاً إنها معركة ضد البلبلة التي تحدث في عقولنا نتيجة استعمال اللغة (...) الأمر الذي يؤدي إلى قيام المشكلات الفلسفية[1]، وبتمعن خاطف لهاتين العبارتين ندرك أن لا جديد يتعلق بمهمة الفلسفة وإنما الشيء الذي يحتل مركز الصدارة هي فكرة الاستعمال أو الاستخدام[2].

---

(1) محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 39.

(2) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 4,111).

(3) المصدر نفسه، (ق 4,0031).

(4) شريف بركة: مفهوم اللغة في فلسفة فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 103.

(5) المصدر نفسه، (ق 4,111).

(1) Wittgenstein. L: Investigations philosophiques, Sec 109.

(2) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص 103.

غير أن وجهة النظر هذه يجب أن تؤخذ بحذر شديد ذلك أن هذه الفلسفة وإن حافظت على مهمتها في توضيح المعاني فهي تختلف اختلافًا تامًا عن عملية بناء نظام منطقي من الأشكال، كما دعت إليه الرسالة وذلك بوضع قواعد دقيقة للعمليات المنطقية. في حين أن المباحث أصبحت تنظر إلى الفلسفة باعتبارها جهدًا سلبيًا هدفه الكشف عن المتناقضات التي يقع فيها الفلاسفة الميتافيزيقيون فليس دورها البحث عن المعنى، أو الاهتمام بدراسة اللغة العادية فحسب وإنما القضاء على الحيرة والتعسف النحوي[1] ومن ثمة الإرباك الفلسفي[2].

ومن هذا المنطلق رفض فتغنشتاين الفلسفة بمعناها الكلاسيكي بكل مسائلها باعتبارها لغو فارغ وظلة مردودة على أهلها لا يمكن إثباتها[3] ولا معنى لها إلا في أحلام أصحابها[4] يعبرون عنها بألفاظ خالية من المضمون مستغلقة، رجراجة ومهترئة لا تدل على شيء محدد وواضح بل هي تبدأ حيث ينتهي الوضوح[5]. وبذلك فهي على أقل تقدير جهد ضائع وعبث باطل[6] وعبء ثقيل رضخ الفكر تحته زمنًا طويلاً جدًا[7].

ولهذه الأسباب تبنى فتغنشتاين مفهومًا جديدًا للفلسفة وأصبحت عنده مقتصرة على التحليل اللغوي أي تحليل اللغة التي نتكلم بها في الفلسفة، إذ كان له فضل نقل الفلسفة من مجال البحث في الوجود أو العلل الأولى إلى مجال اللغة غير أن هذه اللغة التي يقصدها اختلفت وتباينت بين مرحلتي فكره.

ذلك أن أحد معالم التغيير في موقف فتغنشتاين من اللغة ومنها إلى الفلسفة يكمن في تحوله من اللغة الرمزية الصورية التي كرست التراكتاتوس جل قضاياها في سبيل بنائها إلى لغة الحياة اليومية التي جاءت الأبحاث لتجسيد شرعيتها في ميدان البحث الفلسفي، وأصبح معها الحديث عن أي لغة (كلمات... وعبارات) يعني الحديث عن لغة الحياة اليومية.

---

(1) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 260.

(2) جون إي جوزيف وآخرون: أعلام الفكر اللغوي، المرجع السابق، ص 139.

(3) عبد الرحمن مرحبا: المسألة الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1985، ص 42.

(4) المرجع نفسه، ص 38.

(5) المرجع نفسه، ص 58.

(6) المرجع نفسه، ص 45.

(7) موقف فتغنشتاين هذا من الفلسفة كان له تأثير واسع في الساحة الفلسفية أين امتد إلى أعضاء حلقة فينا الذين كسدت سوق الفلسفة عندهم في مقابل تفتح ملحوظ للعلوم المختلفة.

وطبقًا لهذه التحولات والتطورات الجديدة كان مساوقة الفلسفة لهذه التطورات ضرورة منهجية بأن تغير منهج بحثها تبعًا للغة محل الدراسة والذي يظهر من خلال استعمالاتها الحقيقية في صميم اللغة العادية[1]، وتنظر في الاستعمال اليومي للغة من خلال معالجة ما يظهر من مشاكل على غرار مثلاً الاعتقاد بالمعنى الواحد للفظ الواحد، والفصلُ بين اللفظ ومعناه على أساس أن المعنى مستقل عن اللفظ نفسه، فضلاً عن تصور وجود كل شيء في مقابل كل لفظ وغيرها من القطعيات التي نادت بها الرسالة لتتضح مهمة الفلسفة في الأبحاث في توضيح أن معنى اللفظ مرتبط باستخدامه وعليه تتعدد المعاني بتعدد الاستخدامات، وأن معنى اللفظ هو الطريقة التي يستخدم بها بالفعل في اللغة العادية، وليس شيئًا منفصلاً عنه، ثم توضيح أن هناك الكثير من الألفاظ ليس لها مقابل في الوجود الخارجي كالألفاظ الكلية[2].

غير أن هذا لا يجب أن يفهم على أن فتغنشتاين يريد للفلسفة أن تضطلع بمهمة إصلاح اللغة، بل على النقيض من ذلك لا تجد بدًا لها إلا بترك كلّ شيء على حاله أو على ما هو عليه، وقد يتساءل أحدنا: هل يعني هذا أن اللغة غير قابلة للتغيير؟ وإن كان الأمر كذلك بأي حق انتقل فتغنشتاين من اللغة الصورية على اللغة العادية؟

إن الأمر لا يحسب كذلك، وإنما كل ما هنالك كما يقصد فتغنشتاين –في اعتقادنا– أن مثل هذه التحولات يجب أن نتبع من الحاجات الملموسة والمرئية للناطقين بتلك اللغة لا من التأملات المجردة حول طبيعة اللغة، وقياسًا على ذلك ليس من شأن الفلسفة أن تخترع لغة أو ستحدثها، أو تتقلد مهمة إصلاح اللغة العادية، وفي هذا يحرص فتغنشتاين الأبحاث على أن لا تمس الفلسفة الاستعمال الفعلي للغة وأن تقتصر فقط على وصفها بترك كل ما هو موجود على حاله دون تدخل فيه انسجامًا مع تصور عام يرى أن الفلسفة لا تملك القدرة على تأسيس هذه اللغة[1]. وإنما تضع أمامنا ببساطة كل شيء فلا تفسر شيئًا ولا تستنبطه وبما أنه يوجد كل شيء أمام أنظارنا فلا يوجد شيء يتطلب التفسير وكل ما هو غامض أو لا يقبل الإيضاح ليس من صميم اهتمامنا[2]، وبذلك تكون كل مهمة الفلسفة هي المساعدة على الاهتداء إلى الأخطاء التي يقع فيها

---

(1) يحي هويدي : قصة الفلسفة الغربية، المرجع السابق، ص 149.

(2) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع السابق، ص 103.

(1) L. Wittgenstein : Investigations philosophiques, Sec 124.

(2) Ibid, Sec 126.

الفلاسفة حين يسيئون فهم الاستعمالات العادية للألفاظ. بمعنى تكون مهمتنا في الفلسفة حسب فتغنشتاين في رد الألفاظ من الاستخدام الفلسفي عامة والميتافيزيقي خاصة إلى الاستخدام النابع من الحياة اليومية في اللغة العادية[1].

وفي الحقيقة إن استيعاب هذا الموقف من الفلسفة بشكل جيد يقودنا إلى الحطِّ من قيمة الفلسفة مادامت مهمتها أصبحت في رأي فتغنشتاين سلبية صرفة ومادامت كل وظيفتها لا تكاد تتعدى إزالة العوائق التي تقف حجرة عثرة أمامنا في سبيل فهم معاني اللغة العادية[2].

ومن هذه الزاوية يمكننا الجزم بأن أهمية فلسفة فتغنشتاين تعود أساسًا إلى موقفه من الفلسفة الذي ينسج أولى خيوطها في نقده بدءً بتغير وظيفتها ومهمتها وأضحت منهجًا خالصًا لا مجموعة من الحقائق التي ينتهي إليها الفيلسوف، مكلفا بعلاج الالتباسات التي تنشأ عن سوء فهم منطق لغتنا كما ذهبت إليه الرسالة أو عن الاستعمال الخاطئ لعباراتها إذ ليس من شأنها الشرح وإنما الوصف والملاحظة فقط[3] كما أقرت بذلك الأبحاث.

وباختصار تصبح الفلسفة –مع فتغنشتاين الأبحاث– وصفًا لألعاب اللغة التي هي صور من الحياة[4] تمهيدًا لعلاجها بغية القضاء على الإرباك الذي يثيره سوء استخدام اللغة، وقد يترتب عن الوظيفة العلاجية الجديدة للفلسفة تغيير موضوع الفلسفة أيضًا إذ لم يعد لها موضوعًا من قبيل مشاكل الوجود الواقعي، والمسائل القيمية وغيرها بل أصبح موضوعها هو تحليل اللغة[5] التي نتكلم بها عن الأشياء في حياتنا اليومية، ووصف كل استعمالاتنا للألفاظ.

وقد لا يمانع البعض من تقريب هذا التصور من زاوية أخرى وهو التصور العام لفلسفة فتغنشتاين والذي ظلت فيه اللغة تستأثر بكل اهتمام فتغنشتاين منذ الرسالة حتى الأبحاث وإن كنا لا نجد بدًا من الاعتراف بأن تصوره لها في الأبحاث مخالف –كما سبق ورأينا– في أكثر من جانب عن تصوراته لها في فلسفة الرسالة، غير أن الجدير بالقول أن فتغنشتاين من خلال هذا الاهتمام

---

(1) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 261.

(2) المرجع نفسه، ص 261.

(3) Malherbe. J : Langage ordinaire et philosophie chez le second Wittgenstein,Oc, pp 73-74.

(4) Baraquin. N, Laffile. J: Dictionnaire des philosophes, Oc, p 335.

(5) يحي هويدي: قصة الفلسفة الغربية، المرجع السابق، ص 149.

البالغ باللغة، لم يكن يرى من سبيل لفهم قضايا الفلسفة إلا بالرجوع إلى اللغة في مفهوم خاص به من أن مشكلات الفلسفة هي في الأصل مشكلات لغوية استنادًا لما صرّح به في الأبحاث تحت

عنوان أن الإشكالات الفلسفية تولد وتنشأ عندما تكون اللغة في احتفال[1] وبهذا المعنى ظلت اللغة محور التفكير الفلسفي[2] وإن حدث وتغيرت لغة هذا التفكير الفلسفي فإنه لابد على فلاسفته ومفكريه أن يغيروا من لغتهم ويتقلدوا مهامًا تتماشى مع التطورات الحاصلة في اللغة.

2- مهمـــة الفيلســـوف:

تنطلق الأبحاث في سبيل تحديد هذه المهمة وفق ما نصه "إن عمل الفيلسوف يقوم على تجميع تذكارات من أجل هدف معين"[3] و"إذا حاول أحدهم أن يعطي فروضًا أو نظريات في الفلسفة فقد لا يكون من الممكن أبدًا مناقشتها"، ولا تخلو المباحث من إفاضات في شرح المقصود الذي يذهب إليه فتغنشتاين في إطار تحديده لمهام الفيلسوف الذي ظل في حركة مد وجزر بين وظائفه في التراكتاتوس والوظائف المتجددة مع الأبحاث.

وإذا تواضعنا منذ البداية على أن هناك نوع من التواصل وحركة استمرار فكرية بين كتابي الرسالة والأبحاث فيما تعلق بالفلسفة وإشكالاتها ودائمًا أيضا في مراعاة التطورات التي طرأت على اللغة وأهدافها ووظائفها فهل يمكننا أن نصدر نفس الحكم على فيلسوف الفلسفة؟

لقد كان فتغنشتاين التراكتاتوس قد أسند للفيلسوف مهمة التوضيح المنطقي للأفكار عن طريق التحليل المنطقي للقضايا المختلفة سواء تلك التي كانت رسمًا للواقع كالقضايا التجريبية أو تلك التي خلت من كلّ تمثيل كقضايا المنطق والرياضة، حيث يضطلع الفيلسوف بفحص هذين النوعين من القضايا عن طريق تحليلها وتوضيحها دون أن تمتد هذه المهمة إلى محاولة إقامة نظريات فلسفية[1].

---

(1) L. Wittgenstein : Investigations philosophiques, Sec 38.

(2) هذه الشذرة من الأبحاث يمكن فهمها أو تأويلها على معنيين: الأول: أن مشاكل الفلسفة أو على الأقل ما نعتبره مشكلات مرتبطة ارتباطًا وثيقًا باللغة، والثاني: أن هذه المشاكل إنما تتولد في الحقيقة عندما تكون اللغة بدون رقيب أن يُستعمل بدون حدود، فالفلسفة هي معركة –كما قال– ضد افتتان عقلنا باللغة (Investigations, Sec 109) والذي يتمعن في كلا التأويلين سيدرك أنهما يفضيان حقيقة إلى نفس النتيجة وهي اعتبار اللغة محور التفكير الفلسفي وإن تغيرت لغة هذا التفكير.

(3) Ibid, Sec 128.

(1) محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 52.

ذلك أنه ومتى كان هدف الفيلسوف الوصول إلى نظريات عامة وقع حيث الزيف واللامعنى، حتى وإن كنا لا ننكر في الجانب الآخر من أننا ميّالون بالطبيعة إلى الخوض في هذه المسائل غير أن الشيء الذي ظل يؤرق فتغنشتاين على طول مسار فكره هو تلك الإجابات التي يقدمها الفلاسفة تجاه هذه المسائل والأحكام التي يصدرونها بشأنها والتي تروع أجهزتها الاستدلالية الظاهرية عن احتوائها فضلاً عن تعارضها مع معتقداتنا العادية المألوفة[1]. إذ مهمتها تكمن في إماطة اللثام على الانخداع الذي وقع فيه الفلاسفة ومحاولاتهم العابثة في سبيل حلّ هذه المشكلات لأنه ببساطة لا توجد مسائل فلسفية أو مشكلات فلسفية من حيث هي كذلك، فما يبدو لنا من مسائل أو مشكلات فلسفية إنما هو ناتج عن سوء فهمنا لمنطق لغتنا.

وإذا كان فتغنشتاين قد سلّم مهمة التوضيح المنطقي للأفكار والقضايا (تجريبية ومنطقية رياضية) لفيلسوف التراكتاتوس فإن هذه المهمة قد استبدلت بالنسبة لفيلسوف الأبحاث بوظيفة جديدة تقلد على إثرها منصب معالج نفسي لفحص الشخص الذي تقلقه مشكلة فلسفية ما، إذ يعمل على إعادة الفلاسفة إلى اللغة العادية ونبذهم لكل محاولة ترمي إلى إقامة لغة مثالية تناظر في رمزيتها لغة المنطق والرياضة[2].

وإذا تساءل أحدنا عن طبيعة المرضى الذين يرتادون عيادة هذا الطبيب النفسي فإن فتغنشتاين سيجيبه بأنهم الفلاسفة ما عداه؟! إذ في هذه المعالجة الإكلينيكية يكشف الطبيب الفيلسوف عن مرض هؤلاء ليتبين له بأنهم مصابون بداء القلق والحيرة والارتباك من مسائل يكابدونها ويحاولون عبثًا عايشتها بالرغم من أنهم سبب هذه المشاكل أصلاً[3]، وفي إطار بحثه عن العلاج يكشف الطبيب الفيلسوف أن من يعاني قلقًا بشأن مشكلة فلسفية هو شخص مصاب بنوع من التصلب العقلي ويكابد عقدة نفسية راسخة سيطرت على فكره بنمط لغوي معين[1].

على اعتبار أن كل المشكلات الفلسفية التي وقع فيها الفلاسفة ناتجة عن سوء استخدامهم للغة العادية أو تجاهلها في الكثير من الأحيان، فاستخدموا بذلك كلمات فضفاضة شاملة تمتد عمومياتها إلى معانقة المثالية بعيدة كل البعد عن الاستخدام المألوف لها، إذ يستخدم هؤلاء كلمات

---

(1) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 260.

(2) محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 53.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(1) محمد مهران رشوان : دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 110.

من قبيل "المعرفة" أو "الوجود" وغيرها فإنهم يحاولون إدراك ماهيتها في حين كان الأجدر بهم أن يسألوا كيف تستخدم هذه الكلمات بالفعل دائمًا وعلى هذا النحو في لعبة اللغة التي تكون موطنها الأصلي[1] لأن مهمتهم لا تكون إلا بإعادة الكلمات من استعمالها الميتافيزيقي إلى استعمالها اليومي[2].

ولنفس الاعتبار كانت الفلسفة عند فتغنشتاين دائمًا نشاطًا تشخيصيًا للكشف عن الأعراض والأمراض التي تلازم معارفنا وحين يتكشف للفيلسوف المعالج مصدر هذه العقدة وكل تلك الأمراض عن طريق التحليل، يدرك المريض مرضه يتوقف عن الرغبة في الحديث لغوًا، ولا يستمر في وضع أسئلة لا إجابة لها، وإن طرحت مثل هذه المسائل فإن الإجابة حسب فتغنشتاين ستكون بيان أنها ما كان يجب أن تسأل، ويتم حلها بيان أنها ما كان يجب أن تثار[3].

وبهذه السمات يكون الفيلسوف الجيد بالنسبة لفتغنشتاين الذي يكون غرضه من الفلسفة يبين الطريق الذي يخرج الذبابة من عنق الزجاجة أو من مصيدة الذباب أو كما قال يمتنع أن يضع أسئلة لا إجابة عنها، وأن يثير مشكلة لا حلّ لها[4].

ولعلنا لا نجانب الصواب إن قلنا أن هذا الفيلسوف بهذه السمات هو الفيلسوف الذي يرمي فتغنشتاين إلى تكوينه والذي يتخذ من منهج فتغنشتاين سبيلاً للوصول إلى غاياته، أين يستخدم طريقته في حل المشاكل الفلسفية بالعودة إلى الاستخدام الفعلي للألفاظ على أرضية اللغة العادية والحياة اليومية للإنسان، ذلك أن معظم الفلاسفة كما يقول ينشرون المرض أكثر من معالجته ويساعدون على إغراء الذبابة المتحيرة أن تظل داخل الزجاجة[1].

ومن جهة أخرى وفي إطار اعتبار الفيلسوف الجيد عند فتغنشتاين هو المحلل والمعالج النفسي لا نجد مبالغة في تقريب هذا التحديد من تحديد آخر يوجد بشكل قوي عند نيتشه حيث يتولى الفيلسوف الطبيب مهمة قراءة الأعراض واستخلاص أمراض الثقافة، ذلك أن كلاً من الفيلسوفين

---

(1) L. Wittgenstein : Investigations philosophiques, Sec 116.
(2) Ibidem.
(3) محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 110.
(4) Ibid, Sec 309.
(1) المرجع نفسه، ص 111.

يجمعان على الطابع التشخيصي للفيلسوف الذي يتحلى به التفكير الفلسفي، بل وإن كليهما ينيط بالفلسفة مهامًا أسمى وأرقى من تلك التي تناط بالعلوم[1].

وبذلك ألفينا فتغنشتاين يدعو الفلسفة إلى خوض معركة حاسمة ضد سحر اللغة وإطفاء فتنة العقول بها[2].

وبالنسبة لفتغنشتاين مهما كان الأمر فقد تم القضاء على المشاكل الميتافيزيقية سواء في تصور الرسالة لها أو في معالجة الأبحاث لمسائلها لأنه في كلا الكتابين لم يعد ما يؤرقنا في الفلسفة، إذ صرحت التراكتاتوس أن كل المشاكل الفلسفية قد تم حلها، وقالت الأبحاث إن المشاكل الفلسفية زالت تمامًا بعدما اتضحت أنها نتيجة لسوء فهم منطق اللغة الذي نشأ في غموض القواعد ومتى تحقق الوضوح في نسق القواعد واستخدامها زالت المشاكل الفلسفية[3].

بل الأكثر من ذلك أن الاكتشاف الحقيقي في هذا هو الذي يجعل الإنسان قادرًا على التوقف عن التفلسف حين يريد ذلك وهذا ما يكفي الفلاسفة عناء البحث ويمنح الفلسفة سلامًا حتى لا تزعج بعد ذلك بأسئلة تجعلها هي ذاتها موضع تساؤل.

المبحث الرابع: موقف فتغنشتاين في ضوء نظرية ألعاب اللغة من:

1- قضايا المنطق والرياضيات:

لقد أجمع الفلاسفة والمناطقة على حدٍّ السواء على يقينية قضايا المنطق والرياضة المطلقة والتي لا تقوم على خبرة حسية أو تحقيق تجريبي، بمعنى أن هذا اليقين وهذا الصدق مستقل عن التجربة، وبذلك سنكون بمنأى عن أية دهشة قد تصيبنا حين نرى إجماع الفلاسفة العقلانيين على ذلك، لأن التماس اليقين عندهم لا يكون في ما يقوم على حسٍ أو تجربة وإنما يقوم على العقل الخالص وبالتفكير العقلي الخالص تصاغ قضايا المنطق والرياضة[1].

---

(1) شريف بركة: مفهوم اللغة في فلسفة فتغنشتاين، المرجع السابق، ص 112.

(2) أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة مقاربة سيميائية في فلسفة العلوم، المرجع السابق، ص 71.

(3) L. Wittgenstein : Investigations philosophiques, Sec 133.

(1) محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 63.

غير أن البحث الجاد في إشكالية يقين قضايا الرياضيات البحتة وقواعد المنطق[1] لم يولد إلا مع كانط "kant "بتمييزه الشهير بين القبلي "Opriori" وبين ما هو بعدي "Aposteriori" من جهة وبين ما هو تحليلي "Anatytic" وما هو تركيبي "Synthetic"[2] من جهة أخرى.

لتتخذ بعدها الإشكالية أبعادًا أخرى ناقشها كل منطقي وكل رياضي انطلاقًا من التوجه العام لفلسفته، وبالنسبة لفتغنشتاين كانت دراسته لهذه الإشكالية بطابعين متمايزين بالنظر لمسار فكره وعليه ستكون دراستنا لهذين الطابعين كل على حدى مراعاة للتغيرات والتطورات التي طرأت على فكره.

إنك أن تقع في غرام المنطق كما وقع فتغنشتاين يعني أن ترى فيه الانسجام، ومن خلالها الجمال الذي تستحيل رؤيته خارج إطار التناسق والتناغم ولذلك لا نستغرب عندما نفتتح كتابه الدفاتر ونقرأ أول جملة فيه مفادها "المنطق يعتني بنفسه" " La logique doit prendre soin d'elle même"[3].

وفي سبيل تحقيق هذه المهمة كرس فتغنشتاين فقرات عديدة من التراكتاتوس بغية إرساء دعائمه وذهب في ذلك إلى اعتبار أن قضايا وقواعد المنطق ليست إخبارية أو تركيبية بلغة كانط لأنها ببساطة لا تمثل حالة من حالات الواقع.

وهذا التمايز بالنسبة لقضايا المنطق عن قضايا الواقع يجب أن يفهم بأن فتغنشتاين بهذه السمة يحاول أن يجعل المنطق نقيًا من كل الشوائب التي تكون قد ألحقت به خاصة منها التجريبية حتى يكون في صورة نقية وشفافة تجعله قادرًا على أن يعكس البنية المنطقية للواقع[1] لذلك فالمنطق في علاقاته مع كل شيء في الوجود بمعزل عن الإنسان أو معه يظهر بكل حقيقة موضوعية رياضية[2].

---

[1] لسنا هنا بصدد تحليل يقينية قضايا المنطق والرياضة عند المناطقة والرياضيين وإنما فقط جاء تحليلنا في إطار توضيح السياق العام الذي ولدت فيه هذه اليقينية.

[2] المرجع نفسه، ص 64.

[3] Wittgenstein. L : Carnets (1914-1916), 22/08/14, p 23.

[1] فتغنشتاين: الرسالة، (ق 4,462).

[2] هاني يحي نصري: دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2002، ص ص 194-195.

وعلى هذا الأساس لا نجده يتعامل مع أي من الموضوعات الخاصة ونتيجة لذلك تكون قضاياه تحصيلات حاصلة صادقة دومًا صدقًا أوليًا غير مشروط[1]، وهذا الصدق غير المشروط يعني أنه لا يتوقف على تحقيق أي شيء من الأشياء في العالم، ولكنه غير مشروط بأي منها تمامًا عندما أقول: الوردة جورية أم أنها غير جورية، أو أقول الوردة جورية وليست جورية.

وسيان الأمر بالنسبة للقضية الأولى أو الثانية فإنهما لا يتحدثان عن حالة معينة تخبرنا عن لون الوردة، ولا تجيبنا إذا تساءلنا عن لون الوردة، لهذا فإن تحصيلات الحاصل هي قضايا منطقية لا يقضى فيها بشيء، ومن ثم لا يمكن اعتبارها كما يقول شولت رسومًا صادقة للواقع[2].

وقد يتساءل أحدنا عن مصدر هذا الصدق في قضايا المنطق بما أنها ليست رسومًا للواقع ولا تخبرنا عن شيء في العالم؟

إن إجابة الرسالة على تساؤلنا سيكون وكما جرت العادة باختصار شديد بأن لا ضرورة إلا في المنطق كما لا استحالة إلا فيه[3].

وعليه فإن صدق تحصيل الحاصل ضروري لا لوجود وقائع تمثله، وإنما للضرورة المنطقية، فهي لا تقول جميعها شيئًا[4]، وإنما تظهر الأشياء وتعكسها بلغة حدود القول والإظهار الوارد في الرسالة، وبذلك نجد ماكس بلاك يرى بأن فتغنشتاين من خلال هذا الموقف إنما أراد أن يهاجم فكرة أن المنطق له موضوع معين يمكن أن نخضعه إلى عملية التحليل حتى نصل إلى عناصره الأولية، تمامًا كما تحلل العالم الخارجي[1].

وهكذا وبهذا الطريقة ساق المنطق فلسفة فتغنشتاين، وراح يظهر بلغة اختزالية كمبيوترية تشبه الجبر مما فتح بابًا واسعًا لإمكانية تحليل كل قول وردّه إلى عناصره الأولية بعيدًا عن كلِّ بلاغة مظللة فيه[2].

---

(1) عزمي إسلام: أسس المنطق الرمزي، المرجع السابق، ص 233.

(2) Schulte. B : Lire Wittgenstein,Oc , p 71.

(3) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 4,462).

(4) معنى ذلك أنها لا تقول أشياء يمكن مقارنتها بالواقع كما تنص بنود نظرية الرسم المنطقي.

(1) Black. M: A companion to Wittgenstein tractatus,Oc, p73.

(2) هاني يحي نصري: دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص 196.

وما يقال عن قضايا المنطق يقال أيضًا عن قضايا الرياضيات هذه التي تتضمن إضافة إلى الحقيقة، الجمال الصارم البارد الشبيه بما نجده في التماثيل والمنحوتات، وهذا راسل يعبر عن حبه للرياضيات خوفًا من مواجهته الحقيقة بدونها قائلا: "وكنت في أحيان كثيرة على وشك الانتحار، و لم يرد عني هذا إلا رغبتي في معرفة الرياضيات"[1].

إن الرياضيات هي العلم الأكثر صرامة ودقة منذ أن وجدت ولا تزال العلم المثالي للتفكير الإنساني والآلة الضرورية لجميع العلوم على حدّ تعبير كونت لهذا سعت مختلف العلوم إلى محاكاتها ومحاولة النسج على منوالها من خلال تبني منهجها تارة ولغتها الرمزية تارة أخرى، في هدفٍ واحدٍ يتمثل في الوصول إلى نفس درجة يقينها ومصداقيتها.

وفي إطار تحليلها لقضايا الرياضيات كشفت التراكتاتوس أن قضايا الرياضيات البحتة أيضًا تحصيلات حاصل أو قضايا تكرارية لا تخبرنا بشيء عن الواقع[2].

رغم أنهما المنطق والرياضة لا يتناولاَ أي من قضايا الواقع إلا أنهما جزءٌ من لغتنا الرمزية لها قيمتها وأهميتها في بناء الأنساق المختلفة[3] ماداما أنهما قضايا تحليلية.

وقد عبّر فتغنشتاين عن هذه الصفة تحليلية قضايا المنطق والرياضيات في دفاتره قائلا: "في المنطق كما في الرياضيات النتيجة والطريقة متساويان ومن هنا فلا وجود للمفاجآت"[4]. ذلك أن قضايا الرياضيات إنما تستمد صدقها ودلالتها من لغة الرياضيات ذاتها، فإذا طلب منا مثلاً حلّ الجداء الشهير التالي: $(2x - 3y)^2$ فإننا لا نعمل في الواقع إلا بتحليل هذه العبارة وتحويلها إلى أخرى حيث يصبح لدينا: $(2x - 3y)^2 = (2x)^2 – (2x\ 3y) + (3y)^2$

وكلتا المعادلتين صادقة، والضرورة في صدقها لا ترجع لشيء خارجي في الواقع أو مصدر آخر خارج الرياضيات وإنما في أن كلاهما لا تقول شيئًا على اعتبار واحدٍ وهو أن الطرف الثاني يحلل الطرف الأول وبالاستخدام الجيد للرموز الرياضية بقواعدها المختلفة نقول عن المعادلتين أنهما صادقتين[1].

---

(1) برتراند راسل: الفوز بالسعادة، ترجمة سمير عبده، منشورات دار الحياة، بيروت، 1980، ص 25.

(2) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 4,4611).

(3) المصدر نفسه، القضية نفسها.

(4) Wittgenstein. L: Carnets, 24/04/15, p 93.

(1) جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 78.

وعلى هذا النحو أصبح لا مناص لنا من اعتبار اللغة الرياضية نموذجا لليقين، وبذلك فإن النظريات العلمية المعاصرة ليست سوى بناء أو نسق رياضي يحتوي على رموز بينها علاقات تصاغ في معادلات رياضية، وينظر العلماء إلى هذه اللغة الرياضية على أنها مرشد لفهمنا للعالم لا أنها تعبر عن حقيقته[1].

وهكذا وبهذا المعنى أراد فتغنشتاين التراكتاتوس للرمزية الصورية أن تترك بصماتها في الرياضيات والمنطق حتى وصلت إلى اللغة، ودشنت طورًا جديدًا في حياة العقل اللغوي، ذلك أنه عندما يعبر الرمز إلى اللغة سوف لن يكون عبوره عبور الكرام وإنما سيترك من دون شك أمتعة دلالية ثقيلة[2] منها على سبيل المثال لا الحصر أن اللغة لا تستطيع التعبير عن شيء يتناقض مع المنطق أو الرياضيات لأنه ببساطة ليس في وسعنا التحدث عن شيء لا نعقله أو نفهمه[3].

وعلى هذا الأساس أشار بلانشي إلى أن فتغنشتاين في كتابه التراكتاتوس سدد الضربة القوية للمنطق فبدلاً من معالجة الفراغ البدهاني في الرياضيات معطيًا إياه مضمونًا منطقيًا كان على العكس قد أفرغ المنطق من كل مادة ليحفظه على مجرد شكل، وأصبحت قضايا المنطق هي "لغو" ليس بدون معنى حقًا ولكنه بدون أي مضمون[1] فكل قضايا المنطق تعني ذات الشيء أي لا شيء[2].

وإذا كان هذا هو موقف فتغنشتاين من قضايا المنطق الرياضية في دراساته الأولى كما هي بادية في التراكتاتوس أو كما تظهر في الدفاتر قبلها فإن موقفه منها سيطاله التعديل في كتاباته المتأخرة أو بعد عودته للفلسفة خصوصًا في كتابه الأبحاث، وبالرغم من أنه ظل وفيًا لرأيه السابق من أن قضايا الرياضيات والمنطق هي تحصيلات حاصلة لا تقول شيئًا عن الواقع.

---

(1) محمود فهمي زيدان: من نظريات العلم العاصر إلى المواقف الفسلفية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1982، ص 90.

(2) أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة، المرجع السابق، ص 14.

(3) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 254.

(1) روبير بلانشي: المنطق وتاريخه من أرسطو إلى راسل، ترجمة خليل أحمد خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 472.

(2) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 5,43).

غير أنه غيّر الأرضية التي يقف عليها، و لم يعد يرى بأن صدق تحصيلات الحاصل ضروري راجع إلى اتفاقها في إمكانات الصدق للقضايا الأولية[1] ومن ثم فإن الضرورة والصدق واليقين في قضايا الرياضيات البحتة، ومبادئ المنطق هي ثمرة رؤية عقلية مباشرة أو حدس عقلي مباشر[2]، وإنما آيات اليقين فيها راجعة للاصطلاح أو التواضع على المعاني المحددة للرموز.

ذلك أنه ومنذ أن ولى وجهه شطر اللغة العادية أصبحت معه اللغة ظاهرة اجتماعية وصناعة إنسانية، يتولى الشخص فيها صناعة ألفاظه وقواعد تركيبها في جمل صحيحة تستخدم الكلمات والرموز في كلّ لعبة لغوية تلعبها لتدل على أشياء، ومادام الأمر كذلك فإننا يمكننا حسب فتغنشتاين أن نصطلح على معاني أخرى للرموز ونختار قواعد أخرى تترتب فيها نتائج مغايرة إذ ليس ثمة ما يمنع منطقيًا ورياضيًا أيضا أن يصطلح قوم ما أو جماعة لغوية ما على أن 1+1 لا تساوي 2 بل تساوي أكثر أو أقل من 2، إذا اصطلحوا طبعًا على تحديد معنى آخر للعدد 1 غير المعنى المتفق عليه بيننا[3].

وبهذا المنظور يكشف فتغنشتاين الأبحاث الغطاء عن الرياضيات باعتبارها معشوقة العقل، ويزيل عنها محط الغرابة وطابع القداسة الذي أسكنها في برجها العاجي لعقود من الزمن عن طريق إنزالها من سماء صورية المفاهيم إلى أرض معاينة المواضعة والاصطلاح عندما وضعها إلى جانب الممارسات الإنسانية وصيّرها لعبة في أحضان المجتمع لا تختلف عن لعبه المتداولة كالشطرنج أو غيرها.

فإذا كنا في الشطرنج نلعب بتحريك قطع خشبية فإننا في لعبة الرياضيات نلعب بتحريك أرقام ورموز نكون قد اخترنا قواعدها وتواضعنا على اصطلاحها[1] والنتيجة أن الموضوعات الرياضيات ليست كائنات من عالم الأفكار الأفلاطونية وإنما هي ابتكارات وتأليفات إنسانية[2].

---

(1) عبد الغفار مكاوي: في تقديمه لكتاب البحوث الفلسفية لفتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 26.

(2) محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 82.

(3) عبد الغفار مكاوي: في تقديمه لكتاب البحوث الفلسفية لفتغنشتاين ، المرجع نفسه، ص 24.

(1) Espinosa. M : Wittgenstein et l'essence des mathématiques in visages de Wittgenstein sous la direction de R.B Quillot, Banchesne, 1995, p 305.

(2) Ibid, p 306.

وفي هذا الإطار نشير إلى أن فكرة الاصطلاح في قضايا المنطق والرياضة على المعاني والرموز المحددة لقضاياها شكلت محور فلسفات قائمة بذاتها على هذه الفكرة تحديدًا بمزيد من التطوير كنظريات المواضعة اللغوية في القضايا اليقينية عند مالكولم "Malcolm" وجيلرت رايل "G. Ryle" وجون وزدم "Wisdom" وستراوسن "Strawson" وغيرهم[1].

2- اللغـــة الـــخاصـــة "Private Language" : :

لا يكاد يختلف اثنان على تميز موقف فتغنشتاين من الفلسفة الذي ظلت تحتفظ عنده بوظيفة علاج الدّاءات التي تسببت فيها اللغة، وتعد المعالجة الفلسفية الجادة والهامة في القسم الثاني من الأبحاث الفلسفية من الأهمية والشمولية مقارنة مع نظيرتها في الرسالة ذلك لأنها لا تحيلنا على المنطق بل تحيلنا على علم النفس باعتبار أن الأمر هنا لم يعد يتعلق كما كان في التراكتاتوس بتحليل القضايا بهدف إيضاحها، وإنما أصبح يتعلق قبل كل شيء في الأبحاث على البرهنة على العمليات الذهنية التي تدفعنا لصياغة قضايا كهذه[2].

لذلك وفي إطار المباحث ومساوقة للأفكار الجديدة للرجل فيما يخص التحول إلى اللغة العادية فإنه من الأخطاء الرئيسية التي نقع فيها حسب فتغنشتاين نتيجة عجزنا عن فهم عمل لغتنا، أن نفترض قدرة إنسان ما على استعمال كلمات دالة على أفكاره وإحساساته "الخاصة" بحيث لا يستطيع أحد أن يشاركه أو يفهم عنه ما يقول[1].

وبسبب موقفه مما يعرف باللغة الخاصة اتهم فتغنشتاين على إثرها بالسقوط في السلوكية المحضة[2]، على أساس أن قضايا هذه اللغة الخاصة متعلقة بما يسمى الوعي أو الفكر وبالتالي ستكون حسب فتغنشتاين التراكتاتوس خالية من المعنى مثلها مثل قضايا الميتافيزيقا، وهي مع فتغنشتاين الأبحاث ذات معنى فقط إذا ترجمت إلى سلوك لغوي، إذا ترجمت طبعًا إلى قضايا تجريبية يمكن التحقق من صدقها.

---

(1) محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص ص 63، 93.

(2) مؤلف مجهول: فتغنشتاين او من اجل فلسفة اخرى تقديم و ترجمة محمد فراطميسي، مرجع سابق ص ص 140-143.

(1) عبد الغفار مكاوي: في تقديمه لكتاب البحوث الفلسفية لفتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 27.

(2) للإطلاع الوافي على هذه الدعاوى في هذه المسألة يمكن الرجوع إلى:

Benveresse J: Le mythe de l'intérioté, Ed de minuit, 2ed, 1987, p 26.

وإذا تصفحنا الجزء الثاني من الأبحاث المحيل على علم النفس لا نعدم الدليل في إشارات فتغنشتاين إلى تجارب معيشية داخلية كالأحاسيس مثلاً، فعندما أقول مثلاً إنني أشعر بالألم، قد يظن البعض أني أشير إلى عملية ظاهرة أو حالة نفسية ذهنية، في حين أنه لا يستطيع القول مطلقًا بإمكانه وصف حالته الذهنية كما يصف كتابًا أمامه.

وفي إطار شرح هذه الوضعيات تذهب بعض الدراسات إلى القول بأن مفرداتنا اللغوية ذات الطابع النفسي -عكس ما قد نتوهم- لا تشير إلى حالات باطنية أو إلى أفعال نفسانية عميقة، بل هي مجرد وسائط تقنية يصطنعها الإنسان للتعبير عن سلوكه وسلوك الآخرين[1] والتي توحي لنا لأول مرة بأننا وحدنا الذين نعاني هذا الإحساس أو ذاك وبالتالي لا تعني شيئًا إلا بالنسبة للشخص الذي يعانيها.

وبهذا المعنى نفهم دعوة فتغنشتاين إلى ملاحظة الاستعمالات اللغوية المختلفة في كل الألعاب اللغوية المختلفة لهذه الكلمات مثل كلمة إحساس أو كلمة ألم أو كلمة فكر... من أجل التأكد من أن تقنية استخدام هذه الحدود لا تتوقف بأي حال من الأحوال على عمليات التأمل التي نستنبطها في حالاتنا النفسية الخاصة، والأكثر من ذلك وامتدادًا لهذه الفكرة لا يكون التذكر والتوقع والقصد سوى أساليب حياة أصبحت ممكنة تحت تأثير استخدامنا للغة[2].

وقد أفردت الأبحاث حيزًا كبيرًا لدحض الاستعمال الخصوصي للغة، وجهد فتغنشتاين في بيان صعوبة تحققها اعتبارًا لأن كل لغة من هذا الصنف الذي يبتغي التعبير عن تجارب ذاتية باطنية نفسية، لن يتوصل مطلقًا إلى إفهام الطرف الآخر على ما يريد قوله قياسًا على أن كلماتها لن تكون معروفة إلا من قبل الشخص الذي يعرفها أو يتكلمها بالأحرى[1].

وفي هذا الإطار يقول فتغنشتاين هل يمكن أن نتخيل لغة يستطيع فيها الإنسان أن يعبّر عن خبراته الداخلية ومشاعره وحالاته المزاجية من أجل استخدامه الخاص ألا نستطيع أن نفعل ذلك في لغتنا العادية، فالكلمات المفردة في هذه اللغة لا تدل إلا على معرفة المتكلم الخاصة (إحساسات خاصة)[2].

---

(1) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، مرجع سابق، ص 263.

(2) المرجع نفسه، ص 263.

(1) لقد ورد في الأبحاث أمثلة كثيرة على هذه اللغة الخاصة يصعب إحصاؤها ويمكن الرجوع على سبيل المثال لا الحصر إلى:
Sec 315, Sec 243

(2) Wittgenstein .L: Investigations philosophiques, Sec 243.

وعلّق عزمي إسلام في إطار شرحه لهذه الفقرة قائلاً أن فتغنشتاين قبل اللغة الخاصة بالمعنى الأول بحيث أن كلماتها ذات معنى مميز ودلالة محددة بالنسبة للشخص الذي استخدمها للدلالة على إحساساته ومشاعره الخاصة ولكنه يرفضها بالمعنى الثاني انطلاقًا من أن اللغة وسيلة للاتصال[1] ذلك أنه إذا استخدم كل واحدٍ منا أسماء وألفاظ خاصة به للتعبير عن إحساساته ومشاعره لا يكون لها معنى إلا لديه تعذر تحقيق الاتصال لأن كل فرد إنما يتكلم لغة خاصة ومن ثم لن يفهمه الآخر[2] ولن تحقق الوظيفة التي أسست عليها اللغة وهي التواصل بين البشر.

ما نريد التأكيد عليه في هذا الجانب هو أنه حتى وإن أحالنا فتغنشتاين في كتابه الأبحاث على علم النفس فإنه في الواقع حسب اعتقادنا لا تشغله حالاتنا النفسية والذهنية إذ لا يهتم بتجاربنا الخصوصية في حدّ ذاتها، وإنما بأبعادها الدلالية، وهذه لا يجب أن تفهم على أنه ينفي العالم الخاص الذي تنطوي عليه هذه التجارب ولا محاولة إقصاء حياتنا النفسية والذهنية، بل إن غاية ما يريده هو التأكيد على وجوب وجود إطار لغوي عمومي كخلفية مرجعية لتبليغ أية تجربة خصوصية[3] وبهذا نجده يتحدث مثلاً عن الألم إذ عندما تتحدث عن شخص قام بتسمية الألم فإنه من المفترض أن تكون هناك قواعد خاصة باستخدام كلمة ألم على نحو مسبق حتى يكون لهذه التسمية معنى[1] ونفس الشيء يقال عن الحزن أو الفرح أو غيرهما. إذ أن ما يهم فتغنشتاين هو القواعد التي تحكم استخدام مصطلحاتنا من ألم أو حزن أو فرح دون أن نتكلم عن الإحساس بالألم أو الحزن أو الفرح في حدِّ ذاته.

إن فتغنشتاين لا يرفض الإقرار بوجود هذه الإحساسات الداخلية ولكنه يقول في ذات الوقت باستحالة الحديث عنها أي استحالة الحديث عن لغة خصوصية للإحساسات الداخلية.

وبلغة ألعاب اللغة إن إحساساتنا الداخلية من ألم وحزن، وفرح و... وغيرها هي إحساسات واقعية يتم تبليغها بواسطة ألعاب لغوية عمومية تمامًا عندما أقول: "أحس بألم في رأسي أو في أسناني"[2] فإن هذه اللعبة اللغوية لا تستقيم إلا في إطار وجود معرفة تامة من قبل الأفراد لما

---

(1)Wittgenstein .L: Investigations philosophique, Sec 242.

(2) عزمي إسلام: في تعليقه وشروحاته على القضية 242 من البحوث الفلسفية.

(3)Ibid, Sec 257.

(1) Ibidem.

(2) Ibidem.

أريد تبليغه بمعنى ضرورة وجود إطار لغوي مترابط بين الأفراد متواضعًا على ما أقصده بألم في رأسي أو بألم في أسناني.

وانطلاقا مما سلف نقول أنه وإن أسقطت التراكتاتوس من حساباتها ما يسمى باللغة الخصوصية تحت ضغط اللغة الرمزية الصورية المنطقية، وصنفتها ضمن ما لا يقال، أو ما لا يجب أن يقال، فإن الأبحاث قد كشفت اللثام عن الطريقة الصحيحة للتعبير عن مختلف هذه الظواهر النفسية والذهنية، وفي ضوء نظرية ألعاب اللغة جعلت أحاسيسنا تجارب واقعية بالرغم من أن خصوصيتها مقرونة بألعاب لغوية عمومية متعارف عليها بين الناس.

3- موقفه من قضايا الميتافيزيقا:

إن موقف فتغنشتاين من الميتافيزيقا يبدو جانب مثير في فلسفته بأساليب ومفاهيم خاصة ومتميزة لا نملك إزاءها إلا الإقرار بأصالته وجدته في هذا الطرح أيضًا.

فالميتافيزيقا باعتبارها شكلاً من أشكال الإيديولوجيا لا تأويلاً للعالم وإنما لغة للغة، وتأويلاً لشيء مؤول معيش. وهاهنا أيضًا لن تحيل المعاني مباشرة إلى موضوعات وإنما إلى تأويل سبق أن أعطي لتلك الموضوعات وحينئذ ستصبح الأوهام الميتافيزيقية أقنعة ينبغي تأويلها أو تأويل تأويلها لفضح بعدها الإيديولوجي[1].

وغني عن البيان وبعد إطلاعنا على فتغنشتاين التراكتاتوس و فتغنشتاين الأبحاث إدراك أن النقد الذي حمله فتغنشتاين على تصورات الفلاسفة الجاهزة على اللغة كان يهدف حقيقة إلى تعرية الخلفيات الميتافيزيقية التي حددت منطلقات الفلسفة، وبذلك فإن جهود فتغنشتاين انصبت على إيجاد دلائل قوية ومقنعة ضد فكرة الميتافيزيقا[2] مع الأخذ بعين الاعتبار أن مقصوده بهذا النقد للميتافيزيقا ليس بالضرورة إرغام الفلاسفة على التخلي عن أطروحاتهم المثالية وحملهم للامتثال لدعاوى الاتجاه الوضعي، وإنما المقصود من ورائه هو التأكيد على أن القضايا الميتافيزيقية التي خاضت فيها الفلسفة هي في أساسها قضايا لغوية.

---

(1) عبد السلام بن عبد العالي: أساس الفكر الفسلفي المعاصر، مجاوزة الميتافيزيقا، دار توبقال للنشر، الرباط، ط1، 1991، ص 139.

(2) شريف بركة: مفهوم اللغة في فلسفة فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 125.

وقد يصعب علينا في هذه الأثناء حصر كل المظاهر التي مثلت نقد فتغنشتاين للميتافيزيقا[1] لأن المقام لا يتسع للقيام بذلك.

ولكننا في هذا السياق سنكتفي بالإشارة إلى النقد الموجه لها في الرسالة بخلوها من المعنى استنادًا لبنود نظرية الرسم المنطقي التي تنص على أن المعنى يوجد حيث توجد قضايا أولية تدل على وقائع أولية، وبواسطة هذه الآلة المنطقية صنفت قضايا الميتافيزيقا في خانة الخالي من المعنى، وسحب منها حق المواطنة من مدينة العلم والمنطق.

ورغم زعم فتغنشتاين بخلو القضايا الميتافيزيقية من أي معنى قد نُسِب إليها في التراكتاتوس إلا أنه لم يمنعه كما يقول بعض المهتمين بفكره من أنه قد أسس لها معنًا ما، مهما يكن هذا المعنى صوفيًا[2]، فضلاً عن انتهائه إلى نوع من المثالية الذاتية البادية في فكره الأناوحدية، بالرغم من رفضه لوجود ما يسمى بالذات الميتافيزيقية بل وذهب إلى التعجب من القول أنها موجودة بقوله "أين عسانا أن نجد في العالم ذاتا ميتافيزيقية"[1].

واستمر فتغنشتاين في هذا الموقف تجاه الميتافيزيقا وحافظ عليه أيضًا في كتابه الأبحاث ليؤكد مرة ثانية أنها خالية بالمعنى لا باعتبارها مخلة بقواعد التركيب المنطقي للغة كما جاء في التراكتاتوس، ولكن هذه المرة هي خالية من المعنى لأنها ناتجة عن سوء استخدام الألفاظ والعبارات بغير تحديد دقيق لمعانيها من ناحية، ووظيفتها والغرض منها في لعبة لغوية معينة من ناحية أخرى[2]. ذلك أن معظم النظريات الميتافيزيقية هي في العادة وليدة سوء فهم لبعض ضروب التماثل اللفظي فكثيرًا ما يكون منشأ الميتافيزيقا من الاستعمال السيئ للألفاظ ومحاولة نسج علاقات بينها لا أساس لها من الواقع.

---

(1) لقد تأثرت ما يسمى الوضعية المنطقية بهذا الموقف من الميتافيزيقا في إطار التأثير الكبير لكتابه التراكتاتوس الذي اعتبرته حربًا لا هوادة فيها ضد الميتافيزيقا واتخذت من اللغة الدقيقة أداة ضد لغة التفكير هذا وللمزيد من التفاصيل حول هذه المسألة يمكن الرجوع إلى: Ouelbani. M : Wittgenstein et la philosophie contemporaine, Oc , pp 73-74
كما وقد أفرد جمال حمود جزء من كتابه فلسفة اللغة عند فتغنشتاين للحديث عن هذه المسألة، ص ص 289-293.

(2) فتغنشتاين: الرسالة، (ق).

(1) عبد الغفار مكاوي: في تقديمه لكتاب البحوث الفلسفية لفتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 30.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ولا سبيل إلى تجنب الوقوع في أمثال هذه الألاعيب اللفظية إلا بمعاودة فحص اللغة في استعمالاتها العادية، بدلاً من الانسياق وراء تلك المفارقات اللفظية التي طالما حفلت بها كتابات الفلاسفة[1]، وبالتالي فما يسمى مشكلات ميتافيزيقية حسب فتغنشتاين ليس إلا مرض أصيب به الفلاسفة نتيجة استعمالهم السيئ للتعبيرات اللغوية[2].

ما يمكننا أن نخلص إليه من خلال هذا التحليل هو أن فتغنشتاين ظل محافظًا على موقفه من الميتافيزيقا واعتبار قضاياها خالية من المعنى ولعلنا لا نبالغ إذا نحن سلمنا بأن نقده للميتافيزيقا واعتبارها لغوا فارغًا وخال من أي معنى لا يقاس بافتقادها فعلاً للمعنى كما قد يتبادر إلى أذهاننا، وإنما يقاس بعدم احترامها لمنطق اللغة وقولها ما لا يجب أن يقال وبمعنى آخر حديثها في موطن الصمت في الرسالة، وفي ذلك تصرّح الرسالة "إن أغلب القضايا التي كتبت عن الأشياء الفلسفية ليست خاطئة وإنما هي عديمة المعنى (...) وليس عجبًا أن أعمق المشكلات ليست البتة مشاكل على الإجمال"[3]، وسوء استخدام عباراتها وألفاظها في الألعاب اللغوية المختلفة للغة بخرق معانيها في البحوث والملاحظات حيث تقول هذه الأخيرة في الملاحظة التالية ما نصه: في إجاباتنا حول سؤال ما إذا كان الفلاسفة قد نطقوا دائما وحتى الآن باللامعنى... نستطيع القول كلا إنهم لم يفعلوا... وكل ما في الأمر أنهم لم يلاحظوا أنهم يستعملون نفس الكلمة بدلالات مختلفة جدًا[1].

لكن ومن جهة أخرى نعت فتغنشتاين قضايا الميتافيزيقا بالخلو من المعنى لا ينبغي أن يحجب عنا ما هو أبعد من منطوق هذا التصريح، وهو أن فتغنشتاين ورغم هذه الإدعاءات التي خلت والتي تؤكد على رفضه للميتافيزيقا ظل ميتافيزيقيًا من حيث يدري أو لا يدري في فلسفته عامة، ولم تستطع فلسفته المتأخرة سد الثغرات الناتجة عن إنكاره لبعض الأفكار الفلسفية في فكره الأول ولعلّ أبرزها قضايا الميتافيزيقا، غير أن هذا لا يعني أيضًا أن هذه الفلسفة –فلسفة الأبحاث– قد انتهت إلى نفس النتيجة التي آلت إليها الرسالة، بل على العكس لم تنته الأبحاث إلى الصمت ذلك أن فتغنشتاين هذه المرة لم يجنح إلى الصمت بل اختار عكس ذلك مواصلة أبحاثه السيكولوجية التي

---

(1) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 261.

(2) المرجع نفسه، ص 262.

(3) فتغنشتاين: الرسالة، (ق 4,003).

(1) L. Wittgenstein : Remarques philosophiques, p 9.

بدأها في الجزء الثاني من الأبحاث وتلاها بكتابه ملحوظات حول الألوان ثم عمله حول مسألة اليقين[1].

يبد أن الموت لم يمهله إتمام مشروعه هذا، و لم تتح له الفرصة لكي يعطي فلسفته الأخيرة صورتها النهائية التي قد تحمل مصابيح الدجى في المناطق المظلمة منها، لذلك لا نجد في وسعنا مع معظم المهتمين بفكر الرجل إلا قراءة وإعادة قراءة هذه النصوص الغامضة لاستيفاء ثراءها.

بالرغم من أن أولى بوادر هذا الثراء جاءت في انتشار تيارات ومدارس فلسفية طالبت العقل بالتريث، وآمنت بأن الجهل باللغة وسوء استخدامها هو المسؤول عن الإخفاق العقلي والفوضى الروحية التي سادت التفكير الغربي[2]، وتلكم هي خلاصة المفهوم التداولي الجديد للغة الذي جاء به فتغنشتاين وتبنته اتجاهات ومدارس فلسفية متعددة.

[1] مؤلف مجهول: فتغنشتاين او من اجل فلسفة اخرى تقديم و ترجمة محمد فراطميسي مرجع سابق، ص143

[2] عطيات أبو السعود: الحصاد الفسلفي للقرن العشرين،المرجع السابق، ص 10.

الفصل الثالث

نظرية الألعاب اللغوية أبعادها وتأثيراتها

المبحث الأول: الأبعاد الفكرية لنظرية الألعاب اللغوية في الفلسفة المعاصرة

المبحث الثاني: التأثيرات الفلسفية لنظرية ألعاب اللغة في بعض التداوليات المعاصرة

كثيرا ما ينظر إلى إسهامات فتغنشتاين في الفلسفة المعاصرة من باب المنطق ومشكلة الفلسفة مباشرة لذلك اعتبر أفضل المنطلقات لدراسة فكره هي ما كان لها علاقة بالمنطق بالدرجة الأولى ثم إحدى مشكلات الفلسفة كالأخلاق والميتافيزيقا، ولهذا الاعتبار صنف الرجل في عداد الفلاسفة المناطقة فكان فيلسوفا منطقيا رياضيا في المقام الأول، دون أن تكون فلسفة اللغة من أولويات اهتمامه، وبمعنى أكثر وضوحا لم يستخدم فتغنشتاين اللغة إلا لتوضيح فكره المنطقي ليس إلا.

بيد أن هذا الاقتناع لم يلبث أن تزعزع يقينه، وعاد أدراجه حين راق لفتغنشتاين تحديث أسلوبه وتجديد لغته، ولكن هذه المرة ليس انطلاقا من المنطق، وإنما نزولا إلى الواقع، واحتكاكا بالمجتمع، وكان ثمرة هذا الاتصال ميلاد نظرية الألعاب اللغوية، التي كشفت الوجه الآخر للفيلسوف المنطقي حين وجه أنظار الفلاسفة لا إلى مجرد البحث في اللغة العادية فتلك مهمة قد عانقها مور قبله، وتكفل بالدفاع عنها لسنوات[1]، وإنما إلى لغة الاستعمال اليومي التي أصبحت الأساس الذي نحكم به على صحة أو بطلان العبارات التي نقولها وفق نهج ألعاب اللغة الخاصة باللغة اليومية وبهذا يكون فتغنشتاين هو المسؤول من حيث يدري أو لا يدري عن الشعار المشهور لمناصري اللغة العادية لا تسأل عن المعنى بل أسأل عن الاستعمال.[2]

ومن هذه الزاوية يمكننا القول أن الفكر الفلسفي لدى المنطقي فتغنشتاين قد تحول تحولا مهما في كتاباته المتأخرة –خلال الأربعينيات– وبالنظر إلى التأثير الكبير الذي مارسه الرجل على الفكر الوضعي الجديد[3] من ذي قبل –بكتابه التراكتاتوس تحديدا– فإن تراجعه عن الكتابات القديمة يعد مرفدا أساسيا للنقد الموجه للوضعية[4] ومرجعا أساسيا لدراسة مختلف الأبعاد الفكرية

---

(1) تذهب العديد من الدراسات إلى حد وصف مساهمة فتغنشتاين في الفلسفة باعتبارها تشكل تذبذبا واضحا بين فلسفتي راسل ومور، إذ أنه يدشن بداية عهده بالفلسفة على أرضية من آراء راسل، وينتهي في أفكاره المتأخرة مناصرا لمور.

El Baytar Sawsen : L'analyse et synthèse (en ligne) article disponible sur le site électronique: www.arab-ency.com/indext.php,datedeconsultation25/05/2010,heurre:16:15.

(2) Braquin. N, Laffitte. J: Dictionnaire du philosophe, Oc, p 335.

(3) نسبة إلى الوضعية المنطقية لحلقة فيينا التي تبنت بعض آراء فتغنشتاين في الرسالة واعتبرته الأب الروحي لفكرها.

(4) ناصر البعداني: مسألة العقلانية في الفكر المعاصر، مقال منشور في الموقع الالكتروني:

http://www.arabysoft.com/vbt/1476.htm تاريخ الاطلاع : .le:13/05/2010,h:10:00/

التي اشتملتها كتاباته المتأخرة محصورة في نظريته عن ألعاب اللغة هذا فضلا عن كونها نقطة انطلاق رئيسية للعديد من التيارات والمدارس التي تبنت فكره الجديد.

المبحث الأول: الأبعـــاد الفكريـــة لنظرية الألعاب اللغويـــة في الفلسفـــة المعاصرة:

إن الدراسة الجادة لنظرية ألعاب اللغة كشفت عن أبعاد متعددة للنظرية جعلت الرجل يقترب من تيارات عديدة يبدو للوهلة الأولى أن لا مجال لحدوث أي اتصال أو تقارب بينها، ومن هذه الأبعاد التي انطوت عليها نظرية للألعاب اللغوية نجد:

1- البعـــد البـــراغماتـــي:

في البداية يمكننا القول، أن كل أو على الأقل جل من تناول فلسفة فتغنشتاين التراكتاتوس بالدراسة والتحليل قد يصعب عليه استضاغة هذا البعد في فكر فتغنشتاين بيد أن نظرية الألعاب اللغوية قد كشفت بشكل واضح عن هذا البعد، وسنحاول في هذا الإطار تتبع هذه البراغماتية[1] تماشيا وأقطاب الفلسفة البراغماتية التي تعود في أصلها إلى مذهب الفيلسوف شارلز ساندريس بيرس "Ch.S. Peirce" (1839-1914)باعتباره أول من استعمل مصطلح "البراغماتيزم" "Pragmatisme" لأول مرة في مقاله الموسوم بـــ: كيف نجعل أفكارنا واضحة[2]" Haw to make our ideas clear" عندما ذهب إلى الاعتقاد بأن كل أفكارنا التي نكونها عن الأشياء إنما هي عبارة عن أفكارنا التي نكونها انطلاقا من الآثار المترتبة عن تلك الأشياء، وبهذا المعنى ستكون كل أفكارنا ومعتقداتنا مع "بيرس" قواعد للعمل والسلوك، وكل وضوح ننشده لأفكارنا تكفله الآثار العملية والنتائج الفعلية لتلك الأفكار[3]، وتلك هي خلاصة نظرية "بيرس" في المعنى والتي أسست على إثرها الفلسفة العملية الأمريكية برمتها.

---

(1) البراغماتية مشتقة من اللفظ اليوناني "Pragma" والذي يعني العمل، اتجاه واسه الانتشار في الفلسفة المرئية ومذهب فلسفي يقر أن العقل لا يبلغ ذروته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح والفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة.
جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، المرجع السابق، ص 203.

(2) Ch. Peirce: Haw to make our ideas clear, in the popular science monthly, January, 1979, p286.
نقلا عن: زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 30.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ومن الزاوية الأخرى وعند فتغنشتاين الأبحاث وتحديدا "الألعاب" معنى الكلمة يتحقق من خلال استعمالها[1] في اللغة[2] وهو بذلك يلفت أنظارنا إلى اعتبار اللغة نشاطا، وبما أن هذه اللغة مع نظرية الألعاب اللغوية صورة من صور الحياة تنطوي على مواقف واهتمامات عقلية وسلوكات عملية، فإنها بهذا المعنى تعد وسيلة وأداة لإنجاز العديد من أنشطة الحياة.

وليس من شطط القول إذا ذهبنا إلى أن القول مثل هذه النظرة إلى اللغة هي نظرة براغماتية في جانب ما ويتضح بشكل جلي عند ربطها بالواقع الحياتي للفرد توازيا مع النظرة البراغماتية العملية للحياة إجمالا وإلى اللغة بصفة خاصة[3].

فها هو "بيرس" في إطار نظريته في المعنى والتي أسلفنا الحديث عنها يتجه في تحديده للمعاني إلى النتائج العملية المترتبة عنها باعتبارها تشكل جزء من الخبرة الإنسانية ولنفس الاعتبار اتجه فتغنشتاين منطلقا من اللغة العادية صوب الخبرة الإنسانية متخذا منها مجالا لتحديد معنى كلماته وهذا هو المعنى الحقيقي لقوله "معنى الكلمة هو استعمالها –أو استخدامها–"[4].

والواقع أن كلمة الاستعمال هذه تحيلنا في أكثر من إحالة إلى الطابع العملي من جهة والطابع أو المحيط الاجتماعي من جهة ثانية وعلى هذا الأساس نستطيع القول أنه لم يعقل الطابع الموضوعي للكلمة مطلقا. فالمعنى بذلك إنما يتحدد وفقا لما تواضعنا عليه[5]. فضلا على أنه يتعدد بتعدد تطبيقاتنا واستعمالاتنا للكلمة، وبحسب أيضا أهدافنا وأغراضنا الاجتماعية وهذا هو الطابع الاجتماعي الذي يلتقي فيه " فتغنشتاين" مع "بيرس".

ثم إن أهم ما أسفرت عنه نظرية الألعاب اللغوية حقيقة هو كشف الصلة الوثيقة بين اللغة والإنسان إلى الحد الذي أصبحت فيه صورة من صور حياته تفهم من خلال ممارساته العملية

---

(1) الاستعمال هنا يقصد به فتغنشتاين نشاطا أو فعلا أو عملا باعتبار أن اللغة مع الألعاب اللغوية صورة من صور الحياة، زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 258.

(2) Marconi. D : La philosophie du langage au XX^{e} siècle, Oc, p 73.

(3) ورغم ذلك يصعب علينا إيجاد آراء واضحة ومواقف محددة بشأن اللغة في الفلسفة البراغماتية وإنما اعتبرت لغتهم براغماتية تماشيا مع مذهبهم في الحياة عامة.

(4).Ibidem

(5) ألفرد آير: الفلسفة في القرن العشرين، المرجع السابق ص 253.

وأنشطته اليومية من مختلف ألعابه اللغوية، وفي ذلك إقرار واضح بالنزعة الإنسانية الموضوعية في تناول اللغة[1].

ومسايرة للخط الفكري الذي جاء به بيرس نجد وليام جيمس (1842-1910) صاحب الفلسفة العملية[2] الذي اتخذ من نظرية بيرس في المعنى أساسا لفلسفته، وزاد عليه بأن صرح بأن معيار الحقيقة معيار عملي صرف قياسا على أن المعنى الوحيد للفكرة إنما هو المعنى العملي، وبمعنى آخر، أن قيمة الفكرة إنما هو ما يترتب عنها من نتائج عملية[3] لذلك جاءت الحقيقة مع جيمس باعتبارها صورة من صور الفعل أو العمل وإن كان هذا المسعى قد أكدت عليه البراغماتية منذ نشأتها حين أصرت في التأكيد على جعل الحقيقة واقعا إنسانيا محضا[4].

تماما مثلما كانت اللغة بالنسبة لفتغنشتاين إنسانية ترتبط بالإنسان واحتياجاته فإن الحقيقة عند جيمس أيضا لا تنفك عن الارتباط بالإنسان، وبهذا المعنى متى انتقلنا من حقيقة جيمس إلى لغة فتغنشتاين أو من لغة فتغنشتاين إلى حقيقة جيمس فإن النتيجة ستكون واحدة وهي أن اللغة أو الحقيقة كلاهما لا يوجد بمعزل عن التجربة البشرية، وهذا هو التشابه الذي أردنا أن نقيمه بين براغماتية جيمس ونظرة فتغنشتاين إلى اللغة وإن اختلفت منطلقات كل منهما[5].

وبالانتقال إلى الوجه البارز والقطب الثالث من أقطاب البراغماتية ويتعلق الأمر بالفيلسوف جون ديوي (1859-1952)، الذي كان له إسهام كبير في توسيع نطاق الفلسفة البراغماتية وامتد بها إلى دوائر عديدة تجاوزت بواعث بيرس النقدية وبواعث جيمس الأخلاقية الدينية، في محاولته الأصلية الجمع بين الاتجاهين مع تطبيق المنهج البراغماتي على الخبرة باعتبارها المفهوم المركزي الذي قامت عليه الفلسفة البراغماتية[1].

---

(1) مقارنة مع النزعة الاسمية التي تبنتها الرسالة والتي سبق وأن أشرنا إليها في دراستنا لفلسفة لغة الرسالة.

(2) كتاب ألفه جيمس وظهر سنة 1907.

(3) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 31.

(4) محمد جديدي: البراغماتية من الحقيقة إلى اللاحقيقة، ضمن الفلسفة بين تعدد المناهج ووحدة الحقيقة كتاب جماعي إشراف جمال حمود، مرجع السابق، ص 270.

(5) محمد مجدي الجزيري: التشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فتغنشتاين ، دار آتون للتوزيع، القاهرة، 1986، ص 68.

(1) محمد جديدي: فلسفة الخبرة جون ديوك نموذجا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ط1، ص 237.

فقد حظيت باهتمام كبير لدى ديوي باعتبار أن كل الأنشطة الأخرى تكسب أهميتها بالقياس إليها، ومنها اللغة، هذه الأخيرة وباعتبارها نسقا من الرموز ذات معنى أو دلالة تنكشف أهميتها قياسا للجماعة، ذلك أن الاستعمال الاجتماعي للكلمة هو الذي يحدد معناها وبالنظر أيضا إلى اعتبارها أداة للتواصل بين الأفراد فإنها تحقق دمج خبراتهم المتنوعة في كيان واحد[1].

وإذا انتقلنا إلى فتغنشتاين لمسنا وقع تأثير الجانب الاجتماعي في توليد المعنى من خلال لفته الانتباه بالدرجة الأولى إلى أهمية الاستعمال في تحديد معنى الكلمة في ضوء استعمالها في لغة[2].

وبهذا يجمع كل من فتغنشتاين وديوي بصورة أو بأخرى على موضوعية اللغة على نحو ما[3].

إذا وإجمالا من خلال عقد هذه المقارنات الجزئية بين الفلسفة البراغماتية وفلسفة اللغة عند فتغنشتاين من خلال نظريته في الألعاب اللغوية نستطيع القول إن هذه النظرية كشفت بعدا براغماتيا للرجل لم يبرز في فلسفة الرسالة، إلى الحد الذي نستطيع معه الجزم بأنه إذا كانت فلسفة التراكتاتوس قد فتحت بابا على الوضعية المنطقية فإن فلسفة الأبحاث من خلال نظرية الألعاب قد عبرت إلى نوع من البراغماتية يتعلق باللغة، لغة الإنسان اليومية مؤسسا بذلك ما نصطلح على تسميته بالبراغماتية أو التداولية اللغوية والتي ظهرت بشكل أكثر جلاء في الفلسفات المتأثرة بفتغنشتاين الثاني والتي سنأتي على تناول البعض منها بالتحليل في معرض هذه الدراسة.

2- البعـــد الوجـــودي:

لقد اتجهت فلسفة فتغنشتاين وتحديدا فلسفة الأبحاث إلى الارتباط بالحياة اليومية الفعلية والعملية للإنسان، والتقت بذلك مع تيارات وفلسفات قائمة بذاتها جعلت من الحياة الإنسانية والواقع المعيش للإنسان والحياة اليومية مجال اهتمامها، ولعل أهم هذه الفلسفات على الإطلاق هي

---

(1) J. Dewey : Experience and nature, open court rublishing company, 1920, p 280.
نقلا عن: محمد مجدي الجزيري، التشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 72.

(2) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، المرجع السابق، ص 257.

(3) هذا دليل على رفض إمكانية أن يكون المعنى نوعا من الكيان العقلي كما كان ينادي به فتغنشتاين في التراكتاتوس وفلاسفة الوضعية المنطقية عموما.

الفلسفة الوجودية[1] التي اقتربت من الإنسان وراحت تحلل واقعه وفقا للمنهج الفينومينولوجي[2] والذي بواسطته تمكنوا من ولوج العديد من العوالم التي كانت تستعصي على البحث الفلسفي الجاد كعالم المشاعر، والانفعالات، فلا غرابة أن نجد مفهوم القلق مثلا يلعب دورا هاما في بلورة الرؤية الوجودية لكل من: كيريغارد، هايدير، وسارتر بالرغم من اختلاف نظرتهم إليه[3]، حتى في فلسفته الأولى، وتجلى هذا الطابع الوجودي وبصورة أكثر وضوحًا على الأقل أثناء حديثه عن الأنا وحدية، أين كانت حدود لغته هي حدود عالمه، وأين برز أيضا الجانب الصوفي الذي شابه كثيرًا فكر الوجودي كيركيغارد وأصحاب الاتجاه الديني في الفلسفة الوجودية بصفة عامة[4].

إذ بمقتضى أناوحديته، لا يستطيع معرفة شيء علما أنه موجود ما لم يقع في خبرته هو، وبالتعبير الوجودي نقول كلّ ما له وجود يقع في خبرتي أنا لا في خبرة الآخرين[5].

وإذا كانت أفكار فتغنشتاين في كتابه الرسالة قد قربته بشكل من الأشكال من الوجودية لاسيما في فكرته عن الأناوحدية، فإنه أيضًا أقرب من الفكر الوجودي من جديد ولكن هذه المرة في كتابه البحوث الفلسفية وتحديدًا في نظريته عن الألعاب. حين ولّى وجهه شطر الواقع المعاش في فهمه للغة التي أصبحت صورة ناطقة لحياة الناس بكل مظاهرها تصف أنشطتهم، وتحدد تفاعلاتهم المختلفة، وبعبارة أخرى اتحدت اللغة مع فتغنشتاين الألعاب بالواقع المعاش وتفاعلت معه فاستمدت منه منطقها ووظيفتها[1] بعد أن كانت في التراكتاتوس محصورة في عملية تصوير الواقع مهمتها إطلاق أسماء محددة على موضوعات معلومة ومحددة.

---

(1) بالمعنى العام كما قال جميل صليبا إبراز قيمة الوجود الفردي وبالمعنى الخاص هو المذهب الذي عرضه سارتر في كتابه الوجود والعدم "L'être et le néant" ونشره في الجمهور بواسطة مسرحياته وروایاته ومقالاته. جميل صليبا المعجم الفلسفي، ج2، المرجع السابق، ص 565.

(2) هو منهج الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل (1859-1938)، القائم على اعتبار الفينومينولوجيا بمعناها الدقيق علم الظواهر. إدموند هوسرل: تأملات ديكارتية، ترجمة تيسير شيخ الأرض، دار بيروت للطباعة والنشر، د.ط، 1958.

وتتمثل خطوته في: أولاً: تعليق الحكم، ثانيًا: الرد الماهوي، ثالثًا: الحدس. ولتفصيل الحديث عن هذا الموضوع: يرجع إلى: فريدة غيوة: اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، د.ط، د.ت، ص ص59-60.

(3) محمد مجدي الجزيري، التشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 139.

(4) نقصد بهم كيركيغارد ومارسيل خاصة.

(5) عزمي إسلام: فتغنشتاين ، سلسلة نوابغ الفكر، المرجع السابق، ص 336-337.

(1) محمد مجدي الجزيري، التشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فتغنشتاين ، المرجع نفسه، ص 172.

والواقع أن هذه النظرة الجديدة من خلال المرحلة المتقدة وتحديدًا نظريته في الألعاب قد كشفت عن جانب هام في اللغة وهو ما يمكن أن نطلق عليه اجتماعية اللغة وتتجلى أكثر في فكرة الاستعمال التي أثارتها نظرية الألعاب عندما ارتبط معنى الكلمة بالاستعمال الذي يستخدمها به فرد ينتمي إلى جماعة معينة، وبهذا المعنى ذهب أحد الباحثين إلى القول بأن فتغنشتاين قد قصد فعلاً بهذا المنحى إبراز الطابع الجماعي للوجود الإنساني[1] من خلال نظرته إلى اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية[2]، دون أن يضحي في الجانب الآخر بذاتية وفردية الموجود البشري والذي يرتبط بالبناء الاجتماعي عن طريق الفعل أو النشاط بهدف حمايته من كلّ محاولة تستهدف النيل منه أو التعامل معه باعتباره شيئًا أو موضوعًا تمهيدًا لتشييئه أو موضعته.

وفي جانب آخر ومن خلال موقف فتغنشتاين المتميز من الفلسفة سواء في مرحلته الأولى أو الثانية فإننا نلمس أيضًا اقترابه من الفكر الوجودي، ذلك أنه وسواء كانت الفلسفة عنده توضيحًا منطقيًا للأفكار أو توضيحًا للاستخدام الجيد لألفاظ اللغة فإنها لم تعد في كلتا الحالتين تشكل مذهبًا، وإنما أصبحت في المقام الأول نشاطًا وفعالية فضلاً عن كونها عملية توضيح.

وبهذا أصبحت تمردًا صريحًا ورفضًا للتقاليد التي طبعت الفكر الغربي طيلة عقودٍ من الزمن[3] وفي الجهة المقابلة تلتقي الوجودية مع فيتغنشتاين في ثورتها على الموروثات بما في ذلك الفلسفة في ثوبها التقليدي وكل ما هو مفروض على الوجود البشري من الآخر الذي يهدف إلى احتوائه وسلب وجوده فهو الجحيم بتعبير سارتر، وجب محاربته والتمرد عليه[1].

وإذا كان الوجود البشري عند فلاسفة الوجودية فاعلاً حقيقيًا، فالفعل وحده الدليل على الوجود، وبهذا المعنى أيضًا كان الموجود البشري موضوعًا رئيسًا بل والأهم عند الوجوديين،

---

[1] في هذا المقام نلتقي أيضًا مع إحدى أهم الفوارق بين فكر فتغنشتاين الأول وفكره الثاني إذ أبرز فتغنشتاين الأول الطابع الفردي للوجود الإنساني متفقًا مع أصحاب النظرة الفردية المتطرفة من بعض فلاسفة الوجودية وعلى رأسهم كيركيغارد، في حين اتفق فيتجشتين الثاني مع برديابيف في إبراز الطابع الجماعي للوجود الإنساني.

وللاستيضاح أكثر يمكن الرجوع إلى: محمد مجدي الجزيري، التشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فيتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 173.

[2] المرجع نفسه، ص 173.

[3] المرجع نفسه، ص 171.

[1] فريدة غيوة: من الوجود الزائف إلى الوجود الأصيل، المرجع السابق، ص 130.

وعدت اللغة عندهم ظاهرة بشرية يتميز بها هذا الموجود[1].فإن فتغنشتاين من خلال الرؤية الجديدة للغة التي التحمت بالواقع المعاش، أين تعايشت مع الوجود الإنساني وعبّرت عنه في كلِّ أنشطته وتفاعلاته –بدلاً من عالم الماهيات العقلية الثابتة– لتصبح على إثره ظاهرة وجودية إنسانية حياتية نحياها ونعيشها.

إذن هكذا وتأسيسًا على ما سبق نكون قد كشفنا الغطاء على بعدين هامين في فلسفة فتغنشتاين الألعاب ويتعلق الأمر بالبعد البراغماتي والوجودي، مع أن الدراسة الجادة لهذه النظرية قد تكشف عن أبعاد أخرى لا تقل أهمية من الأبعاد المدروسة من خلال هذا العرض. لكن وفي المقابل كشف مثل هذه الأبعاد لا يعني مطلقًا تصنيف فتغنشتاين ضمن البراغماتية فيكون بحسبها براغماتيًا كبيرس، جيمس وديوي، أو وجوديًا ككيركيغارد وهايدجر وسارتر بل إن فتغنشتاين تحليلي في المقام الأول، من رعيل فريج، مور، وراسل سواء في فلسفته المتقدمة أو المتأخرة.

رغم أن ذلك لم يمنع من بروز بعض المظاهر من الوجودية أو من البراغماتية في فكره، شأنه في ذلك شأن الفكر المعاصر الذي تتلاقح فيه كل التيارات وتلتقي فيه العديد من المذاهب دون أن يفقد الواحد منها ماهيته الخاصة أو يذوب في الآخر، وفي ذلك دليل على تعايش سلمي بين فلسفات ومذاهب وتيارات جعلت من الفلسفة بحث دائم عن وحدة كامنة وراء المظاهر المتعددة لحياتنا أو لنقُل –بتعبير فتغنشتاين– وراء ألعابنا اللغوية والحياتية المختلفة عامة.

المبحث الثاني: التأثيرات الفلسفية لنظريـــة ألعاب اللغـــة في بعض التداوليات المعاصرة:

أولا : مدرســـة أوكسفـــورد (جـــون أوستن وجـــون سيرل نموذجًـــا):

1– مدرســـة أوكسفـــورد للغـــة العاديـــة وإشكاليـــة التسميـــة:

لقد مارست فلسفة فتغنشتاين الأبحاث بنظريته في ألعاب اللغة سحرها وجاذبيتها على الساحة الفلسفية المعاصرة، فأوجدت لنفسها أتباعًا ومريدين كشفوا في المقام الأول عن أصالة فلسفته، وعن مصدر القدر الكبير من التأثير الذي نعتقد أن فتغنشتاين قد أحدثه فيها فحملت طابعه، وكانت له بصمات قوية عليها، لذلك قد يكون من الغني عن البيان الحديث عن الدور البارز الذي لعبته نظرية ألعاب اللغة بعد أن وجدت أفكاره المتأخرة صدى منقطع النظير، وأذانًا

[1] محمد مجدي الجزيري، التشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فتغنشتاين، المرجع السابق ، ص 143.

صاغية لدى تلامذته والمتأثرين به فشكلت حولها ما نطلق عليه مدرسة فلسفية، انطلقت من صميم فكره وزادت عليه بطريقتها الخاصة ما شاءت أن تضيفه من مقدمات ونتائج فلسفية.

وفي هذا السياق تندرج ما اصطلح على تسميتها بـــ"مدرسة أكسفورد" في اللغة العادية "Oxferd's school"، وقبل استعراض أفكار هذه المدرسة وأعمال مؤسسيها نقف في واقع الأمر على عتبة هامة تحول دون الدراسة الموضوعية لهذه المدرسة وبالتالي دون الوصول إلى أفكار هؤلاء الفلاسفة ما لم نتطرق إليها. ويتعلق الأمر هنا بمسألة أو إشكالية إطلاق اصطلاح مدرسة[1] على جماعة فلاسفة أكسفورد، وقد يعترضنا معترض عن مشروعية هذه التسمية، خاصة وأن هذا اللفظ يبدو أقوى مما هو عليه في الواقع، ذلك أن المدارس تميزت في عرف الأوائل بأنها تدين في وجه أول إلى أفكار فيلسوف كبير يكون مؤسسًا لها فتنسب إلى اسمه وتؤثر أفكاره في كلّ أتباعه كالأبيقورية قديمًا والكانطية والهيجيلية حديثًا نسبة إلى أبيقور، كانط وهيجل على التوالي، أو تدين في وجهٍ ثانٍ إلى نظرية أو فلسفة قائمة بذاتها أو نتيجة فلسفية يتفق حولها أعضاء معينون من جهة ثانية كالرواقية قديمًا والوضعية المنطقية حديثًا[2].

وبهذه المعايير، وعلى هذا الأساس ندرك فعلاً مدى صعوبة العثور على مدارس فلسفية في الفلسفة المعاصرة أو على الأقل في تعقب وجودها في الفكر الغربي المعاصر عامة والتحليلي الأنجلو ساكسوني خاصة، لاسيما بعد الغياب الواضح لفكرة الأنساق الشاملة والفلسفات المغلقة إذ توجس فلاسفتها من الأنظمة الفكرية الجامدة وعزفوا عن تعليماتها الواسعة فتحرجوا عن إقامة مذاهب مثالية مطلقة.

بيد أننا سنقر ومن البداية أن إطلاقنا لمصطلح المدرسة للدلالة على نظامٍ واحدٍ يوحد فلاسفة أوكسفورد تحت راية واحدة سيكون في واقع الأمر استعمالاً تعسفيًا منطويًا على بعض التجاوز لسبب وجيه نعتقد أنه رئيسي ممثلاً في عزوف نفسه على أن يكون رائد مذهب فلسفي،

---

(1) جماعة من الفلاسفة لهم مذهب واحد ونظام واحد ومكان واحد، كما أوردها جميل صليبا في معجمه الفلسفي، ج2، المرجع السابق، ص 358.

(2) محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 112.

بل والأكثر من ذلك أننا نجده يردد دائمًا بأنه لا يمكن أن يؤسس مدرسة لأنه لا يريد أن يكون موضع تقليد[1].

وإذا تواضعنا منذ البداية على إطلاق مصطلح مدرسة على فلاسفة أوكسفورد كمدرسة فلسفية تؤمن باللغة العادية، فلأنها استطاعت أن تمثل وبجدارة مركز الاهتمام الفلسفي في النصف الثاني من القرن العشرين بعد الوضعية المنطقية، ممتدة في جذورها إلى شيخ التحليلية جورج إدوارد مور، ولأنها فوق كلّ ذلك شهدت أكبر تأثير فريد من نوعه لفتغنشتاين على أفكارها حتى عدّ الأب الروحي لها كما كان سالفًا ملهم حلقة فينا، بالرغم من أن عدد الذين درسوا على يده لا يتجاوز الستة فلاسفة.

وقد تزعم هذه المدرسة جيلبرت رايل "G. Ryle" (1900-1976) وجون أوستن "J. Austin" (1911-1961) إضافة إلى ستراوسن "Strawsen" وهيرت "Hart" وهامشاير "Hamshire" وغيرهم[2].

2- مصـــادر اهتمـــام فلاسفـــة أكسفـــورد باللغـــة العاديـــة:

تُعد مدرسة أوكسفورد كحركة فلسفية لها سحرها وجاذبيتها في الفلسفة المعاصرة[3] نتيجة تركيزهم على اللغة العادية أين اعتبرت حسبهم هذه الأخيرة صحيحة تمامًا تأسيًا بأستاذهم الذي عدت هذه الفكرة أساس فلسفته الثانية والأصل الذي تقوم عليه نظريته في الألعاب اللغوية، وعلى هذا الأساس اعتبر الملهم الرئيسي لفلسفتهم حسب ما أشارت إليه الدراسات المتخصصة[4].

وبهذا المنظور فقد تقاسم فلاسفة أوكسفورد اهتمامات عديدة واشتركوا في المبادئ العامة التي وجهت نظرتها للغة[1] حيث أن أبرز ما اختصت به هذه المدرسة هو الحديث عن الطريقة التي

---

(1) L. Wittgenstein : Remarques mêlées, traduit de l'allemand par G. Gramel, T.E.R, 1984, p 74..301 نقلا عن جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين، مرجع سابق، ص

(2) محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 144.

(3) محمد فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 61.

(4) Baraquin .N, Jacqueline Laffile: Dictionnaire des philosophes, Oc, p 335.

(1) هذا لا يعني عد وجود اختلاف بين أعلام هذه المدرسة حول وضع هذه اللغة وتفاصيل استعمالها، وللمزيد من الإطلاع على هذه المسألة نلفت أنظار القارئ إلى: محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع نفسه، ص 145.

تستخدم بها اللغة أين اتحدت بأطروحة فتغنشتاين القائلة "المعنى هو الاستعمال" " Meaning is use" ووصف معنى كلمته معناه إعطاء وجه استعمالها[1].

وقبل الحديث عن جديد فلاسفة أوكسفورد في فلسفة اللغة نجد أن لا فكاك من ذكر بعض المصادر أو الأصول التي استمدت منها المدرسة فكرها، أو على الأقل استقت منها المنابع الأساسية لفلسفتها ونقسمها إلى قسمين مصادر أو أصول غير مباشرة ومصادر أو أصول مباشرة.

2-1- الأصـــول غيـــر المبـــاشـــرة:

أ- فيلســـوف الـــذوق الفطـــري جـــورج إدوار مـــور:

يعد مور الأصل البعيد لما يسمى تيار اللغة العادية ذلك أنه من أفضال مور على التفكير الفلسفي المعاصر أنه حاول أن يجنبه أسباب اللبس والغموض و لم يرد من وراء منهجه التحليلي سوى دعوة الفلاسفة إلى تحديد ألفاظهم وتحليل عباراتهم إذا راموا تحقيق المزيد من الوضوح[2]، ولا يختلف اثنان في هذا السياق في كون شيخ التحليلية فيلسوف الذوق الفطري، أو الحس المشترك بامتياز (Common sense) لجعل قضاياه بعيدة تمامًا عن الشك، اتبع فيها منهجًا تحليليًا يؤمن بضرورة معالجة المشكلات الفلسفية من زاوية اللغة التي تثار فيها عادة هذه المشكلات، وهو نفسه التصور الذي يذهب إليه أنصار اللغة العادية كما سيأتي ذكره.

وبالرغم من أنه قد عايش فترة حفلت بنجاح هائل للمناهج العلمية طبع بقوة المنطق المجرد، إلا أنه كان على اقتناع تام بأن لا سبيل إلى حلّ مشكلات الفلسفة بالمعالجات العلمية، أو المنطقية بل إن أي محاولة تبتغي حلولاً شافية لمشكلات الفلسفة لابد وأن توجه عناية مركزة للحس المشترك ولغته العادية[3].

وقد يكون من الحديث المعاد الإشارة إلى أنه ينبغي توجيه الجهد الفلسفي سواء بالنسبة لمور أو لتلامذته المتأثرين به إلى استبعاد كل مظاهر اللبس والغموض بهدف تجنيب الفلسفة مشقة

---

(1) أوزفالد ديكرو: فلسفة اللغة، ترجمة جواد الرامي، مقال منشور في الموقع الإلكتروني:
http://www.onfasse.org/index.php?option=com. تاريخ الاطلاع: 26/05/2010/13:00

(2) زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 200.

(3) محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 30.

إضاعة الوقت في العمل على حل مشكلات زائفة تقود الفيلسوف من حيث يدري أو لا يدري إلى التناقض والمفارقة[1].

وفي كل الأحوال فإن تأثير مور في فلاسفة مدرسة أكسفورد واضح وجلي خاصة في تأكيده على أن اللغة العادية صحيحة تمامًا والذي كان ارتدادًا طبيعيًا لاهتمامه بالحس المشترك ودفاعه عن الذوق الفطري، ومغزى التعبير عند فلاسفة أكسفورد هو ببساطة الإشارة إلى ما نقوله عادة ونفكر فيه في الواقع اليومي.

ب- فيلسوف الرياضة والذرية المنطقية برتراند راسل:

قد يبدو من الأمر الغريب والمستغرب أن يتأثر فلاسفة اللغة العادية بفيلسوف يؤمن باللغة الكاملة منطقيا، ويدافع عنها بحماسة شديدة، ومكمن الغرابة في ذلك التناقض الصارخ بين الاتجاهين اللغة الكاملة منطقيًا واللغة العادية الطبيعية

غير أن ذلك لم يمنعه من أن يترك بصماته عليهم ولو كان ذلك عكسيًا، إذ عدّ الهجوم على راسل وأفكاره اللعبة الشعبية الشائعة -كما يقال- في أوكسفورد[2].

ولا تفوتنا الإشارة في هذا السياق أن راسل قد اعتبر اللغة التي دعا إليها اللغة المنطقية أو اللغة الكاملة منطقيا سليمة تمامًا، في حين اللغة الطبيعية أو لغة الاستعمال اليومي وإن كثرت استخداماتها مصدر للخطأ بل وذهب إلى وصفها بأنها شديدة الخطورة[3] إذا ما أخذت على حالها الذي هي عليه، لذلك كان لزامًا علينا وفق لغة راسل إيجاد أو بناء لغة منطقية اصطناعية[4] بمقدورها تجاوز كل أخطاء اللغة العادية، وأمام موقف راسل من لغتنا اليومية المتداولة، انبنى فكر فلاسفة أوكسفورد المجابه لفكر راسل وتحديدًا في فكرة اللغة العادية أين انتصروا لها، وعدت صحيحة كما هي عليه في عرفهم، متبنين الدفاع عنها أساسًا ونبراسًا لفلسفتهم.

---

(1) زكريا إبراهيم: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 185.

(2) محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 147.

(3) راسل: ما وراء المعنى والحقيقة، المرجع السابق، ص 312.

(4) المرجع نفسه، ص 314.

2-2- الأصـــول المباشـــرة:

إن حجم التأثير الذي مارسه فتغنشتاين على فلاسفة أوكسفورد واضح جدًا حتى بدا من الأمر البديهي الإشارة إلى أهميته الفكرية في أوكسفورد وفي كل دراسة تتناول فلسفتها بالبحث والتحليل، إلى الحد الذي عدّ الأب الروحي لها إن جاز لنا اعتباره رائدًا لتيارها من جهة، واعتبارها مدرسة بأصولها من جهة ثانية، فقد شكلت أبحاثه الفلسفية المتأخرة نقطة الانطلاق والمرجع الأكثر ورودًا عند الفلاسفة الإنجليز والأمريكان المعاصرين[1] في جداول أعمالهم التي لم تخل من التجديد في أفكارهم تأثرًا بالرائد حينًا بالإبقاء على بعض أفكاره، وتطويرًا لبعضها حينًا، وتجاوزها إلى أفكار جديدة حينًا آخر[2].

ولهذا الاعتبار يكاد يجمع فلاسفة أوكسفورد أن أكبر تأثير منفرد على هذه المدرسة يكون قد حصل من طرف فتغنشتاين ونظريته في الألعاب حين ارتبط اسمه بنظرية المعنى والتي هي الاستخدام في اللغة[3] بعدما اشتهر عنه أن معاني الكلمات إنما هي استخداماتها في اللغة وذلك كان العنوان العريض والخطوة الأولى التي أذنت ببدء الأبحاث الفلسفية المعاصرة حول هذا الموضوع، وقد كانت مدرسة أوكسفورد هي الوريث الشرعي والمباشر لهذه الفكرة.

وهذا ما سيتجلى أكثر عندما تتطرق هذه الدراسة بالتحليل والمناقشة لأبرز أعلامها ونقصد بهم الإنجليزي جون أوستن والأمريكي جون سيرل في نظريتهما عن أفعال الكلام.

3- نظريـــة أفعـــال اللغـــة بين التـــأسيس والتطويـــر:

3-1- أفعـــال اللغـــة عنـــد جـــون أوستـــن:

أ- إرهـــاصـــات الاهتمـــام باللغـــة العاديـــة عنـــد أوستـــن:

لقد شهدت التطورات الأخيرة للمنطق الصوري حرص كبير على تمحيص وتليين التحليل للوصول به إلى تفسير استعمالات اللغة العادية إذ من الناحية التاريخية تكون الدراسة الاستعمالية كبعد جديد للغة تكونت بوجه خاص مع فتغنشتاين الألعاب والذي شهدت معه اللغة تغييرًا

---

(1) أوزفالد ديكرو، جون ماري ستشفاير: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2007، ص 222.

(2) عادل فاخوري: فلسفة اللغة -في الموسوعة الفلسفية- معهد الإنماء العربي، بيروت، ط1، ص 707.

(3) محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، ص 370.

ملحوظًا في منهج دراستها بعد أن أصبح غير خاضعٍ لقوانين صرامة المنطق كما كان في الرسالة المنطقية، بل من خلال القيام بوصف دقيق لمختلف استعمالاتها وتحول معه أيضًا باراديغم الدلالة إلى الاستعمال الممكن في مختلف الألعاب اللغوية التي هي امتدادات لسانية غير محدودة، ذات نشاطات اجتماعية واسعة تحدد بشكل أو بآخر صورًا من الحياة[1].

وقد ظهرت آثار نظرية الاستعمال التي جاء بها فتغنشتاين سريعًا عند فلاسفة مدرسة أوكسفورد الذين انتصروا للغة العادية على حساب أية لغة أخرى، دون تحديد لما يقصدونه بالعادي إلى دجرة أن القارئ لمؤلفاتهم يتصادف بتعبيرات عديدة من قبيل "التعبير العادي"، "الاستعمال العادي"، "اللغة العادية"، "الألفاظ العادية".

ولعل هذا ما جعل المهتمين بفكر هذه المدرسة يجتهدون في محاولة تحديد المقصود باللغة العادية حيث مال بعضهم إلى مطابقتها باللغة العادية لقوم ما، ومال آخرون إلى مطابقتها بلغة الحياة اليومية[2] وبالرغم ما في اللغتين من اختلاف أبرزه على الإطلاق: هل يمكن لهذه اللغة العادية سواء كانت طبيعية أو لغة الاستعمال اليومي أن تفي بمتطلبات البحث الفلسفي؟ وذلك كان السؤال البارز –في اعتقادنا– الذي اجتهد فلاسفة أكسفورد في الإجابة عنه عندما أنزلوا الفلسفة من سماء المجردات إلى واقع المحسوسات بجعل ألفاظها مستعملة وعامة بين الناس، وليس باستخدام خاص لمصطلحاتها تنفرد به مجموعة من الناس دون غيرها[3].

وإذا كان فتغنشتاين حاول الانتصار للغة العادية وذلك بتفنيد الادعاءات عن غموضها، بل وأرجع الأخطاء التي يقع فيها الناس إلى سوء استخدامهم لألفاظها واستعمالهم السيئ لعباراتها.

فقد حافظ خلفه في أوكسفورد على هذه النظرة ورفعوا شعار "اللغة العادية صحيحة تماما"[4] تأسيسا بأستاذهم المرجع والدليل، وبهذا المعنى يمكن أن نفهم دفاعهم عن الحس المشترك

---

(1) علي بحري: المعنى وتطوره عند فتغنشتاين ، المرجع السابق، ص 107.

(2) محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص ص 148-149.

(3) المرجع نفسه، ص 150.

(4) المرجع نفسه، ص 153.

الذي تبناه "مالكولم" Malcolm حين دافع عن اعتقادات الحس المشترك دفاعا شرسا مؤكدا صحة المسلمة القائلة بأن اللغة العادية سليمة وصحيحة تماما[1].

بيد أنه ومن الأمور التي لا فكاك من المجادلة فيها فكرة أن اللغة العادية صحيحة تماما المسلمة التي بنى عليها فلاسفة أوكسفورد فلسفتهم برمتها، والتي كانت من الشعارات التي أسيء فهمها من المناطقة والفلاسفة وعامة الناس على حد السواء وبوجه عام، بيد أننا في هذا السياق، وبخصوص فلسفة اللغة العادية ينبغي أن نفهمها على الأقل بأنها ترمي إلى القول أن الاستعمال العادي لمختلف التعابير اللغوية هو الطريقة الوحيدة والوسيلة السليمة للكشف عن استعمالها الصحيح، وعلى هذا الأساس يكون معنى أي لفظ أو عبارة فلسفية يتم الكشف عنه بالنظر إلى الطريقة أو الطرق التي نستعمل بها هذا اللفظ أو هاته العبارة استعمالا ألفناه في حديثنا اليومي[2].

ونتيجة لهذا الفهم اعتبرها فلاسفتها فيصل التفرقة في حسم المجادلات الفلسفية[3] وتجلى ذلك في أعمال الانجليزي جون أوستن "J. Austin" الذي يكون قد رسم الخطوط الأولى لتحليل غير صوري للغة العادية لذلك لم يهتم بموضوع آخر غير اللغة إذ سعى إلى الخروج من باراديغم – بلغة توماس كوهن– اللغة الصورية الذي حفل بترحاب كبير لدى العلماء والمناطقة وحتى الفلاسفة الذين ثابروا على قصر توضيحاتهم على الأقوال الموجبة ذات الوظيفة الوصفية[4].

واهتمام أوستن باللغة العادية قد أكدته أبحاثه فيها حتى عدّ فيلسوفا في اللغة لكونه أحدث تحولا في المنطق اللغوي المعاصر من الفلسفة اللغوية إلى فلسفة اللغة[5] معيدا بذلك توجيه الاهتمام إلى اللغة بكونها مجموعة من الأنماط السلوكية المترسخة في الحياة الاجتماعية، وعلى هذا الأساس

---

(1) Malcolm : moor and ordinary of language, reprinted in ordinary language, edited by Chappell, Bird, p 121.

نقلا عن محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 153.

(2) المرجع نفسه، ص154.

(3) هذا لا يعني أن كل فلاسفة مدرسة أوكسفورد وتلامذتهم يدرسون اللغة بشكل موحد، وموقفهم تجاهها موقف واحد، وإنما لكل فيلسوف منهم نظرته الخاصة لها، بدليل أنها خضعت لتطورات هامة على أيديهم، غير أنهم جميعهم بقوا متمسكين بمسلمة صحة اللغة العادية وقدرتها على الوفاء بمتطلبات البحث الفلسفي الدقيق، أنظر محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع نفسه، ص156.

(4) دوني فرنان: مدخل إلى فلسفة المنطق، ترجمة، محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، 2006، ص 217.

(5) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع السابق، ص 105.

جاءت مقاربة أوستن للغة من زاوية جديدة جديرة بالاهتمام حينما نظر إلى اللغة على أنها شكل من أشكال النشاط[1] معبرة عن الواقع وعاكسة له وراسمة لانطباعاتنا عنه من جهة ثانية[2]، وفي معرض حديثه عن فلسفة اللغة تبدى لأوستن أن الإنسان يتمتع بكم هائل من الرموز تقابله أشياء تشكل العالم ويعمد الإنسان إلى استعمال هذه الكلمات في أدوات ووسائل لهذه الوضعية التي يتواجد فيها، ولا يكون هذا الفهم والتواصل حسب أوستن إلا بما يسميه بالمقياس "Size" بين الكلمات والأشياء[3].

ومن هذه الزاوية تكون علاقة اللغة بالعالم هي علاقة واقعية من منظور أنه متى تحدثنا استعملنا كلمات في وضعيات محددة، وهناك تظهر جليا علاقة اللغة بالعالم بالقياس إلى مدى تطابقها مع الكلمات[4]، وفي هذا يعترف أوستن بالمجهودات التي بذلها فلاسفة التحليل معتبرا فلسفتها اللغوية ثورة كبيرة في تاريخ الفلسفة.

ومن جهة أخرى وإذا كان المنطق التقليدي[5] -كما هو معروف- يتبنى نوعين من القضايا: الأولى تقدم لنا تقريرات عن واقعة أو وقائع معينة، والثانية تلك التي تقرر قواعد الارتباط بين قولين أو أكثر على شاكلة الاستدلال كما هو واضح عند أرسطو، فإن الدراسات التي تزامنت وميلاد المنطق الرياضي وتلته كشفت عن وجود العديد من الجمل التي تخرج عن نطاق الجمل التي حددها منطق أرسطو، بل وأوجدت لكل منها منطقا خاصا أصبح معه من الاستحالة بما كان إقامة نظرية كاملة للمنطق[6]، لأنه وببساطة يصعب أن يكون في إمكان الجهاز الفني المنطقي تقديم صورة كاملة للاستعمالات اللغوية العادية وهذا ما كشف عنه أوستن من خلال حديثه عن

---

(1) جون أي جوزيف وآخرون: أعلام الفكر اللغوي، المرجع السابق، ج2، ص 8.

(2) آدم شاف: المرجع والدلالة في الفكر الإنساني الحديث، ترجمة وتعليق عبد القادر قنين، إفريقيا الشرق، الرباط، 2000، ص 51.

(3) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع السابق، ص 105.

(4) المرجع نفسه الصفحة نفسها.

(5) يشكو هذا المصطلح أيضا من عدم الصرامة في الضبط الدقيق له فمرة نجده تحت عنوان: المنطق الصوري، ومرة المنطق الأرسطي، وأخرى المنطق القديم... غير أننا نحبذ استخدام مصطلح المنطق التقليدي للدلالة على منطق اليوناني أرسطو ثم كل التطورات التي لحقت به في القرون التالية وصولا الى فريج ، لنتجنب الالتباس الذي قد يحدث نتيجة اختلاط المفاهيم المعطاة له.

(6) محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 159.

المنطوقات الانجازية "Reformatory utterances" التي سنأتي إلى تناولها بالتحليل في معرض هذه الدراسة.

وإذا كان أوستن قد انتصر للغة العادية فإن هذا الأمر فيما نحسب لا يعد مطلقا استسلاما لها خاصة إذا علمنا أنها محملة بالأخطاء والأوهام لذلك يجب فيما يرى أوستن تخيل كل المواقف الممكنة المتنوعة ثم العمل على إيجاد اتفاق ما بينها ولعله هنا يكون قد خالف عرف أستاذه فتغنشتاين فيما ذهب إليه حين رأى في موقف سابق من أن استعمالات اللغة غير متناهية[1] والتي تتطابق أو تتشابه فيما بينها وفق ما يسمى التشابهات الأسرية هذه الأخيرة التي لم يجد فلاسفة أوكسفورد ضرورة في وجوها وتبعا لذلك راحوا يصنفونها أنواعا مختلفة لكل نوع صفات مميزة خلقت أنماطا وعبارات[2] مختلفة وأصبحت متداولة كعبارات الاستفهام، التعجب والأمر...الخ.

وهكذا نجد أنفسنا أمام مواقف جديدة يقودها منطق جديد -يختلف جملة وتفصيلا عن المنطق ثنائي القيمة- يقدم لنا صورة كاملة للاستعمالات اللغوية العادية الخاصة بالألفاظ والقضايا ويقدم صياغة جديدة للقواعد الشائعة عن طريق الوصف الدقيق لهذا الاستعمال بالموازاة مع حيثياته وظروفه[3] تزعمه أوستن بعد تجاوزه التقسيم التقليدي للقضايا والجمل إلى خبرية وإنشائية ومن ثم الاحتكام إلى ما يعرف بالصدق والكذب الأرسطي، إلى موقف جديد يؤمن بأن كل الجمل والعبارات قابلة ومعدة للتواصل حيث أن المسألة لم تعد تقتصر على معيار الصدق والكذب فقط بل وتتعلق أيضا بالسياق والمناسبة. ووحدتها الأساسية هي ما يسمى الأفعال اللغوية " Acts of Language" أين تكون الأقوال أفعالا تحقق هدفا وغرضا متعلقا بمناسبة دقيقة يتم فيها الفعل وبعبارة أخرى سوف لن يكون حسب أوستن وفلسفة أوكسفورد لتعبيراتنا أي معنى إلا في سياق معين وتبعا لذلك ميز أوستن ثلاثة أفعال ترتبط بالقول في كتابه الموسوم بـــ" Haw to do things with Words" وترجم إلى الفرنسية بـــ"Quand dire c'est faire" أما إلى العربية فقد ترجم

---

(1) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع السابق، ص 106.

(2) محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 160.

(3) المرجع نفسه ، ص 159.

ترجمات عديدة منها: كيف ننجز أشياء بالكلمات؟[1]، عندما يكون الكلام هو الفعل[2]، كيف تفعل أشياء بالكلمات؟[3].

ب- أفعـــال القـــول عنـــد أوستـــن وأبعادهـــا التعبيريـــة:

1- فعـــل القـــول أو العمـــل القولـــي Elocutionary act:

هو الذي يتم فيه إطلاق جملة من الألفاظ على صورة أو تركيبة جملة مفيدة سليمة لغويا مع التأكيد على تحديد ما لها من معنى "Sens" وإحالة "Reference"[4] إذ أن كل فعل لغوي يفترض تركيبا سليما للكلمات وفق القواعد المتداولة، ويعطي دلالة حسب علم الدلالة أي معنا ومحالا إليه إلى الرموز وللجملة عامة[5]، وبهذا المعنى يكون هذا الفعل هو فعل نفعله بقولنا[6] أما بعده التعبيري فيكمن في قوله، أو التصريح به.

2- الفعـــل المتضمـــن فـــي القـــول Illocutionary act:

المقصود من هذا الفعل أنه حينما يتكلم المتكلم بقول فهو ينجز معنى قصده " Speaker's intention" أو تأثيرا مقصودا يرمي إليه "Intended effect"[7] أو هو كما قال أوستن ببساطة نتائج فعل القول[8].

ويتميز هذا الفعل بقوة خاصة في قولنا لشيء ما[9] كما أنه لا يتم إلا حسب طريقة معينة وفي سياق محدد[10] تماما مثل قولي لأحد: سأكون هنا إذ أن الفعل له قدرة قولية تختلف مثلا عن قولي له هل سأكون هناك؟ أو "ربما سأكون هناك"!، وهذا يعني أن قولي: سأكون هنا قول يمكن أن تكون له قدرة تعبيرية وحسب ظروف قولي له فقد أقصد أن أتوعد به، أو أجزم، أو أنذر، أو

---

(1) عمر مهيبل: في تقديمه لـــ: فلسفة التواصل من تأليف جان مارك فيري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص 12.

(2) جيل بلان: عندما يكون الكلام هو الفعل، العرب والفكر العالمي، العدد 5، 1989.

(3) عادل مصطفى: مدخل إلى الهرمينوطيقا، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003، ص 305.

(4) J. Austin : Haw to do things with Words, Oxford university press, London, 1962; p 94.

(5) J. Austin : Quand dire c'est faire, tr, par G. Lane, Ed seuil, Paris, 1970, pp 109-110.

(6) J. Austin : Haw to do things with Words, p 108.

(7) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع السابق، ص 107.

(8) J. Austin : Haw to do things with Words, p 113.

(9) Ibid, p 120.

(10) J. Austin : Quand dire c'est faire, , p 113.

أهدد به... ونتيجة لهذا السبب يشترط أوستن ضرورة وجود سياق معرفي واجتماعي للغة وبالتالي للقول الذي أقصده كالوعد مثلا[1]. وبذلك يلتمس البعد التعبيري لهذا الفعل في نطقه أو في الاستعمال الخاص للجملة، والذي يظهر الجانب العملي للمعنى الذي نقصده من خلال هذا القول[2].

3- الفعل الناتـــج عن القول أو الفعـــل بواسطـــة القول[3] Perlocutionary act:

وهو ثالث أفعال القول عند أوستن، ويستند إلى الآثار التي يحدثها النطق في السامعين، ذلك أن هذا الفعل يعتبر أن بنية الكلمات التي ينتجها المنتظمة والسليمة نحويا تحمل مقاصد معينة وفي سياق معين لذلك فإن أثرها يظهر جليا عند المتلقي أو المستمع[4] وبعبارة أخرى هذا الفعل هو الذي ننتظر منه مقاصد معينة باعتباره فعلا يحدث أثرا[5] وبهذا المعنى يكون بعد هذا الفعل التعبيري هو بعد تعبيري متعدد يقصد من خلال كل متكلم إلى إفهام السامع أو المتلقي بما يقصده، وهذا الهدف عينه جزء من فعل التعبير الإنجازي[6] خاصة إذا علمنا أن الفعل اللغوي لا قوة له إلا إذا فهم كما هو[7] لذلك فإن التأكد من أن مقاصد المتكلم قد فهمت جيدا أمر أساسي ويترتب عليها آثار هذا الفعل المتعدية، وحسب مقصد المتكلم ووضعية وسياق كلامه فإن السؤال الواحد قد يحدث عدة آثار أو لنقل إن السؤال الواحد مثلا قد يقصد به مثلا إرباك السامع أو تهديده، أو إعطاؤه فرصة...الخ. وبهدف توضيح هذا الفعل أكثر نورد ما ذكره أوستن في تحليله لفعل لغوي تصوره على شاكلة مشادات كلامية في إطار بوليسي على النحو التالي: احذر سأطلق النار؟. هذا الفعل وبهدف تحديد دلالته التعبيرية حلله أوستن وأرجعه إلى:

- لقد قلت له سأطلق النار عليك وهذا تهديد مباشر ودقيق أيضا.

---

(1) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع السابق ، ص 107.

(2) دوني فرنان: مدخل إلى فلسفة المنطق، المرجع السابق، ص 223.

(3) J. Austin : Haw to do things with Words, Oc, p 101.

(4) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع نفسه ، ص 107.

(5) Ibid, pp 108-109.

(6) الانجازية أو الانجاز اصطلاح أطلقه أوستن على تلك الأقوال التي لا تصف واقعة بل تنجز فعلا من الأفعال مثلما أقول: إني أعدك بالنجاح فإني أقول وفي ظروف خاصة "أعد" وعبارة الوعد هنا هي إنجاز لفعل الوعد أنظر:

J. Austin : Quand dire c'est faire, Oc, p 04.

(7).Ibidem

- عندما قلت سأطلق النار عليك كنت فقط أهدده.
- لقد أفزعته عندما قلت له سأطلق النار عليك كنت فقط أريد إخافته[1].

وعليه الفكرة التي أراد أوستن أن يوصلها إلينا هي تعدد آثار الفعل اللغوي حسب مقاصد المتكلم والسياق الكلامي الوارد فيه ذلك الفعل، بالرغم من أن الموضوع الذي اختص أوستن ببحثه وأولاه عناية خاصة هو ما تعلق بالفعل أو العمل الثاني أي المتضمن في القول لإشارته إلى القوة الحقيقية للفظ أو المتضمنة فيه[2].

وفي معرض حديثه عن هذا الفعل نجده يفصل أفعاله الكلامية في خمسة أقسام أو خمسة فصول أوردها تحت الأسماء التالية: الحكميات، الانفاديات، الوعديات، السلوكيات، التبينات[3].

أولا. الحكميات Virdicatives: وهذا النوع يختص بإطلاق أحكام على واقع ذو قيمة كقولنا مثلاً: برأت، قيمت، حكمت...[4].

ثانيا. الانفاديات Exercitives: وهي التي يتعين فيها استخدام للحق وللقوة وما إليها ومنها: أمر، نهى، سمى، عيّن...[5].

ثالثا. الوعديات Commissives: وهي ما تعلق منها بالتزام المتكلم بأداء فعلٍ ما نظيرًا لوعده ومنها قولنا: أعدك، أقسم، أراهن، أعزم.

رابعا. السلوكيات Bahabitives: وهي ما تتمثل في الإفصاح عن حالة نفسية تجاه ما يحدث للآخرين تمامًا عندما يقول أحدنا: أعتذر، أشكر، أعرف...[6].

خامسا. التبينات أو الإثباتات Expositives: وهذه تتضح من حجاجنا أو برهاننا على شيء مثل قولي: أثبت، أنكر...[1].

---

(1) روني فرنان: مدخل إلى فلسفة المنطق، المرجع السابق، ص 223.

(2) J. Austin : Haw to do things with Words, Oc, p 103.

(3) Ibid, p 150.

(4) Ibidem.

(5) Ibid, p 151.

(6) Ibidem.

(1) Ibidem.

تلكم كانت تقسيمات أوستن لأفعاله الكلامية المتعلقة بالفعل المتضمن في القول ونجد لذلك تفصيلات مطولة حول هذا الموضوع وحول ما أسماه أيضًا المنطوقات الإنجازية "Performatory utterance" والتي لا يمكن تطبيق معيار الصدق والكذب عليها في مقاله الموسوم به "العقول الأخرى" "Others minds" ويناقش أوستن جوانب متعددة لمنطق التعبيرات مثل قولنا: كيف تعرف، كيف تعرف أن الأمر كذلك، وقولي: أنا أعرف.

إن أوستن وأثناء تحليله لمنطق العبارة "أنا أعرف" ذهب إلى القول بأني عندما أقول: "أنا أعرف بأنك طيب" قد أكون أقول لغوًا أو أخل بقواعد العبارة لأني قد أكون مخطئًا عندما قلت ذلك تمامًا عندما أقول: إني أعدك أني سأكون كذلك، ولكن قد أفشل، لأنه كما يقول أوستن لو كنت تعي بأنك قد تكون مخطئًا ماكان ينبغي أن تقول أنك تعرف تمامًا، كما لا تكون لك أيضًا حق أن تعد بشيء لو كنت تعي أنك قد لا تفي به[1].وحتى نخرج من هذا اللبس عند أوستن يجب أن أقر بالتالي: إذا كنت أعرف فلا يمكن أن أكون مخطئًا[2] وتبدو هذه الفكرة أكثر جلاءً عندما نعرف أننا عندما نقول مثل هذه الأفعال: أعرف، وأعد، فإننا في الواقع نفعل شيئًا ولا نصفه حسب نظرية الأفعال الكلامية عند أوستن.

ويمكن أن نوضح هذا الأمر بالمثال التالي: فعند قولي: أنا أعد فإني لا أقول: "أنا أعد أن أقول أنا أعد"، ذلك أنني ومتى أعطيت وعدًا يتعين بل ويجب علي أن أنفذه لأني ألزمت نفسي وخاطرت بسمعتي، ونفس الشيء عند قولي أنا أعرف، لأن هذا يقودني إلى الفعل لا إلى الوصف وستصبح بذلك هذه الأقوال كغيرها من الأقوال التي أقول فيها مثلاً أنا أعمل في نادٍ أو في معهدٍ إذ هي ليست أوصافًا أو تقارير وإنما هي أفعال "Acts"[3].

وعلى هذا الأساس أطلق أوستن على هذه الأقوال اسم المنطوقات الإنجازية التي يصبح من الخطأ فهمها على أنها عبارات وصف أو تقرير تكون صادقة أو كاذبة لأنها ليست مجرد أقوال بل

---

(1) J. Austin : Other minds, logic and language, edited by: A flew, 2ed series, Basil Blackwell, 1959, pp 142-143.

نقلا عن: محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 170.

(2) Ibid,p 142.

نقلا عن: محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع نفسه، ص 170.

(3)Ibid, pp 145-146.

نقلا عن: محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع نفسه ، ص 171.

هي أفعال[1]. وفي هذا السياق، ومن هذه الزاوية ندرك سعي أوستن لتحليل اللغة تحليلاً يبتعد عن صورية منطق فريج وراسل الذي لا يستوعب كل أقوال أوستن باعتبار أن لكل منها منطقًا خاصًا بها.

هكذا وتأسيسًا على ما سبق نستنتج أن محاولة أوستن جريئة في فلسفة اللغة إذ حاول أن يضيف للجهاز المفاهيمي للغة خاصية جديدة هي خاصية ربط اللغة عبر أفعالها في العالم أو بالواقع نظرا لأن كل الجمل اللغوية ما عدا ما يتعلق منها بالاستفهامية، التعجبية، والآمرة تجد لها سندًا في الواقع. بحيث يمكن التأكد من صدقها أو كذبها[2] بالرغم من أن مساهمته في تحليل اللغة لا تخلو من تأثير فتغنشتاين في اهتمامه باللغة العادية ومنطق الاستعمال فضلاً على المحافظة على وظيفة الفيلسوف المعالجة والمحررة من الالتباس الذي يقوده سوء استعمال اللغة إلى حيث اللامعنى.

وفي هذا يعد أوستن من القلائل الذين أعطوا الأهمية للغة مؤلفين قليلاً ومؤثرين كثيرًا، دون الاهتمام البالغ بالفلسفة، فالتأمل فيها لم يحن وقته بعد –على حدّ قول أوستن– وإنما الضروري هو تصوير ملامح الحديث اليومي كأشياء تفعل في مواقف معينة من الحياة تمامًا مثلما فعل فتغنشتاين عندما تصور ألعابًا للغة في تخيله لملامح الحديث اليومي.

وفي سياق بحثه عن الفوارق الدقيقة بين هذه الأفعال اكتسب شهرته كأحد الأعمدة الأساسية لمدرسة أوكسفورد للغة العادية.

وعليه إذا كانت أن أية أهمية يمكن أن تعطى لنظرية ألعاب اللغة عند فتغنشتاين تكمن في تجسيدها لموقف مضاد للاتجاه المنطقي والذي ركز على التحليل المنطقي للعبارات بزعامة راسل و فتغنشتاين الرسالة دون اهتمام بسياقها اللغوي والاجتماعي والتاريخي فان نظرية الأفعال اللغوية أوستن قدعكست نمطًا اجتماعيًا وأسلوبًا حياتيًا ثم نسقًا لغويًا يختص به مجتمع ما أكثر من كونها أقولاً موصوفة بالصدق أو الكذب[1].

---

[1] محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق ، ص 171.

[2] جاك ماري فيري : فلسفة التواصل، المرجع السابق، ص 12.

[1] الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع السابق، ص 107.

هذا وقد شهدت نظرية أفعال اللغة كما جاء بها أوستن تطورًا كبيرًا على يد الأمريكي جون سيرل الذي واصل مسيره وبخطى ثابتة على ما تركه أوستن من أفكار هامة في مجال فلسفة اللغة العادية.

3-2- نظريـــة أفعـــال اللغـــة عنـــد جـــون سيـــرل:

شايع الأمريكي "سيرل" الإنجليزي أوستن في تأثره بفتغنشتاين المتأخر أو فتغنشتاين الألعاب اللغوية خاصة، فصاغ نظرية أطلق عليها نظرية الأفعال اللغوية "Theory of speech acts" والتي كان قد أرسى دعائمها بوجه عام أوستن عندما وجه الاهتمام إلى اللغة من وجهة مختلفة في اعتبارها مجموعة من الأنماط السلوكية المترسخة في الحياة الاجتماعية البشرية، ومن هذا اكتسبت مقاربة أوستن أهميتها في اعتبار اللغة شكلا من أشكال النشاط[1].

بيد أن سيرل ولمجاوزة نقاط الضعف عند أستاذه أوستن قام بدفع نظرية أفعال الكلام إلى أقصى حدودها الدلالية الممكنة واتجه بها وجهة جديدة خاصة بعد نقد أوستن في تصنيفه للأفعال المتضمنة في الأقوال وأشار إلى الخلط الذي وقع فيه عندما تم التمييز بين الأفعال وأسماء هذه الأفعال وفي معرض حديثه عن هذه النظرية كشف سيرل أن العقل ينصب في هذه الدراسة على الأفعال اللغوية لأن التواصل بين الناس يفترض أفعالاً من طبيعة لسانية لغوية[2].

وغير بعيد عن ما جاء به أوستن وتطويرًا لبعض جوانبه[3] أكمل سيرل مسيرة البحث وتساءل كيف تعمل اللغة؟ وعن الكلام بوصفه نوعًا من الفعل الإنساني[4].

أ- مقومـــات نظريـــة أفعـــال اللغـــة عنـــد سيـــرل:

مواصلة للجهود الحثيثة التي قام بها أوستن في إعادة الاعتبار للغة العادية ليس في مواجهة اللغة المنطقية فحسب، بل وفي جعلها لغة البحث الفلسفي أيضا، قدم سيرل في كتابه "نظرية أفعال

---

(1) جون أي جوزيف وآخرون: أعلام الفكر اللغوي، ج1، المرجع السابق، ص 8.

(2) J. Searle : Les actes de langage, Essai de philosophie du langage, traduction Hélène Pauchard, Paris, 1972, p 52.

(3) عادل فاخوري: نظرية الأفعال الكلامية، في الموسوعة الفلسفية، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1986، ص 1330.

(4) جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2006، ص 200.

اللغة" نظرية عامة في أفعال اللغة تريد أن تكون استئنافا شاملا للنتائج الرئيسية المترتبة عن مشاريع تحليل اللغة العادية والتي كان قد دشنها فتغنشتاين بكتابه الأبحاث الفلسفية ونظريته في ألعاب اللغة وحذا نحوه أوستن في أعماله عن أفعال اللغة، وطورها "سيرل" بعده،هذا وترتكز نظرية سيرل في أفعال اللغة على الركائز التالية:

1- الأفعـــال التعبيريـــة"Illocutionary act" :

ويسميها سيرل الأفعال التمريرية وهي حسبه أصغر وحدة مكتملة في الاتصال اللغوي الإنساني فحينما نتكلم أو نكتب لبعضنا فإننا نؤدي أفعالا تمريرية[1]، وعليه يكون الفعل التعبيري مكونا من جملة من الأفعال الصوتية والصرفية والدلالية وفي هذا يقول "سيرل" إني أسمي "قول" فعل شيء ما بالمعنى العادي التام أداء للفعل التعبيري، ومن أمثلته الأمر بفعل شيء ما، حيث يدفع للقيام بشيء ما من خلال الحث عليه، والاقتناع عند إصدار الحكم"[2].

وسمى سيرل دراسة المنطوقات من هذه الجوانب باسم دراسة التعبيرات أو الوحدات التامة للكلام[3].

2- الأفعـــال الغرضيـــة:

وهي الأفعال التي تحدد الطريقة التي نستعمل بها التعبير من قبيل مثلا: هل نسأل أم نجيب عن السؤال، هل نضع تحديدا... أم نضع اتهاما.. أم ننقد..؟ هل نعلن عن رأي أم عن قصد؟[4].

3- الأفعـــال التأثيريـــة "Perlocutionary act":

هي جملة الأفعال التي لها علاقة بالنتائج الأخرى أو الآثار المترتبة على أفعالنا سواء كانت أفعالا تمريرية أو غيرها[1].

---

(1) جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، المرجع السابق، ص 202.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، ص 185.

(4) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع السابق، ص 108.

(1) جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، المرجع نفسه، ص ص 202-203.

وبعبارة أخرى يظهر هذا الفعل فيما يحدثه المتكلم من تأثير في مشاعر وأفكار المتلقي كالحث على أداء شيء معين أو إقناع شخص بشيء ما[1].

هذا ويمكن تمثل أقوال هذه الأفعال الثلاثة على الطريقة التالية:

1- المتنبي حكيم.

2- هل المتنبي حكيم؟.

3- جعل الله المتنبي حكيما!.

إذ تشترك هذه الأمثلة، أو هذه المنطوقات كما يسميها سيرل في شيء ما، وهو تحديدا أن كلا منها ينطوي على تعبير أو قضية أو خبر وهو أن المتنبي حكيم في كل منطوق. وهناك شيء ما مختلف عن المنطوقين الآخرين، إذ الأول توقع، والثاني سؤال، والثالث طلب[2]، الأول يثبت حكمة المتنبي، الثاني يتساءل عن هذه الحكمة، والثالث يجعلها أمنية ورجاء.

ومن زاوية أخرى فقد أكد سيرل في أكثر من مرة أن ما يهمه من تحليل هذه الأفعال إنما هي الأفعال التمريرية فهي الغاية من تحليلنا[3] كما يقول سيرل والهدف الحقيقي لعملنا[4].

وقد تميز سيرل عن أوستن في تأكيده على فكرة القصدية في الأفعال، وذلك أن سيرل قد أشار إلى أن الأفعال التمريرية تكون قصدية حيث إذا لم تقصد أن تعطي وعدا أو تصدر حكما فأنت لم تطلق وعدا أو تصدر حكما[5] إذ من خلال أمرك بأن تفعل شيئا، أو دفعك لأن تقوم به ومن خلال المجادلة معك قد أتمكن من حثك، وحين أصدر حكما قد أقنعك[6]، بينما الأفعال التأثيرية كما يقول سيرل لا تؤدي قصدا بالضرورة، فقد تقنع شخصا بشيء ما أو تزعجه بخبر دون أن تقصد ذلك[1].

---

(1) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع السابق ، ص 108.

(2) J. Searle : Les actes de langage, Oc, p 60.

(3) جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، المرجع السابق، ص 202.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المرجع نفسه، ص 203.

(6) المرجع نفسه، ص 202.

(1) المرجع نفسه، ص 203.

وقد أرجع سيرل ضرورة وجود فكرة القصدية في الأفعال التمريرية إلى اعتبار هذه الأخيرة هي الوحدة الرئيسية والأساسية للمعنى في الاتصال[1] ذلك أني حينما أتكلم عن شيء ما، وأنا أعني ما أقوله وأحاول توصيل ما أعنيه للمستمع أو الملتقي، وإذا أفلحت في ذلك حسب سيرل أكون قد أديت فعلا تمريريا.

ولما كان أوستن –ومن زاوية أخرى– قد أعطى الأهمية في أفعاله الكلامية للفعل المتضمن في القول، فإن سيرل بدوره يركز على الصنف الأول الذي أسماه بالأفعال التمريرية واعتبره غاية تحليله ودراسته.

ب– أقسام الأفعال التمريرية المتضمنة في القول:

وقد حصرها سيرل في خمسة أقسام:

1– الإثباتية:

وشرطها حيازة المتكلم على شواهد وأسس ومبررات تؤكد ما قاله أي التعهد للمستمع بحقيقة الخبر ومن أمثلتها الأحكام التقريرية[2]، كما ويتمثل شرط صدقها في الاعتقاد بها، إذ كل إثبات هو تعبير عن اعتقاد نختبر تحديد هويته في السؤال عما إذا كان المنطوق صادقا أو زائفا بالمعنى الحرفي[3].

2– التوجيهية:

والغرض منها يكمن في جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل تصرفه بطريقة ما يتلاءم مع ما وجه له، وتكمن نتائج التوجيهات في الأوامر والنواهي والطلبات، أما شروط صدقها فهي نفسية وتحصر في الرغبة، إذ أن كل فعل توجيهي هو في حقيقة الأمر تعبير عن رغبة من المتكلم بأن يقوم المستمع بالفعل الموجه له[1].

---

[1] جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع ، المرجع السابق، ص203.

[2] المرجع نفسه ، ص 217.

[3] المرجع نفسه، ص ص 217-218.

[1] المرجع نفسه، ص 218.

كما وأن الأفعال التوجيهية -فيما يقول سيرل- من قبيل الأوامر والطلبات لا يمكن الحكم عليها صدقا أو كذبا وإنما هي أفعال يمكن أن تطاع أو تهمل[1].

3- الإلـــزاميـــة:

وتكمن هذه في تعهد صريح من المتكلم في مباشرة الفعل المصرح به وتتوفر النماذج على الإلزاميات في المواعيد والنذور أو الضمانات والعقود وشرط الصدق المعبّر عنه هو دائما في القصد فعلى سبيل المثال كل وعد أو تهديد هو تعبير عن قصد للقيام بشيء ما[2].

4- التعبيـــريـــة:

وهذه تعبيرية لأنها تعبر عن شرط صدق الفعل الكلامي كالاعتذارات والتشكرات والتهاني كقولي مثلا: تهاني لك بفوزك بالجائزة، إذا سلمت قطعا بفوزك بها.

وفي هذا النوع من الأفعال التمريرية يجب أن يكون هناك اقتران بين ما قلته وبين الواقع، ولهذا السبب يكون شرط صدقها يتغير بتغير تعبيرنا، إذ أن التهنئة مثلا تكون صادقة إذا كان المتكلم يشعر فعلا بالفرح والبهجة لمّا يهنئ السامع[3].

5- التصريـــحات:

هي التي تخلق الأفعال الذاتية ووظيفتها إحداث تغيير في العالم بتمثيله وكأنه قد تغير فعلا مثل قولي: أنا مستقيل، وأنت مطرود...[4].

هذا وتختص التصريحات دون باقي الأفعال الكلامية بكونها تحدث التغييرات في العالم بفضل الأداء الناجح للفعل الكلامي إذ متى نجحت في إعلان أني مستقيل أو إقرار أنك مطرود فإني أكون قد أحدثت حالة فعلية في العالم لم تكن موجودة من ذي قبل[1].

---

(1) جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع ، المرجع السابق، ص218.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه ، ص 219.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(1) المرجع نفسه، ص 220.

إن هذا التقسيم الذي أورده سيرل في كتابه "العقل واللغة والمجتمع" للأفعال التمريرية لا يعني أنه لا يوجد تداخل بينها فقد نجد أفعالا تصريحية وإلزامية وإثباتية في فعل كلامي واحد تماما مثلما قال سيرل في منطوقه الأدائي "أعدك بأن أجيء وأراك".

إذ أن المتكلم أدى أولا فعلا صريحا يظهر في الواقع بإعلانه أنه يعد، وهو ثانيا بقوله هذا يقدم وعدا أي يلزم نفسه هو في الوقت ذاته يثبت وعده بالمجيء ورؤية السامع[1].

وإلى جانب هذه الأفعال الكلامية الصريحة والمباشرة يوجد نوع آخر منها وهي ما أسماها بالأفعال الكلامية غير المباشرة، وهذه الأخيرة يؤدي فيها المرء فعلا كلاميا بصورة غير مباشرة من خلال أدائه فعلا كلاميا آخر مباشرة[2] مثل قول أحدنا لجليسه أن يعطي له كتابا أمامه فيقول:أعطني الكتاب أمامك، هلاّ مررت لي ذلك الكتاب، هل تستطيع مناولتي ذلك الكتاب؟، أريد أخذ ذلك الكتاب أمامك، هل ذلك الكتاب في متناول يديك؟.

هذا فضلا عن وجود حالات أخرى يختلف فيها منطوق الفعل الأدائي عن قصد المتكلم تماما، وهذه الأنواع تشمل الكناية، الاستعارة، السخرية والتهكم[3].

وبهذه الأسس وانطلاقا مما سبق نلمس جانب الإبداع الذي جاء به سيرل في تطويره لنظرية أفعال اللغة بإبراز بعدين أساسيين من أبعاد اللغة العادية أهملها أوستن في نظريته وهما المقاصد والمواضعات، فمقاصد[4] الأفعال اللغوية ولكي تفهم لابد من توفر مواضعات[5] يتفق حولها المتخاطبون[1].

---

(1) جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع ، المرجع السابق، ص 220.

(2) المرجع نفسه، ص 221.

(3) المرجع نفسه ، ص 221.

(4) القصدية فكرة تناولها سيرل بتوسع وتفصيل كبير في كتابه العقل واللغة والمجتمع وأفرد لها بابا واسعا وللمزيد من الاطلاع يمكن الرجوع إلى الصفحات 129-161 من هذا الكتاب.

(5) لخصها سيرل في أربعة قواعد يعود إليها في المحصلة ترتيب اللعبة اللغوية بكاملها وهي على النحو التالي:

1- قاعدة المحتوى القضوي Règle de contenu propositionnel

2- قاعدة الإدخال Règle d'introduction

3- قاعدة التراهة Règle de Sincérité

4- القاعدة الجوهرية الأساسية Règle essentielle

وهذه القواعد أوردها جان مارك فيري: فلسفة التواصل، المرجع السابق، ص 12.

(1) جان مارك فيري: فلسفة التواصل، المرجع نفسه، ص 12.

هذا ومن زاوية أخرى وفي إبراز موقفه من الفلسفة يقترب سيرل كثيرا من فتغنشتاين إذ لم تكن معه الفلسفة بحث في الوجود بما هو موجود وتحليق في سماء المجردات، لذلك نجده يشير إلى أن جزء غير يسير من الفلسفة يهتم بأسئلة لا نملك الإجابة عنها بطريقة نسقية، وكثير من نتائجها أيضا يتحول إلى أسئلة، وقد رجع سيرل هذه المشكلة إن جاز لنا اعتبارها مشكلة بالمعنى الفعلي للكلمة إلى ثلاث سمات أساسية:

أولا: اهتمامها بنوع من الأسئلة لا نملك الإجابة عنها بمنهج واحد متفق عليه[1] وهو ما أشار إليه فتغنشتاين حين أكد أن هذه الخاصية هي التي تقودنا إلى الإرباك[2] والبحث عن حلول غير معقولة.

ثانيـــا: أسئلة الفلسفة أسئلة إطارية، أي أنها تميل إلى الاهتمام بالأطر العقلية لحياتنا[3] دون التفاعل معها في الواقع ولا غرابة أن نجد فتغنشتاين يجعل أبرز مشاكل الفلسفة ناتجة عن سوء استعمالنا للغة التي نتناولها في أحاديثنا اليومية والعادية[4].

ثالثـــا: تتعلق الفلسفة بقضايا مفهومية تتطلب تحليلا جزئيا لمفاهيمها على غرار الحقيقة، العدالة...[5] وهنا يتفق أيضا فتغنشتاين مع سيرل في اعتبار اللغة أحسن وسط يمكن الرجوع إليه في هذه المعالجة المفهومية باعتبارها الوسيلة الوحيدة لإنتاج هذه المفاهيم أصلا، وإن الرجوع إلى اللغة العادية والاستعمال الصحيح لألفاظها وعباراتها هو الكفيل بالقضاء على ما يسمى مشاكل فلسفية تثير إرباكنا.

4- أبـــرز الانتقـــادات الموجهـــة لنظريـــة أفعـــال اللغـــة:

إن المقام ليطول بنا المقام لاستعراض نظرية افعال اللغة مفصلة سواء كما صاغها أوستن او كما طورها سيرل[1]، لذلك سنكتفي بالقول رفقة بول ريكور "P. Ricœur" بأن سيرل قد ذهب

---

(1) جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، المرجع السابق، ص 232.

(2) جون أي جوزيف وآخرون: أعلام الفكر اللغوي، ج2، المرجع السابق، ص 139.

(3) جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، المرجع نفسه ، ص 233.

(4) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع السابق، ص 103.

(5) جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، المرجع نفسه، ، ص 233.

(1) استعراض هذه النظرية بالتفصيل يحتاج إلى رسالة بأكملها وبحث منفرد بالنظر إلى جدّة الموضوع الذي طرحته فضلا عن ارتباطاته المختلفة مع مختلف الأبحاث المعاصرة الأخرى.

أبعد ما ذهب إليه أوستن في نظرية أفعال اللغة حين بيّن أن التكلم بلغة يعني الالتزام بشكل من السلوك المحكوم بقواعد[1] و لم يكتف بهذا فقط بل راح يعد ما أسماه فعلا كلاميا أو لغويا الوحدة الأساسية والركيزة القاعدية لكل أشكال التواصل المعرفي والاجتماعي والمؤسساتي[2] لدرجة أنه يمكن حسبه خلق واقع مؤسساتي عن طريق المنطوق الأدائي[3].

وهكذا نكون في المحصلة قد تلمسنا وظيفة اللغة عند أهل الفكر في مدرسة أوكسفورد ممثلة في أفعال الكلام والمنطوقات الأدائية عند كل من أوستن وسيرل –على التوالي– وأصداء هذا التحليل عند بقية من سار في ركاب فلسفة فتغنشتاين الألعاب اللغوية وفلسفة اللغة العادية عموما[4].

إلا أنه وتبعا إلى أنه لكل شيء إذا ما تم نقصان، فإن نظريتهم في أفعال الكلام لم تخل من النقد لقصور معجمها اللغوي وأفعال التلفظ الثلاث على الإنتاج اللغوي، وقد تبنى التقليد القاري هذا النقد بزعامة ريكور، فوكو، وبورديو[5].

وهذا النقد الذي طال نظرية أفعال الكلام من طرف ريكور وفوكو وبورديو إنما خصّ جوانب من هذه النظرية دون نسيان التأكيد في الوقت ذاته على طابعها الإيجابي الذي يسمح بالخروج من المنعطف اللغوي كما أرسته الفلسفة التحليلية والوضعية المنطقية، وكشفوا عن الجوانب الجديدة من مجالاتها التطبيقية في التأويل والتاريخ والمجتمع على التوالي.

إذ أكد ريكور في كتابه "من الوجودية إلى فلسفة اللغة"[1] اهتمامه المتزايد بالمدرسة البريطانية والأمريكية في فلسفة اللغة العادية[2]والتي اعتبرها مرحلة أولى ضرورية للتفلسف.

---

(1) بول ريكور: فلسفة اللغة، ترجمة علي مقلد، العرب والفكر العالمي، ع8، 1989، ص 18.

(2) J. Searle : Les actes de langage, Oc, p 2.

(3) جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، المرجع السابق، ص 222.

(4) صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، المرجع السابق، ص .

(5) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع السابق، ص 108.

(1) فلسفة اللغة عند ريكور هي مبحث واسع يتضمن مختلف التيارات الفلسفية اللغوية في الفلسفة المعاصرة ومن الصعب جدا اختصار جهوده في تيار واحد من هذه التيارات لأن عمله الفلسفي من التنوع والتعقد بما كان ما جعله فسيفساء فلسفية معاصرة.

وفي معرض حديثه عن أثر فلسفة أوكسفورد في تصوره للتأويلية ذهب ريكور إلى تحديد مساهمة هذه الفلسفة في بعدين أساسيين:

الأول: في إثباتها أن اللغة العادية لا يمكن أن تعمل أو تشبه اللغات المثالية (لغات المناطقة وعلماء الرياضة)، وبخاصية الترادف لكلماتها المستعملة اعتبرها ريكور الشرط الأساسي للخطاب الرمزي.

الثانـــي: وهو الأهم إذ اعتبرها مستودعا للتعبيرات التي حافظت على أقصى الطاقات الوصفية فيما يخص التجربة الإنسانية ولاسيما في عالمي الفعل والمشاعر[2].

وذهب فوكو إلى الاعتراف بأن اهتمامه باللغة يعود إلى التقليد الأنجلوساكسوني الذي افتتحه راسل وفتغنشتاين كما وقد كانت مراسلات بينه وبين "سيرل" أظهرت اتفاقهما حول مفهوم المنطوق أو الفعل اللغوي واختلافهما حول ميادين تطبيقه، وهذه المراسلات كشفت عن جانب من الاتصال في مفهوم المنطوق بالتحليلات الأخيرة لفتغنشتاين، ومدرسة أوكسفورد التي تقوم على قاعدة أن اللغة هي الاستعمال كالأمر والوعد والالتزام[3].

في حين ذهب بورديو في تحليله اللغوي إلى انتقاد أطروحة أوستن التي تعطي سلطة لبعض الكلمات على أخرى، نافيا في الوقت ذاته أية سلطة[4] يمكن أن تعطي للكلمات، بدليل أن قوة الخطاب أو العبارة لا تكمن في الكلمات نفسها وإنما في السلطة المفوضة لناطقها.

وفي هذا لا يرى بورديو بأن هناك سلطة للخطاب بل هناك فقط خطاب للسلطة[1]، هذا بالرغم من استمراره في الاعتراف بأن المنطوقات والعبارات اللغوية هي أشكال من الممارسة[2] لذلك نجده يقترح مقاربة جديدة للغة والتبادل اللغوي أطلق عليها نظرية الممارسة " Théorie de

---

(1) بول ريكور: من الوجود إلى فلسفة اللغة، في الوجود والزمان والسرد، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1999، ص 272.

(2) المرجع نفسه، ص 278.

(3) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع السابق، ص 159.

(4) يعرف بورديو بمصطلحات خاصة لاسيما منها ما عرف باسم السلطة في سلطة الخطاب وخطاب السلطة، السوق اللغوية، الرأسمال اللغوي وغيرها.

(1) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع نفسه، ص 185.

(2) المرجع نفسه، ص 192.

la pratique" التي هي امتداد طبيعي للتداولية الاجتماعية "pragmatique sociologique" الناتجة عن تحليله للغة والخطاب.

هذا فضلا عن النقد الموجه لفكر المدرسة الناتج عن سماح المعارضين من ذوي القربى وأبناء العمومة من الفلاسفة التحليليين، فها هو راسل أحد روّاد التحليلية يشن حملته عليهم واصفا فلاسفتهم بالعقم والتفاهة، وفلسفتهم بأنها مجرد تسلية لقوم كسالى حول مائدة شاي[1].

غير أننا وفيما نحسب وانطلاقا من روح الفلسفة القائمة ذاتها على الاختلاف أنه من العسير جدا إعطاء تقييم أو نقد دقيق لاتجاه أو تيار أو مدرسة –بصفة عامة– مازالت تتوالى كتاباتها تباعا إذ الأمر شبيه عندما نكون بصدد تقييم فلسفة فيلسوف مازال في أوج العطاء والسنوات القامة ستكشف لا محالة مدى ملاءمة تيار اللغة العادية بزعامة فتغنشتاين الثاني ونظريته في ألعاب اللغة وتلامذته من فلاسفة أوكسفورد ونظريتهم في أفعال الكلام مع عصرنا الراهن، وبالتالي حيازته لأهلية البقاء في الساحة الفلسفية المعاصرة.

المبحث الثاني: الفلسفة التواصلية هابرماس نموذجا:

1- الأصول والمبادئ: إضاءة تاريخية حول مدرسة فرانكفورت وأعلامها:

إن ولوج فكر مدرسة فرانكفورت ومحاولة الكتابة عنه لا يعد بالأمر السهل، بل ويزداد صعوبة مع تفحص الأجيال المتعاقبة على فكر هذه المدرسة، وبالنظر أيضًا إلى غزارة إسهاماتها وتباين وجهات النظر حولها، ولا بأس أن نقول مع "جون ماري فانسان" ومن حذا نحوه بأنها مواصلة نحو التقليد العظيم للفلسفة الألمانية إلى جانب نقد صارم للثقافة البرجوازية[2].

ولسنا هاهنا بصدد الحديث عن مدرسة فرانكفورت واستعراض فكر أعلامها لأن ذلك يقتضي بحثًا منفصلاً وإنما فقط للإشارة إلى المنابع الأساسية لفكر هابرماس والتي كانت مدرسة فرانكفورت معهدًا لها بجيلها الأول وأعلامه البارزين هوركهايمر M. Horkheimer (1895-1973) المنظر الأساسي لفلسفة النقد، أدورنو Th. Adorno (1903-1969) المهتم بمجال

(1) Russell. B : My philosophical development, London, 1959, p 217.
نقلا عن محمد مهران رشوان، دراسات في فلسفة اللغة، المرجع السابق، ص 173.

(2) Nincent.J. M: La théorie critique de l'école de Frankfort, éd, Galillée, Paris, 1976, p 9.

الثقافة والجمالية باعتبارها أفقًا جديدًا للإنسان المعاصر[1] وماركيز H. Marcuse (1898-1979) المنظر السيكولوجي والاجتماعي للفكر الغربي.

ونستطيع تحديد الاتجاهات الفلسفية والاجتماعية لأقطاب النظرية النقدية داخل المدرسة على النحو التالي:

1- اتجاه ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو الذي يتمثل في المنهج النقدي الجدلي الهادف إلى توجيه النظرية بالممارسة العملية وتقديم نظرية نقدية للمجتمع.

2- اتجاه هاربرت ماركيز الذي تمثل في موقفه الرافض للمجتمع القمعي والثورة عليه وتأكيده على الطابع الثوري في حياة الإنسان.

3- اتجاه يورغن هابرماس (1929-) وهو اتجاه فلسفي أنثروبولوجي لغوي تواصلي[2] وسيكون هذا الاتجاه الأخير في علاقته بفلسفة اللغة محل دراستنا لإبراز أثر فتغنشتاين في بلورته.

2- هابرمـــاس ومشـــروع الفعـــل التواصلـــي:

تشكّل ما يعرف بالجيل الثاني من مفكري مدرسة فرانكفورت مباشرة بعد وفاة أدورنو، وهوركهايمر، وخمود الحركات الطلابية الراديكالية، ويبدو أن بعض الأفكار الرئيسية للنظرية النقدية كما صاغها الجيل الأول ظلت مستمرة في ممارسة تأثيرها على الفكر الاجتماعي في أعمال مفكرين أفراد يقف على رأسهم يورغن هابرماس "J. Habermas" إضافة إلى ألبرت فيلمر" A. Wellemer" وألفرد شميت "A. Schmidt" وكلاوس أوفي "C. Offee" دون أن ننسى كارل أوتو آبل[1] K.O. Appel.

---

[1] كمال بومنير: الخطاب الجمالي والحقيقة من منظور أدورنو في **الفلسفة بين تعدد المناهج ووحدة الحقيقة**، إشراف جمال حمود، المرجع السابق، ص 307.

[2] حبيب بوهرود: المتشكلات الفكرية المؤسسة لمدرسة فرانكفورت، مقاربة تاريخية لبناء النظرية النقدية عند أقطاب المدرسة، ملخصات أعمال الملتقى الدولي الأول، النظرية النقدية المعاصرة والعولمة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس سطيف، 6-7-8 أفريل 2008، ص 30.

[1] توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد جرس، دار أوي، ليبيا، ط2، 2004، ص 103.

كما أنه وفي ذات الوقت وفي إطار جدول أعمال الجيل الثاني من مفكري فرانكفورت تباعدت النظرية النقدية عن أعمال المؤسّسين الأوائل[1]، موجدة نظرية نقدية جديدة لفلسفتهم تتماشى ومعطيات فكرهم من جهة والبيئة الاجتماعية والاقتصادية من جهة ثانية.

هذا وتقع كتابات هابرماس المهندس الرئيسي للنظرية النقدية الجديدة في هذا السياق، إذ سار هابرماس في ركاب أسلافه من فلاسفة النقد وواصل طريقه في نقد المذاهب الوضعية والنزعة العلمية والتقنية المتطرفة بوصفها جميعًا تعبيرات عن الإيديولوجيا المكونة للحداثة التقنية والتي تلعب دورًا أساسيًا في إضفاء الشرعية "Légitimation" على النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي الحديث القائم على العقلانية التقنية[2].

وقد أكد هابرماس أن هذه العقلانية التقنية المتزايدة للمجتمع أفقدت مؤسسات المجتمع طابعها الاجتماعي كمؤسسات، إذ تغدو على إثره الإنتاجية هي المعبئ الوحيد للمجتمع وتضع نفسها فوق كل مصلحة[3] فضلاً على أن كل عقلانية تكنولوجية أداتية يحايثها -يباطنها ويحل بها- على قول هابرماس منطق للسيطرة يستهدف إخضاع الإنسان لنظام الأشياء[4].

وفي كتابه المعرفة والمصلحة الصادر في 1968 مرّ "هابرماس" من علم الاجتماع إلى الفلسفة فكانت محاولته في تأسيس نظرية نقدية للمعرفة، وهو العمل الذي جعله ذائع الصوت -في ذلك الوقت- معلنًا ميلاد نظرية نقدية ذات نزعة تحررية[5] وبين دفتي هذا الكتاب قسّم هابرماس المصلحة البشرية إلى ثلاثة أقسام:

---

(1) توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت، المرجع السابق، ص 104.

(2) سالم يافوت: المناحي الجديدة في الفكر الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، 1999، ص ص 91-92.

(3) عادل مصطفى: مدخل إلى الهرمينوطيقا، المرجع السابق، ص 294.

(4) المرجع نفسه، ص 295.

(5) فرانسوا إوالد: هابرماس جدلية العقل الحديث، مسارات فلسفية، ترجمة محمد ميلاد، دار الحوار، سوريا، ط1، 2004، ص ص 156-157.

– المصلحـــة التقنيـــة الأداتيـــة " Technical interest":

ودائرتها العلوم التجريبية[1] وتقوم على الاحتياجات المادية[2] ثم أن ما يميز عبارات العلوم التجريبية عن غيرها من العلوم في كونها قابلة للفهم والاستخدام أداتيًا، وهو سر ارتباط المعرفة التجريبية بالمصلحة التقنية أو الأداتية[3].

– المصلحـــة العمليـــة "Practical interest" :

نطاقها التفاهم الاتصالي أو التواصلي بين الأفراد داخل جماعات اجتماعية[4] مستخدمة المنهج التأويلي لإنتاج المعرفة العملية[5] القائمة على الطابع الكلي والنوعي للغة المتداولة[6].

– المصلحـــة التحرريـــة "Emancipatory interest" :

وهذه ترمي للتحرر، وتقوم على الأفعال والأقوال الناجمة عن ممارسة القوة[7] لذلك تستخدم النظرية النقدية حتى يتم الحصول على معرفة تحرر الإنسان من السيطرة والوهم[8].

وتكون مع هابرماس هذه النظرية النقدية أكثر عمقًا لمدى تأثيرها في النطاق التحرري من المصالح البشرية الأداتية في كل بناء اجتماعي للمعرفة[9].

ومن هذه الزاوية نلمس أيضًا استمرارًا في كتابه المعرفة والمصلحة في إبراز الطابع النقدي[10] للمعرفة الحداثية، ومن خلالها العقل المكون لها أو العقل الحداثي الذي وصفه بأنه عقل

---

(1) عادل مصطفى: مدخل إلى الهرمينوطيقا، المرجع السابق، ص 295.

(2) توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت، المرجع السابق، ص 106.

(3) عادل مصطفى: مدخل إلى الهرمينوطيقا، المرجع نفسه ، ص 297.

(4) توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت، المرجع نفسه ، ص 107.

(5) عادل مصطفى: مدخل إلى الهرمينوطيقا، المرجع نفسه ، ص 297.

(6) توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت، المرجع نفسه ، ص 107.

(7) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(8) عادل مصطفى: مدخل إلى الهرمينوطيقا، المرجع نفسه ، ص 297.

(9) يورغن هابرماس: المعرفة والمصلحة، ترجمة حسن صقر، مراجعة إبراهيم الحيدري، منشورات الجميل، ألمانيا، 2001، ص ص 372-389.

(10) في الواقع الطابع النقدي للعقل، أو فكرة نقد العقل قد انطلقت –كما نعلم- مع كانط Kant (1724-1804) بثلاثيته الشهيرة النقدية: نقد العقل الخالص، نقد العقل العملي، نقد ملكة الحكم.

أداتي ارتبط بالتصنيع، وفي غمرة المنهج العملي الصارم المميز للعقل الأداتي تحولت الظواهر الاجتماعية إلى أشياء تخضع لما تخضع له الظواهر الطبيعية من حتمية وموضوعية، وتناست وجود الإنسان العاقل المدرك والباحث عن التواصل مع العالم ومع الآخرين[1].وهكذا اتخذ النقد عند هابرماس أبعادًا أخرى، إذ نجده يعتقد أن العلم الحديث لم يستنفذ كل إمكانياته للقيام بمراجعة ذاته، ومحاكمة نتاجاته اللاعقلانية، ومن ثم يتعين على حدّ قول هابرماس إيجاد تصور مختلف للعقلانية إذا أردنا عدم السقوط في الأسطورة كما حدث لمعظم الفلاسفة الذين اعترضوا على عالم التقنية كهايدجر[2].

وفي خضم تعداد مساوئ العقل الأداتي انبثق مع هابرماس ما يسمى العقل التواصلي "Communical mind" الذي أسسه على أنقاض العقل الأداتي، وهو عقل جديد وفق أسس جديدة، عقل منفتح، مرن، ويقوم على مرجعيات أساسية تأتي في مقدمتها انسجام مقولات العقل الذاتية مع الواقع الاجتماعي التاريخي انسجاما حقيقيا عن طريق اللغة[3] وهنا تقع تحديدا النقلة النوعية التي قادت هابرماس من نقد المعرفة إلى نقد اللغة.

ولا يستغرب من فيلسوف سليل تراث نقدي طويل بدء من "كانط"، "هيجل"، "ماركس"، "هيدجر"، وحتى الجيل الأول من مؤسسي مدرسة فرانكفورت، أن يتحول إلى مفكر يهتم بقضايا التفاهم والتواصل بين الناس، والحقيقة أن هذا الانعطاف الذي حصل لهابرماس من نقد المعرفة إلى نقد اللغة لم يأت إلا من خلال تأكده من عجز التيارات النقدية السابقة له عن إنتاج الأسس المعيارية لنظرية نقدية للمجتمع[4]، أو تقديم نقد نظري واضح للمجتمع[5].

---

(1) جان مارك فيري: فلسفة التواصل، المرجع السابق، ص ص 16-17.

(2) محمد نور الدين أفاية: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، نموذج هابرماس، الدار البيضاء، 1991، ص ص229-230.

(3) جان مارك فيري: فلسفة التواصل، المرجع نفسه، ص 17.

(4) عطيات أبو السعود: الحصاد الفسلفي في القرن العشرين، المرجع السابق، ص 93.

(5) النزعة النقدية عند هابرماس متأثرة بشكل كبير بعقلانية ماكس فيبر M. Weber (1864-1920) إضافة إلى التأثير العميق بفلسفة هايدجر، ثم بالفلاسفة الألمان المعاصرين وبخاصة روّاد مدرسة فرانكفورت.
علاء طاهر، مدرسة فرانكفورت من إلى هابرماس، منشورات الإنماء القومي، بيروت، د.ط، ص 91.

ووفقا لهذا المنظور تعد مساهمة "هابرماس" في مجال فلسفة اللغة مساهمة متميزة وعلى أكثر من صعيد تجسدت فعليا في كتابه "نظرية الفعل التواصلي"بجزئيه"الوعي الأخلاقي والفعل التواصلي" و"الخطاب الفلسفي للحداثة" وتجلت بصورة أوضح من خلال السعي إلى وضع الأسس النظرية لفلسفة تدور حول التواصل من خلال اللغة أو بعبارة أخرى فلسفة تدور حول التواصل الإنساني.

فما هي الملامح الأساسية لمشروع "هابرماس" الفلسفي اللغوي؟ وماذا يقصد بالفعل التواصلي؟ وماالأسس النظرية التي يستند إليها هذا التواصل؟.

إن مثل هذه الأسئلة توقعنا في الواقع في صلب فلسفة اللغة عند "هابرماس" وتعرفنا على الصورة الأساسية لمشروعه الضخم بيد أن التفاصيل الدقيقة له تفوق لا محالة حدود هذا البحث. إلا أننا سنحاول من خلال هذا العرض الإطلاع على أهم النقاط الأساسية التي استقى فيها "هابرماس" نظريته في فلسفة اللغة من خلال تأثره بفتغنشتاين الألعاب وفلسفة مدرسة أوكسفورد.

وإذا كانت مساهمة "هابرماس" في فلسفة اللغة هي مساهمة أصيلة ومتميزة، فإن هذا التميز من خلال ثلاث عوامل أساسية انفردت بها فلسفته وهي:

أولا: تأسست على نتائج نظرية ألعاب اللغة عند فتغنشتاين وأفعال اللغة عند أوستين و سيرل .

ثانيـــا: تتميز عن باقي النظريات باعتبارها تشكل نظرية لغوية خاصة بامتلاكها قدرة كبيرة على التفسير الاجتماعي والسياسي والقانوني.

ثالثـــا: لا تزال موضع جدال ومناقشة مستفيضة، ولا أدل على ذلك إلا الإقبال الواسع على أعمال هذا المفكر –لاسيما في أوروبا وأمريكا[1].

هذا وتعد نظريته في فلسفة اللغة الموسومة بالفعل التواصلي بمثابة منطق جديد للعلوم الاجتماعية يستند إلى منجزات اللغويين وفلاسفة اللغة المعاصرين باعتبار أن اللغة في وضعها الخاص

[1] الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع السابق، ص 209.

أو العام تمكننا من إحداث قطيعة مع الأطروحات التقليدية في كافة العلوم الاجتماعية التي تحجم الوعي والفعل والممارسة أيضا[1].

وبهذا المعنى أصبح من اللائق القول أن أهم الروافد الأساسية في تكوين نظرية الفعل التواصلي كانت فلسفة اللغة خاصة مع اهتمامه الخاص بأعمال اللغويين وفلاسفة اللغة وفي مقدمتهم فتغنشتاين ونظريته في اللغة العادية في كتابه الأبحاث الفلسفية، ولاسيما في فكرته الأساسية عن ألعاب اللغة، واستحالة الفصل بين الدلالة والتركيب والتداول أو الاستخدام الفعلي الحي للغة والذي يختلف من لعبة إلى أخرى[2]، وهي الفكرة التي انتقلت جاهزة إلى فلاسفة أوكسفورد وعلى رأسهم أوستن، وسيرل في نظريتهما عن أفعال اللغة المنطلقة مما يسمى فلسفة اللغة العادية، وهي النظرية التي أخذت على عاتقها نقد الزعم الفلسفي الذي يدعي أن قول شيء ما هو دوما إثبات لشيء ما[3]، من خلال التحجيم من وظيفة اللغة، والجمل المتناولة فيها وحصرها في الإخبار عن العالم صدقا أو كذبا.

فلا ريب وتأسيسا على ما سبق إذن الحديث عن التقاء فتغنشتاين الألعاب بهابرماس التواصل ويتجلى هذا الالتقاء على ساحة اللغة العادية باعتبارها المرفد الأساسي للتواصل الذي كان فتغنشتاين ينشده من خلال حديثه عن ألعاب اللغة ودورها في إحداث الاتصال بين الأفراد ، وهو الأمر الذي عدّه هابرماس ضروريا في إطار تجديده للعلوم الاجتماعية بدراسة العلاقات البينية التي بناها على اللغة الطبيعية المجسدة من خلال فعل التواصل بين الأفراد والجماعات[4].

لذلك تعد الحياة اليومية وسيطا واعدا بإعادة الوحدة المفقودة بين الذوات يكون فيها للفلسفة دور في تحريك التفاعل بين الأبعاد المعرفية والأداتية والأخلاقية والعملية من خلال ربطها بالعالم المعيش، وذلك حينما تتحول الفلسفة إلى الانخراط في المجتمع بإقامة نوع من التعاون والحوار بينها وبين مختلف العلوم[5].

---

(1) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع السابق، ص 209.

(2) يمكن الرجوع للإطلاع أكثر على هذا الموضوع إلى ما أوردناه في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(3) عطيات أبو السعود: الحصاد الفسلفي في القرن العشرين، المرجع السابق، ص ص 98-99.

(4) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع نفسه، ص 209.

(5) عطيات أبو السعود: الحصاد الفسلفي في القرن العشرين، المرجع نفسه، ص 101.

هذا ولا يعزب عنا الإشارة هنا إلى أن مشروع هابرماس الفلسفي اللغوي والمتجسد في نظرية الفعل التواصلي[1] ملقاة على عاتقها مهمة التنسيق بين الأفعال الإنسانية لحماية المجتمع من التفسخ والانشطار، ولذلك تبقى اللغة الوسيلة الوحيدة التي يمكنها تحمل هذه المسؤولية من خلال بلورة تواصل اجتماعي سليم، الأمر الذي هيأ هابرماس إلى تبني فرضيات علم التداول اللغوي لتبيين أهمية فعل التواصل على الفعل الأداتي، إذ أن اللغة وباعتبارها الوعاء الذي يحتضن كل تجاربنا بإمكانها أن تحقق التوافق والتواصل بين أفرادها[2].

وتلكم هي مهمة قد أسندها فتغنشتاين للغة قبل هابرماس حين تحدث عن لغتنا الطبيعية لغة اللسان اليومي باعتبار أن بدونها لا يمكن التأثير في الآخرين على النحو الذي نريده وباختصار بدون استخدام الكلام أو اللغة والكتابة لن يستطيع الناس الاتصال ببعضهم[3]، ما دام أن الغرض من لغتنا هو التعبير عن أفكارنا[4] وإيصالها إلى غيرنا[5].

هذا ومن زاوية أخرى تأخذ فلسفة اللغة على عاتقها رصد المفاهيم والمصطلحات قياسا على استعمالاتها الحقيقية على اعتبار أن هذه المصطلحات لا تحوز على كنه قار وإنما متغير، وبذلك

---

(1) هذا الكتاب كما يشير صاحب كتاب: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية هو ثمرة حوارات أجراها هابرماس مع أكبر فلاسفة وعلماء الاجتماع واللغة على حد سواء: دور كايم، ماركس، مير، فيبر، هايدجر، غادامير، فتغنشتاين، أوستن ، سيرل.

حسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2005، ص 67.

(2) المرجع نفسه ، ص 67.

(3) L. Wittgenstein : Investigations philosophiques, Sec 491.

(4) Ibid, Sec 501.

(5) غني عن البيان الإشارة إلى أن فتغنشتاين من خلال حديثه عن اللغة فهو لا يقصد اللغة الفنية الصورية، التي لم يجعل لها وظيفة غير وظيفة تصوير الوقائع التي يتألف منها العالم في حين جعل للغتنا العادية وظائف عديدة تأتي في مقدمتها الاتصال بين الناس (Wittgenstein, 491) وإقامة مختلف مظاهر الحضارات. وقد أورد عزمي إسلام في تعليقه على هذه الفكرة في الترجمة العربية للأبحاث الفلسفية من أن وظيفة الاتصال بين الناس لم تكن الوظيفة ذات الأهمية الأولى للغة وإنما هي وظيفة من بين وظائف اللغة، غير أننا نعتقد أن هذه الوظيفة كانت رئيسية لسببين أساسيين: هما أن أي تأثير نرمي إحداثه في الآخرين لا يتم إلا من خلال العلاقات التواصلية بين الناس.ثم إن إقامة أي أشكال والحضارة والثقافة لا يتم إلا بواسطة آلية التواصل المتفق عليها.

فإن دور أي مصطلح أو أية كلمة تتجلى في كيفية استعماله، وهذا الأخير لا يتم إلا بالإشارة إلى بنيته الاجتماعية[1].

بمعنى أن فكرة الاستعمال في حدّ ذاتها لابد وأن تتوفر على الشرعية الاجتماعية، وبعبارة أخرى فإن الواقع الاجتماعي هو المرتع الحقيقي الذي يؤدّى فيه فعلنا اللغوي بتعبير أوستن.

وقد نتج عن عدم إيلاء الأهمية لاستعمالات أفعالنا اللغوية في الواقع الاجتماعي وبالتالي عدم دراسة الفعل اللغوي كفعل اجتماعي، إلى وضع مهمش لهذا الفعل اللغوي في الأفعال الاجتماعية ينم في الواقع عن تجاهل أهمية الأفعال اللغوية كعناصر فعالة في النظرية الاجتماعية[2].

وهنا تمكن أهمية فلسفة التواصل عند هابرماس في إبراز الألعاب اللغوية بتعبير فتغنشتاين والأفعال اللغوية على حد قول أوستن وسيرل المقرونة بفعل اجتماعي، وهكذا يدخل المستوى التداولي رسميا[3] مع هابرماس إلى جانب المستوى التركيبي والدلالي للغة، وانطلاقا من هذا الفهم يضيف هابرماس لفعله اللغوي سمة التداول أو التواصل كما يصطلح عليها.

3- مفهـــوم الفعـــل التواصلـــي:

يقابل الفعل التواصلي عند هابرماس الفعل الأداتي بحيث أن هذا الأخير هو الفعل المخطط والمصمم لإنتاج أو تحقيق هدف معين مكلل بنجاح ممكن، وغني عن البيان التأكيد على أن المجتمع الحديث معظم أفعاله كانت أداتية محضة كالأعمال التجارية والاقتصادية وغيرها،غير أن هذا لا يعني في المقابل أن كل أفعال البشر أفعالا أداتية[4]، لذلك نجد هابرماس وقبل تفصيله في الحديث عن معنى ما يقصده بالفعل التواصلي أسهب في الحديث عن معنى الفعل الأداتي وأهدافه الحقيقية سواء نحو النجاح المادي والنجاعة الفعلية أو نحو الفهم الأصيل وقسمه إلى: فعل أداتي وفعل تواصلي.هذا الفعل الذي حكمته العقلانية الحداثية والتي كانت عقلانية أداتية هي الأخرى خاضعة

---

(1) حسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، المرجع السابق، ص 80.

(2) المرجع نفسه، ص 48.

(3) هذا المستوى كان ظاهرا كما لاحظنا عند فتغنشتاين الألعاب اللغوية، وخاصة عند كشفنا عن الجانب البراغماتي من مشروعه في ألعاب اللغة، وكان حاضرا أيضا عند كل من أوستن وسيرل في حديثهما عن أفعالهما اللغوية الانجازية، بيد أن البروز الفعلي لهذا المستوى لم يكن إلا مع هابرماس باعتبار الأساس القوي للتواصل وضع فلسفته النقدية برمتها.

(4) عادل مصطفى: مدخل إلى الهرمينوطيقا، المرجع السابق، ص 303.

للحساب الواعي "Instrumental rationality" الذي يدرس كيفية الوصول إلى أهداف معينة غير خاضعة لطابع قيمي بل لطابع عملي، كما أنها تتجسد في علاقة الإنسان مع الطبيعة من خلال العلم والصناعة والتكنولوجيا الحديثة[1].

بيد أن هذه العقلانية قضت على إنسانية الإنسان وصيرت أفعاله مقرونة بأدوات يجب أن تكلل بالنجاح المضمون في ظل تشيئ رهيب ساوقه اغتراب واضح للإنسان في واقعه وعلى أنقاض هذه العقلانية الأداتية أسس هابرماس عقلانيته التواصلية "Communical Rationality" التي لم تقض -كما فهم البعض- على العقلانية الأداتية إنما عملت على تهذيبها والتخفيف من حدة أداتيتها بإعادتها إلى الواقع الاجتماعي بكل مظاهره، بدليل أن العقلانية التواصلية قائمة على التواصل بين أفراد المجتمع[2] مصوِّغة فهم الجماعة لذاتها[3].

ويدخل هذا الفهم في إطار مشروع هابرماس الرامي إلى إعادة تقويم الفكر الغربي نحو مسيرته، إذ ينطلق من داخل الحداثة وخطابها الفلسفي في محاولة لإنقاذ المشروع الحداثي الغربي الذي لن يكون حسب هابرماس إلا من خلال فهم جديد للحداثة[4] يقوم على عقلانية جديدة هي عقلانية التواصل أو عقلانية الفعل التواصلي ،وهذه الأخيرة كانت في واقع الأمر، ولا مراء في ذلك قراءة جديدة للفلسفة الاجتماعية الغربية، ويتجلى هذا التجديد بشكل واضح في حكمه على الحضارة الغربية التي أقامت حسبه جميع مفاهيمها على مركزية العقل الأداتي الذي سجن الذات وأحكم الإغلاق عليها[1].

---

(1) حسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، المرجع السابق، ص 133.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) يظهر هذا النوع من العقلانية خاصة في المجال الأخلاقي والسياسي الذي ينظم الشرائع والمعايير الجاري العمل بها أنظر: حسن مصدق، المرجع نفسه، ص ص 133-134.

(4) عند هابرماس الحداثة مشروع لم يكتمل بعد، وبالرغم من أنه قام بتعرية الأسس التي قامت عليها العقلانية الأداتية الحداثية من خلال نقدها والكشف عن سلبياتها إلا أن ذلك لا يكون كما كان هابرماس مبررا كافيا للتخلي عن مشروع الحداثة، بل لابد من أن تواصل المجتمعات الحديثة تطورها باستكمال هذا المفهوم الأداتي مع إدخال البعد التواصلي في مفهوم العقلانية ولتفصيل الحديث في هذه الفكرة أكثر ينظر:

عطيات أبو السعود: الحصاد الفسلفي في القرن العشرين، المرجع السابق، ص 55.

(1) عبد الغني بارة: الهرمينوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقل تأويلي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص 62.

وبغية الخروج من المأزق الذي وضعت فيه الذات جاء هابرماس بمفهومه للعقل التواصلي المرتبط بالحداثة والمستفيد من معطيات العقل النقدي والمتجاوز في ذات الوقت لارتكاسات العقل الأداتي[1] وبهذا المعنى يكون هابرماس بعقله التواصلي قد طوّر منظورا نقديا ذو فعالية خاصة. يهدف إلى إشاعة مفهوم التواصل أساسا لتفكير عقلي يقوم على نسق الاتصال بديلا عن نسق الانعزال[2]،ولا سبيل لتحقيق هذه الغاية إلا بتكييف أفعال هذه العقلانية الجديدة وتحويرها خدمة للأهداف المقصودة منها.

ويأتي الفعل التواصلي عند هابرماس انطلاقا من العقلانية التواصلية إذ يعتبر على حد قول هابرماس الفعل العقلاني الوحيد الذي يرمي إلى فهم حقيقي غير تنافسي قائم على التواضع ومدفوع بالفهم التداولي البين ذاتي "inter subjective" مجرد من الأنانية والمصلحة الذاتية[3].

ومن هذه الزاوية جاء بديل هابرماس للعقلانية الأداتية التي لا تعترف إلا بمنطق الحسابية والوظيفية، بعقلانية تواصلية تكفل شروط التفاعل السليم والحوار المتبادل بغية تأهيل الإنسان لحماية عالمه من هدير التقنية على نحو يعيد التوازن بين عالمه المعيش وعالم الأنساق[4].

بيد أن الفعل التواصلي في العقلانية التواصلية لا يقوم على تبادل المعلومات ضمن سياق أو ظروف اجتماعية فحسب، وإنما أيضا يقوم بفعل التأويل لما يحدث بغية الوصول إلى الغاية المشتركة من هذا الفعل وهو الوصول إلى الغاية المشتركة، الفهم المشترك والمتبادل.

فضلا على بلورة القواعد والآليات التي تسمح بالعيش الجماعي أو قيام الحياة الاجتماعية لذلك يتسم الفعل التواصلي بكونه يساهم في بناء الواقع الاجتماعي الذي يعيشه الناس بكل مظاهره وأشكاله[1]، فاتحا الحوار مع كل العقول متصورا المعرفة –والقول لهابرماس–معرفة

---

(1) عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية، إشكالية التمركز والتكون حول الذات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1997، ص 356.

(2) المرجع نفسه، ص 359.

(3) عادل مصطفى: مدخل إلى الهرمينوطيقا، المرجع السابق، ص 302.

(4) أميرة الورد: فلسفة التواصل في عصر التقنية، هابرماس في مواجهة ماركس وهايدجر، مقال منشور في الموقع الالكتروني: http://100fmc.com/vb/showthead.php.Le:14-11-2011,h11:15.

(1) عمر مهيبل: من النسق إلى الذات، قراءات في الفكر الغربي المعاصر، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2001، ص ص 130-135.

يتوسطها التواصل وعندئذ ستقاس بحس أو ملكة لدى أشخاص يتسمون بالمسؤولية ويتشاركون في التفاعل"[1].

وعلى هذا الأساس لا يتحقق الفعل التواصلي عند هابرماس إلا عبر منظومة تواصلية متفق عليها، وبعبارة أخرى التجربة التواصلية عند هابرماس وكي تمارس بنجاح كامل لابد من توفر ظروف وشروط لتحققها.

4- شـــروط نـــجاح التجربـــة التواصليـــة عنـــد هابرمـــاس:

لا يريد هابرماس لمشروعه التواصلي أن يتخبط في ضروب العشوائية بل يجب أن يكون نشاطا واعيا من خلال مناقشة وحوار بين الذوات المتفاعلة أو على الأقل بين ذاتين فاعلتين، وهذه هي النقلة النوعية التي ابتعدت فيها نظريته عن فلسفة الوعي وانتقلت من حوار للذات مع نفسها إلى حوار يتم بين مختلف الذوات المتفاعلة أحكمه هابرماس بشروط أهمها:

1- عملية التواصل لا تتم إلا من خلال اللغة ذلك أنه من دون اللغة لا يمكن إقامة علاقة بين المشاركين وبالتالي لا وجود لأي تواصل ثم إن مشروع هابرماس التواصلي هذا يرتكز أساسا على اللغة باعتبارها حوارا بين عقول المتحدثين تهدف إلى إقامة جسر التفاهم وبلوغ الإجماع بصدد القضايا المتناولة[2] باعتبار اللغة هي الكيان الحقيقي لتجارب البشر وهي أيضا الوسيط الأساسي في النشاط التواصلي بين الأفراد متحدثين ومستمعين فأداة التواصل الأولى هي اللغة بما هي الدعامة القاعدية لعملية التشارك الاجتماعي[3].

2- تهدف التجربة التواصلية أو العملية التواصلية إلى الحصول على اتفاق بين الذوات المشاركة في عملية التواصل أو على الأقل إن لم يكن الاتفاق ممكنا إيجاد نوع من التقارب بين وجهات النظر[1].

---

[1] عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية، المرجع السابق، ص 359.

[2] أميرة الورد: فلسفة التواصل في عصر التقنية، المرجع السابق.

[3] جان مارك فيري: فلسفة التواصل، المرجع السابق، ص 18.

[1] عطيات أبو السعود: الحصاد الفسلفي في القرن العشرين، المرجع السابق، ص 104.

3- إن الحوار في العملية التواصلية له قواعده الأخلاقية وتقف على رأس هذه القواعد تحقيق الإجماع للرأي الأقوى والأفضل، ومثل هذه القواعد يفترض أن تكون واضحة عند الجماعة المتواصلة أو المتحاورة.

4- الذات المتحاورة أو المشاركة في عملية التواصل يجب أن تكون متحررة تماما من كل أشكال الوصاية من الخارج عن طريق القهر أو الضغط الذي يمكن أن يمارس عليها، إلا أن الحوار التواصلي حوار حر ونزيه بين ذوات حرة ونزيهة ومتكافئة[1] في المكانة والمستوى[2].

وبهذا يكون هابرماس قد عدد شروط تحقيق تواصل ناجح بين أفراد المجتمع وإن دخلت ضمن ما يمكن أن نطلق عليه رفقة هابرماس بأخلاقيات التواصل التي تلتزم بها الجماعة الحوارية.

وفضلا عن هذه الشروط يزيد هابرماس مقاييس أو معايير يقتضي مراعاتها بهدف تحقيق التفاهم بين الذوات المتحاورة، وقد حددها فيما يلي: حقيقة ودقة وصدق ولا تتحقق هذه إلا من خلال اللغة، وتحديدا من خلال الانتقاء الجيد للعبارة بمعنى توخي حقيقة العبارة ودقتها وصدقها أيضا[3] خاصة إذا علمنا أن أية محاولة لمعرفة الآخر لا تكون من دون عبارات يتم تبادلها من خلال الفعل التواصلي.

ومما لاشك فيه أن للتواصل الاجتماعي أشكالا تعبيرية مختلفة ومتعددة تميز العلاقات الاجتماعية في واقع ما.

غير أن هذا لا يجب أن يفهم على أن التجربة التواصلية هي قدرة على إنتاج جمل لها قواعد، فليست اللغة مجرد نسق من الرموز وحسب، بل إنها وحسب هابرماس ذات خصائص تداولية[1] حيث برز بشكل واضح مع مشروع هابرماس في التداولية العامة " general pragmatic" مفهومه للغة التي يقصدها لغة التواصل أين التقى مع فتغنشتاين وأوستن الألعاب الأفعال اللغوية.

---

(1) عطيات أبو السعود: الحصاد الفلسفي في القرن العشرين، المرجع السابق، ص 104.

(2) هذه الفكرة فتحت الباب واسعا للانتقادات التي هاجمت هابرماس باعتبار حواره المزعوم إقامته حوار الأقلية أو حوار خاص بطبقات معينة.

(3) المرجع نفسه ، ص 111.

(1) المرجع نفسه، ، ص 108.

5- مشـــروع البراغماتيكـــا –التداوليـــة– الشاملـــة:

إن ضرورة تأسيس ما أسماه هابرماس بالتداولية الشاملة أو العامة تهتم باللغة بوصفها فعلاً لغويًا تبادليًا لجملة من العلاقات الاجتماعية[1] قد أكد عليه هابرماس في مقاله الشهير الموسوم بـــ"What is universal pragmatic" (1976)[2] وطرح بذلك بعدًا جديدًا للغة أو لنقل مستوى رابعًا للغة يعنى بتداولية الأفعال والخطاب بعد المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية.

ثم إن أبراز هذا الجانب من اللغة يعني ضرورة توجيه الاهتمام أكثر بالجوانب التعبيرية التواصلية للغة[3] غير أن اللغة ليست بأي حالٍ شيئًا أو مادة مخزنة في المعاجم وكتب النحو، بل هي أكثر من ذلك اتصال بين بني الإنسان لا يتجلى إلا بهذه التداولية[4] التي نستطيع أن نقول عنها أنها شاملة لجميع المسائل التي لا يمكن أن يبحثها اللغويون ولا فلاسفة اللغة في نطاق علم النظم أو علم الدلالة[5].

وتظهر أهمية هذا المشروع الذي جاء به هابرماس في إعادة بناء الإستراتيجيات التي يستخدمها الناس في أداء أفعالهم التواصلية داخل سياقات محددة وكأننا به قد رجع إلى فتغنشتاين وفهمه جيدًا باعتباره أول من وجه أنظارنا إلى تأمل الممارسات الاجتماعية والثقافية للجماعات غير الاستعمالات المتعددة لأفعال اللغة في أطرٍ متعددة لألعاب اللغة. بدليل أننا لا يمكن أن نتأمل اللغة بمعزل عن فعلها الذي يعبر عبرها ويستخدم في ألعابها اللغوية، وفي حياة الناس اليومية وباختصار لا يمكننا حسب فتغنشتاين –وحسب هابرماس بعده– أن نلعب ألعابًا لغوية أو نؤدي أفعالاً لغوية ذات معنى إلا بالرجوع إلى أشكال حياتنا الجماعية الإنسانية الفاعلة[1].

---

(1) البراغماتيكا الشاملة لا تهتم بتحديد الجوانب التركيبية أو الدلالية في لغة التواصل إذ تلك الجوانب يفترض أن تحدد مسبقًا.

(2) حسن مصدق: هابرماس ومدرسة فرانكفورت– النظرية النقدية المعاصرة، المرجع السابق، 127.

(3) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع السابق، ص 210.

(4) التداولية اللغوية هي أحدث الأفرع اللغوية، إذ لم يعترف بها كجزء من علم اللغة الا في النصف II من ق20 ومردّ هذا التأخير في كونها تحيد كثيرًا عن الموضوع التقليدي لعلم اللغة وفقًا لتمييز فرديناند دي سوسير (1857-1913) رائد علم اللغة الحديث بين اللغة والكلام، وللمزيد من التفاصيل حول هذه المسألة يرجع إلى:

هابرماس: الهيرمينوطيقا النقدية– ضمن كتاب عادل مصطفى مدخل إلى الهرمينوطيقا، ص ص 303-304.

(5) المرجع نفسه، ص 303.

(1) Fleur .S.J.: Logique de la représentation, Essai d'épistémologie Wittgenstein, Acadimia Lowain, La neuve, Paris, 1998, pp 197-198.

وفي هذا السياق يندرج مشروع هابرماس في التداولية عن طريق إعادة بناء التفاعل التواصلي بواسطة اللغة أو بشكل أكثر دقة بواسطة ألعاب وأفعال اللغة اليومية التي يفترض فيها فهم المتلقي أو المستقبل في إطار عملية التواصل خطاب الباعث أو المرسل سواء شفاهة أو كتابة، وبذلك التمكن من إدراك العلاقة بين الأفعال الكلامية المقترحة وقياسها أيضًا بالمعايير المعتبرة صحيحة[1] من دقة وصدق وحقيقة أيضا، وما كل ذلك إلا بغرض تأسيس علاقة تواصلية إيجابية[2].بين الأنا والآخر أو بين الذوات.

يستند مشروع هابرماس في التداولية اللغوية إلى مسلمة التحول اللغوي أو المنعطف اللغوي "Linguistic turn" في دراسة أوجه العلاقة بين المتكلم والمستمع، كما يقوم أيضًا على نظريات مفتاحية ثلاث تنتمي اثنان منها إلى التراث الفلسفي اللغوي الأنجلوساكسوني وتنتمي الثالثة للغويات السيكولوجية الألمانية[3].

وتعد نظرية أفعال الكلام[4] واحدة من نظريتي التراث الأنجلوساكسوني كما مهد لها فتغنشتاين وصاغها أوستن وسيرل حتى عدت أهم نظرية في سياق التداولية العامة التي كشفت أن النشاط اللغوي في كل المناسبات يطرح سؤالاً هامًا يتعلق بكيفية اعتبار عبارة ما صحيحة لغويًا، ومؤدية لفعلٍ ما، وكيف يمكن ترجمتها فعلاً في الحياة اليومية.

وقد كان لأوستن فضل الإشارة إلى هذا الموضوع من خلال حصر أوجه اللغة أو بالأحرى حصر أوجه أفعال الكلام في ثلاث مستويات أو لنقل ثلاث وظائف:

1- وظيفة كلامية محضة ⇐ فعل لغوي للكلام أو فعل القول "Locutionary act".

2- وظيفة انجازية للمنطوق ⇐ فعل أدائي انجازي "Illocutionary act".

---

(1) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع السابق، ص 210.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) يتعلق الأمر بنظرية كارل بوبرK. Poper في العوالم الثلاث: العالم الطبيعي، عالم الأفكار والخبرات، وعالم المعرفة الموضوعية، ونظرية السيكولوجي الألماني كارل بولر K. Poler والذي رأى أن اللغة تستخدم بـــ3 طرق: تمثل وقائع العالم الحقيقي، تعبر عن نوايا المتحدث، وتؤسس علاقة بالمستمع. وللمزيد من الإضاءة في هذه المسألة يرجع إلى عادل مصطفى: مدخل إلى الهيرمينوطيقا، المرجع السابق، ص ص 305-307.

(4) وقف البحث شيء من التفصيل عند هذه النظرية لدى كلٍّ من أوستن وسيرل، ينظر إلى الفصل الثالث من هذه الدراسة.

3- وظيفة ايعازية تأثيرية "Perlocutionary act"[1].

وبعد دراسته لنظرية أوستن في أفعال اللغة تيقن هابرماس أنها تشق طريقًا نحو نظريته عن التداولية العامة، التي تختص بفحص وتحليل اللغة المستعملة أو المستخدمة كفعلٍ اجتماعي، وإذا كان الفعل الانجازي أو الأدائي هو مدار اهتمام أوستن فإن هابرماس أيضا اهتم بهذا الفعل بالدرجة الأولى قياسًا بالأفعال اللغوية الأخرى[2].

ولم يتوقف عند هذا الحد، بل وأضاف لنظرية أوستن في أفعال اللغة أبعادًا جديدة، وأشار إلى جدارة الإشارة إلى أن الاهتمام بالعلاقة بين المعنى والصدق، وضبط آلية العلاقة التي يضعها المتكلم تحت تصرفه في تسمية الأشياء بمسمياتها واستعماله للغة يخضع في فلسفة المنطق اللغوي لشروط صدق الجمل أو لنقل المعايير الواجب إتباعها لبلوغ هذا الصدق[3]، وهنا تحديدًا يقع النقد الهابرماسي التواصلي لنظرية أفعال اللغة، وهو النقد الذي مهد له الطريق لإتمام مشروعه في التداولية اللغوية، ذلك أن السؤال الحاسم عند أوستن ودعاة النظرية الفعلية في اللغة -إن صح التعبير- في فهم الجملة ليس ما إذا كانت صحيحة أم خاطئة، ولكن ما إذا كان فهم مقصدها ممكنا أم غير ممكنٍ وهذا النوع من الصدق هو صدق قضوي "Propositional truth" كما يسميه المناطقة وهو صدق واقعي للخبر الذي تقرره العبارة[4]، في حين هابرماس يذهب إلى أن هناك أبعادًا أخرى للصواب غير البعد الذي يقدمه الصدق القضوي الذي حصر فيه أوستن أفعاله الثلاثة، ولإن اهتم هابرماس بالفعل الثاني من أفعال أوستن أو الفعل الأدائي فإنه قسم بنية اللغة المستعملة في التواصل إلى ثلاثة مكونات:

1- مكون قضوي/ Propositional.

2- مكون تعبيري/ Expressive.

3- مكون انجازي إنشائي/ Illocutionary[1].

---

(1) Austin. J: Haw to do things with Words, Oc, pp 5-6.

(2) عادل مصطفى: مدخل إلى الهيرمينوطيقا، المرجع السابق، ص 306.

(3) حسن مصدق: هابرماس ومدرسة فرانكفورت- النظرية النقدية المعاصرة، المرجع السابق، ص 129.

(4) عادل مصطفى: مدخل إلى الهيرمينوطيقا، نفسه، ص 306.

(1) المرجع نفسه، ص 308.

وتبعًا لهذه المكونات قسّم هابرماس أفعاله اللغوية الانجازية التواصلية التي حازت على اهتمامه إلى:

4- الفعل اللغوي الخبري/ Constative speech act صدقه قضوي يشير إلى العالم الخارجي.

5- الفعل اللغوي التمثيلي/ Representative speech act صدقه تعبيري يشير إلى العالم الذاتي.

6- الفعل اللغوي التنظيمي/ Regulative speech act صدقه إنشائي أو انجازي ويؤدي وظيفة تأسيس علاقات اجتماعية، ويعتمد على الحالة التفاعلية في التواصل[1].

وبالرغم من اشتراك هذه الأوجه الثلاثة فيما بينها في الفعل اللغوي الواحد فهي تعبير يبتغي غرض الوصول إلى تواصل ذا تأثير، إلا أن هابرماس يشدد على ضرورة احترام الاختلافات بين هذه الأفعال الثلاثة لضمان عدم تسلل الزيف والتشيء إلى نسيج اللغة، ولهذا السبب اختلفت طرق تحليل هذه الأفعال الكلامية عند أوستن. إذ تحلل الأفعال اللغوية الخبرية من حيث فعلها الخبري أو الإشاري، والأفعال التمثيلية من حيث القصد والنية الداخلية للمتحدث بها، ويتم أخيرًا تحليل الأفعال اللغوية التنظيمية من حيث طريقتها في تحليل علاقات بين شخصية أو بين ذاتية علاقات تواصلية[2]، ومنه إذا تساءلنا عن معيار صدق هذه الأفعال فإننا حتمًا لا نقف عند معايير صواب واحدة محددة بدقة، بل إن هابرماس لا يستنكف أن يضع لكل نوعٍ من هذه الأفعال معيار صواب خاص به، وبذلك يكون معيار صواب الفعل اللغوي الخبري صدقه القضوي مع الواقع، والفعل اللغوي التمثيلي صدقه في الإخلاص والأمانة مع صدق النية الذاتية، والفعل اللغوي التنظيمي ملاءمته مع جماعة التواصل في العلاقات القائمة بينها[1].

---

[1] عادل مصطفى: مدخل إلى الهيرمينوطيقا، المرجع السابق ، ص 308.

[2] Habermas.J: Communication and evolution of society, Boston press, 1979, p 29.
نقلاً عن عادل مصطفى: مدخل إلى الهيرمينوطيقا، المرجع نفسه، ص 309.

[1] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

هذا ومن زاوية أخرى إذا كان الفعل التواصلي (الانجازي) قائمًا دائمًا على إمكانية الحجاج والمناقشة النقدية بين الجماعة أو بين الذوات المختلفة، فإنه لا يقوم بدون أسس تداولية لضمان تواصل سليم ومعافى تتمثل في ثلاثية الصدق والمصداقية والصلاحية المعيارية، إذ يتجلى الأول في عبارات المتكلم الصادقة عن العالم الخارجي، ويظهر الأساس الثاني في مصداقية الذات المتكلمة في موضوع ما، وهي مسألة نفسية ذهنية، في حين يندرج الثالث في علاقة اللغة بعالم القيم والحياة المتعارف عليها في المجتمع المنتمي إليه المتكلم[1] بمعنى إيلاء الاعتبار في هذا الأخير إلى اللغة المستعملة والمتداولة في الحياة اليومية التي يعيشها الناس، إذ لا يهم كما قال فتغنشتاين المعنى وإنما الاستعمال الذي يظهر وصفًا كاملاً للأفعال اللغوية المقدمة في أشكال الحياة والتي هي بدورها أفعال حياة تنتظم في موضوعات وألعاب لغوية متفق عليها أو متواضع عليها، ثم أن المعنى لا يتضح إلا من خلال الاستعمال كما أشارت إليه نظرية الألعاب عند فتغنشتاين.

لذلك قد لا نجانب الصواب إذ قلنا مع من قال أن مشروع هابرماس في التداولية العامة للغة في الواقع يشكل نوعا من المنطق من خلال ضمانه للشروط المعيارية وإمكانيات النجاح في لعبة اللغة التواصلية[2].

وإجمالاً يمكن القول بعد هذه الجولات في فلسفة التواصل الهابرماسية التي لم تخل من لمسات فتغنشتاين العميقة القواعد بداية باعتمادها على اللغة العادية مرتع كل مفهوم وصفي، ومعتمدة في ذات الوقت على منجزات نظرية أفعال اللغة التي أرسى قواعدها أوستن وسيرل، بإيعاز قوي الأثر من فتغنشتاين الأبحاث وتحديد فتغنشتاين الألعاب اللغوية، ثم التأكيد على البعد التداولي للغة بين أفراد الجماعة التواصلية القائم أصلاً على المفهوم الاستعمالي للغة عند فتغنشتاين.

وما تلك إلا نفحات فتغنشتاينية وضعها هابرماس أرضية صلبة لتشييد فعله التواصلي الذي قامت عليه فلسفته التواصلية ذات الملامح الحضارية الراقية في السعي إلى بناء مجتمع تداولي تسوده ديمقراطية التداول وتحكمه لغة الأداء لا لغة الولاء، بيد أن هذا المشروع لم يسلم من النقد اللاذع لأصوله بين من اعتبره يوتيوبيا صعبة التحقيق إن لم نقل مستحيلة[1] وبين من عده امتداد للأداتية

---

[1] حسن مصدق: هابرماس ومدرسة فرانكفورت- النظرية النقدية المعاصرة، المرجع السابق، ص ص 131-132.

[2] الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع السابق، ص 212.

[1] عطيات أبو السعود: الحصاد الفلسفي في ق 20، المرجع السابق، ص 119.

الحداثية التي طبعت العقل الغربي الباحث عن تأسيس جمهورية للتواصل، لا تتجاوز الأفراد العاقلين أو الحكماء، ويبقى التواصل رهن الآراء التي يتعاطاها هؤلاء بينهم[1].

ولعلَّ أبرز انتقاد وجه للفلسفة التواصلية برمتها ما وجهه جيل دولوز لها في كتابه ما الفلسفة إذ عدها هيمنة خطاب الأكثرية، واعتبرها تهديدا متواصلا لحضور الفلسفة على الساحة الفكرية كسلطة لإبداع المفاهيم، من خلال تنبئه من أن مصير الفلسفة فيها صار على المحك لأنها أفرغت من محتواها على حدِّ قول دولوز[2].

ورغم ذلك فإن مما لا يستطيع دولوز ولا غيره إنكاره هو الجدة والأصالة أيضًا في الطرح الهابرماسي في الفلسفة عامة وفي فلسفة اللغة. خاصة في إبراز ما للغة وللغة العادية على وجه التعيين من أهمية وقدرة على عقد التواصل بين البشر في حاجاتهم اليومية، هذا التواصل الذي كاد أن يفقد في غمرة السجالات العنيفة الممجدة للذاتية والعقل الأداتي[3] لولا جهود فلاسفة من طراز فتغنشتاين، أوستن، سيرل، وهابرماس.

---

(1) عبد الغني بارة: الهرمينوطيقا والفلسفة، المرجع السابق، ص ص 64-65.

(2) جيل دولوز، فيليكس غتاري: ما هي الفلسفة، ترجمة مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1997، ص156.

(3) لقد سبق وأن أشرنا أننا لم نحط بالتفصيل الدقيق لهذا المشروع الضخم لهابرماس الذي يحتاج إلى دراسة طويلة ومستفيضة والأمر الأكثر صعوبة هو محاولة تقييمه خاصة وأن كتاباته لا تزال موضع مناقشة عالمية هذا أولاً وثانيًا أنه أقر في بداية المجلد الأول من مؤلفه أنه لم يقدم نظرية نهائية، مما يعني أنه فتح إطارًا نظريًا وتوجيهات أساسية للانتقال من فلسفة الوعي إلى فلسفة التواصل.

الخاتمة

الخاتـــمـــة:

جملة القول من كل ما مضى أنه وبعد أن استوت دراستنا لإشكالية البحث المتمحورة حول نظرية الألعاب اللغوية عند فتغنشتاين على هذه الشاكلة، فإنه وَعود على بدءٍ نخلص إلى جملة من النتائج العامة والجزئية.

حتى لو أن الفلسفة علمتنا أن ليس ثمة نتيجة قطعية نهائية لا يأتيها الباطل من أمامها ولا من خلفها، وأن ليس ثمة إجابات تنأى بنفسها عن صيرورة التعديل حينًا، والتأويل حينًا والتجاوز حينًا آخر، بمقاربات عديدة للإشكالية. ونتيجة لذلك خلصنا من تحليلنا للإشكالية المطروحة إلى نتيجة مفادها أن فيلسوفنا كان نموذجا طيبًا للمفكر الذي لا يستكين لأية مذهبية أو تقليد بل مثال حي للمفكر الذي ما فتئ يعدل أفكاره في عملية إبداع قلّما نجد لها نظيرًا في الفكر المعاصر، بدليل فلسفته التي كانت نقطة تحول كبير في تاريخ الفلسفة المعاصرة، والتي اعتبر على إثرها الرجل أعظم فيلسوف في القرن العشرين.

وقد كان لهذه الدراسة شرف صبر غور جزء من هذه الفلسفة وخلصت إلى النتائج التالية:

– تناولت التراكتاتوس بالدراسة والتحليل قضية نقد اللغة والتي اتضحت معالمها بعد التحليلات الأنطولوجية لمفهوم العالم.

– جاءت نظرية الرسم المنطقي لرسم وتحديد الوظيفة الوحيدة التي أقرتها التراكتاتوس للغة وهي الوظيفة التمثيلية،في حين حددت نظرية القول والإظهار الحدود الفاصلة بين المعنى واللامعنى، و لم يعد واردًا حسب توصيات التراكتاتوس البحث عن المعنى خارج ما نفكر فيه ونقوله بوضوح.

غير أن حصر كبرى قضايا الرسالة في مجال ما يمكن التكلم فيه حجب دعوى الرسالة في مسألة الصوفية والتي عدت من بين ميتافيزيقا الرجل المسكوت عنها.

– بالرغم من صرامة التراكتاتوس الواضحة في كلِّ القضايا التي تناولتها بالبحث، بيد أن موقفها من اللغة العادية لم يكن بهذه الصرامة بدليل أنها ظلت تتأرجح بين القول بأنها في نظام على النحو الذي هي عليه وبين الدعوة إلى استخدام لغة رمزية تتماشى ومقتضيات الذرية المنطقية، بالرغم من اعتبارها رمزية خاصة يلجأ إليها في الحالات التي يكون فيها كلامنا مهدد بالوقوع في اللامعنى.

– اتجه فتغنشتاين نحو الصمت المرادف لمفهوم الصوفي، كوسيلة جديدة كشفت عن جانب مثيرٍ من حياته، وازدادت حدة هذه الإثارة في إنهائه لشطر من فكره حين اقتنع أن ما يمكن أن يقوله قد قاله، وقد قاله بوضوح أيضًا.

– بعد أن تخلى فتغنشتاين عن الذرية المنطقية وعن عديد الأفكار التي نادى إليها، وبعد صمته الذي دام العقد ونيف من الزمن عاد للتفلسف مرة أخرى متخذًا من اللغة العادية أساسًا جديدًا للبحث الفلسفي.

– تعد ما يسمى نظرية الألعاب اللغوية الإستراتيجية الجديدة التي تبناها بعد عودته للتفلسف والتي غيرت الكثير من القناعات الراسخة لعشرية من الزمن.

– فتحت نظرية الألعاب المجال أمام المبادرة الإنسانية البسيطة لإنتاج المعنى، إذ أعيد الاعتبار للغة العادية، لغة الحياة اليومية كآلية جديدة لمقاربة مسألة المعنى، ليصبح معنى المعنى قائم في مفهوم الاستعمال ومنه جاء الشعار: لا تسألني عن المعنى ولكن اسألني عن الاستعمال.

– المقاربة الجديدة لمسألة المعنى في ضوء نظرية الألعاب اللغوية أقرت أن المشاكل الفلسفية تنبثق عندما تغيب اللغة وتغادر بيئتها الطبيعية لتستخدم خارج المقصود منشئة نوعًا من الكانطية اللسانية، والتي أصبحنا مع فتغنشتاين الألعاب في غنى عنها تمامًا.

– بقي الخطاب الفلسفي في كل ثنايا التراكتاتوس وبين كل ربوع الأبحاث خطاب نشاطٍ وتوجيه هدفه جعل القضايا واضحة إما عبر التحليل المنطقي للغة أو عن طريق الاستخدام الجيد لألفاظها.

– تجسد الاستغناء عن أي لغة خارج لغتنا العادية عند الفلاسفة الإنجليز والأمريكان المعاصرين والذين عدت أعمال فتغنشتاين الأخيرة المرجع الأكثر ورودًا عندهم لاسيما عند فلاسفة أوكسفورد في نظريتهم عن أفعال اللغة.

– امتد أثر فتغنشتاين بنظريته في الألعاب اللغوية إلى الضفاف الألمانية متجسدا عند فيلسوف التواصل يورغن هابرماس الذي قرأ فتغنشتاين واستوعب مقاربته الجديدة للغة عندما صاغ نظريته في الفعل التواصلي القائمة على المفهوم التداولي للغة عند فتغنشتاين الألعاب اللغوية والأبحاث الفلسفية عمومًا.

ومن زاوية أخرى وإذا كانت أهمية أية فلسفة تتحدد بأتباعها وخصومها،فإن خصوم فيتغنشتاين قد بادروه بالنقد لهذه الفلسفة الجديدة بدءً بـــ"راسل" أستاذه وصديقه الذي لم يكن ينتظر منه هذا الانقلاب المفاجئ في فلسفته، ولأن حجم المفاجئة كان كبيرًا عليه، فإنه لم يجد من بدٍ إلا بوصفها خيبة أمل كبيرة لاسيما بعد أن لاحظ حجم تأثيرها على المدارس الفكرية التي نهلت من هذا الفكر، واستمر نقده لفلسفة اللغة العادية حتى عدها على أفضل وجوهها مساعدة زهيدة لواضعي قواميس اللغة، وإلى جانب راسل نجد فيلسوف العلم المعاصر كارل بوبر .K Popper (1902-1994) الذي ذهب أبعد الحدود في نقده لفتغنشتاين حين قسّم الفلاسفة إلى قسمين أتباع فتغنشتاين، وأتباع كانط، ويأتي نقده لفتغنشتاين في إطار الدور الذي أسنده للفلسفة، وهو الدور العلاجي والتطهيري من قضايا اليتافيزيقا، فالمنهج الصحيح والوحيد عند فتغنشتاين يتمثل في أن يظهر لهؤلاء الميتافيزيقيين أنهم نسوا أو تناسوا أن يعطوا دلالة أو معنى للقضايا أو المنطوقات التي ينطقون بها[1].

وذهب فتغنشتاين أبعد الحدود في نقده للميتافيزيقيين حين شبههم بالذبابة أو الفراشة التي علقت بالزجاجة فأخذت تتخبط هنا وهناك، والتحليل اللغوي هو الذي سيبين للفراشة كيفية خروجها من الزجاجة[2] وهو الحكم الذي ترتب عليه أن لا مشكلات فلسفة على الإطلاق إذ تم القضاء عليها على حدِّ تعبير فتغنشتاين سواء بالتحليل المنطقي الصارم للغة، أو بالاستخدام الجيد لألفاظها.

في حين يرى بوبر عكس ذلك تمامًا، إذ لا يمكن أن تختزل الفلسفة بهذه الطريقة، بل إن هناك مشكلات فلسفية حقيقية وأصيلة ووضح ذلك بقوله: "... إذا لم تكن لي مشكلات فلسفية حقيقية وإذا لم يكن لي أمل في حلِّها، فليس لي مصوّغ في أن أكون فيلسوفًا..."[3].

والأكثر من ذلك فإن بوبر يصف اهتمام الفلاسفة بمشاكل اللغة بالاهتمام العقيم الذي ينم عن خطر الوقوع في الدوغماتية. ثم إن المنشغلين بمشاكل اللغة في حقيقة الأمر مهتمون بأشباه

---

(1) لخضر مذبوح: فكرة التفتح في فلسفة كارل بوبر، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص 119.

(2) شريف بركة: مفهوم اللغة في فلسفة فتغنشتين، المرجع السابق، ص 159.

(3) كارل بوبر: بحثا عن عالم أفضل، ترجمة أحمد مستجير، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001، ص 218.

المشكلات[1] بدل اهتمامهم بمشكلات الفلسفة الحقة التي وإن اختزلها محلّلوا اللغة في مشكلات الاستخدام اللغوي، فإنه تظل حسب بوبر مشكلة يعكف كل المفكرين على دراستها وهي مشكلة الكوزمولوجيا "Problem of cosmology"[2]،فضلاً على ذلك فإن الفلسفة لن تكون بأي حالٍ من الأحوال توضيح للألفاظ والعبارات، وإنما غايتها أسمى من ذلك البحث عن حقائق مثيرة وهامة، أي عن نظريات حقيقية، ولهذا الأمر لا يجب إذابة المشاكل الفلسفية، واعتبارها مشاكل منطقية فقط، أو مشاكل سوء استخدام للغة العادية تبعًا للتحليل المزعوم للغة.

وقد تجلت حدة النزاع بين بوبر وفتغنشتاين واتضحت في الندوة التي عقدها نادي الفلسفة بكامبريدج تحت عنوان "حيرة الفلسفة" أين اعترض بوبر على نصِّ الدعوة الذي تضمن الإشارة إلى عدم وجود مباحث فلسفية خاصة عندما أدرك أن فتغنشتاين وراء صيغة الدعوة[3] وانتهى النقاش بانسحاب فتغنشتاين من القاعة بعد إيقانه أن بوبر حالة ميؤوس منها في النقاش[4].

غير أن ما هو جدير بالذكر هو أن بوبر لم يكتف بنقد تصور فتغنشتاين للفلسفة أو موقفه من الميتافيزيقا، سواء في فلسفة التراكتاتوس أو في فلسفة الأبحاث فحسب، بل امتد أيضًا إلى فكر حلقة فينا، وإن كان ذلك تحصيل حاصل بالنظر إلى الأثر العميق لفتغنشتاين التراكتاتوس على أعضائها.

لذلك لم يتوانى بوبر وقبيله من النقاد من اعتبار فتغنشتاين المسؤول المباشر وغير المباشر عن انتشار حركة اللافلسفة في الفكر المعاصر.

ومن زاوية أخرى شكلت فلسفة فتغنشتاين في وجهٍ من أوجهها محط تساؤل وسجالٍ كبيرين بين قائلٍ بفلسفة واحدة لفتغنشتاين واستمرارية في فكره وفق ما قاله في التراكتاتوس جاء ليقوله في الأبحاث بأسلوب جديد، وبين قائلٍ بفلسفتين منفصلتين بدليل أنه لم يحدث في تاريخ الفكر أن توفر فيلسوف على مذهبين وأنتج فلسفتين كلاهما أصيل كل الأصالة، عبّر عنه بأسلوبٍ

---

(1) الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة، المرجع السابق، ص 96.

(2) كارل بوبر: منطق الكشف العلمي، ترجمة ماهر عبد القادر محمد، دار النهضة العربية، بيروت، ص 51.

(3) محمد محمد قاسم: في الفكر الفلسفي المعاصر، رؤية علمية، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2001، ص 249.

(4) هذه القصة أوردها عادل مصطفى في كتابه: كارل بوبر مئة عام من التنوير ونضرة العقل، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2002، ص ص 203-204.

قوي وعبارات جزلة، وكانت له أصداؤه وآثاره على الفلسفة العاصرة قال الفريق الثاني، وبين قائلٍ بفلسفة ثالثة تتوسط الفلسفتين عرفت بمرحلة الفلسفة الانتقالية.

غير أنه وفي اعتقادنا أن هذه المواقف قد انطلقت من توجه ما وانتهت إلى دوغماطقية معينة خاصة وأننا لسنا في موقع لمحاكمة للرجل على فكره، والأولى أن ننظر إلى إسهامه في الفلسفة أنه أصيل ولا نحاول تقزيمه بالشكل الذي يوحي إلينا أنه كان متناقضًا مع فكره، وعليه فإنه يتعين علينا أن لا نشغل أنفسنا بتغير آراء الفيلسوف، بل بمواقفه إزاء هذا التغيير خاصة أنه من ابتكاره ومن صياغته الذاتية.

وبدل التحدث عن صدق النظريات الفلسفية سواء المحتواة في التراكتاتوس أو تلك المتضمنة في الأبحاث بما فيها نظريته عن ألعاب اللغة، وجب علينا النظر فيما انطوت عليه هذه النظريات ذاتها، من فائدة من حيث قدرتها على الوصف أو التفسير أو من حيث الآفاق التي فتحها في دروب الفكر، مع لفت انتباهٍ أصيلٍ إلى أن تغيير النظريات لا يعني مطلقًا تغيير الحقائق.

ثم إن فتغنشتاين ليس الوحيد الذي أحرق أصنامه بيده، وعليه فإن التغيير الجذري الذي يبدو طارئ على فكره ينبغي أن لا يسفر مطلقًا عن دهشة لا محلّ لها، بل يجب أن يؤكد أن كلاً من التراكتاتوس والأبحاث بما فيهما من نظريات كانتا وسائل للتفكير، أكسبت الأنا الفكرية لفتغنشتاين التعبير عن نفسها بكل حرية تامة محفوفة بنقد ذاتي وإخلاص مع حسن نية، مع اعترافٍ بالاختلاف الواضح بين الكتابين منذ مقدمتيها وما خلّف ذلك من أتباع لهذا أو ذاك فإذا كانت التراكتاتوس إنجيل حلقة فينا، فإن الأبحاث أحدث مقالٍ عن المنهج ظهر في القرن العشرين بتجاوزه لكلِّ خطابٍ دوغماتي لما أضحى مع فتغنشتاين الالعاب اللغوية بضاعة مزجاة لا محل لها في هذا العالم.

وبإعادة الاعتبار للغة العادية يكون فتغنشتاين قد أعاد الاعتبار للغة الإنسان اليومية المستعملة باعتبارها الأساس المقدس الذي تحقق به التكريم وشُرِّع به التكليف للكائن العادي فكان الكلام العادي.

وفي الجهة المقابلة كشف تحيين فلسفة فتغنشتاين الأبحاث لا سيما نظريته في ألعاب اللغة عن مقاربة معاصرة لمسألة المعنى منطلقة من الفعل الإنساني وآيلة إليه، وفتحت في ذات الوقت باب البحث والدراسة عن:

- المقاربة التداولية للمعنى.
- تأثيرات النظرية في الفلسفة عامة والفلسفة القارية خاصة.
- علاقة فلسفة فتغنشتاين عامة وفلسفة الأبحاث خاصة بفلسفة اللغة العربية.
- الأبعاد الفكرية المختلفة لنظرية الألعاب اللغوية.

هذا وفي الختام نشير إلى أن هذه القراءة لم تكن في واقع الأمر سوى محاولة جريئة زعمت أنه يمكن الولوج إلى ميدان فلسفة اللغة بيد أنها غيث من فيضٍ، ونقطة في بحر فلسفة اللغة المعاصرة والتي تعد فيها فلسفة فتغنشتاين فلسفة ثورية على عديد المفاهيم، بدأت بوضع النقاط على الحروف في الكثير من المسائل التي كانت تتسم إلى عهده بالقداسة، وتتصف بالتبجيل في رحلة شبيهة إلى حدٍّ بعيد بتلك التي أشار إليها فيلسوف الصين العظيم في العقود القديمة عندما سئل عن أول شيء يفعله إذا أصبح حاكمًا فأجاب: سأبدأ بتعريف الكلمات... .

الفهـــــــارس

أولا : فهرس المصادر و المراجع

ثانيا : فهرس المصطلحات

ثالثا : فهرس الموضوعات

أولا: فهـــرس المصـــادر والمراجـــع:

I- البيبليوغرافيـــا:

أولا: المصـــادر:

- **باللغـــة العـــربيـــة:**

1. لودفيغ فتغنشتاين : بحوث فلسفية، ترجمة عزمي إسلام، تقديم عبد الغفار مكاوي، الكويت، د.ط، 1980.

2. لودفيغ فتغنشتاين: رسالة منطقية فلسفية، ترجمة عزمي إسلام، مراجعة وتقديم زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، د.ط، 1968.

- **باللغـــة الفرنسيـــة:**

1. Wittgenstein. L : Investigations philosophiques, trad française par P. Klossowski, ed Gallimard, 1961.
2. Wittgenstein. L : Grammaire philosophique, trad., A. Lescourret, ed, Gallimard, 1980.
3. Wittgenstein. L : Les carnets (1914-1916), traduction et introduction et notes de G.G. Gawager, ed Gallimard, 1971.
4. Wittgenstein. L : Les cours de Combridge, traduit par Régal, transeuro repress, 1980.
5. Wittgenstein. L : Remarques mêlées, traduit de l'allemand par Granel. G, T.E.R, 1984.
6. Wittgenstein. L : Remarques philosophiques, Trad. Faure, Gallimard, 1975.
7. Wittgenstein. L : Wittgenstein et le cercle de vienne, d'après les notes de maismann, texte établis par Mc. Guinnes, trad Grumal. G, I.E.R, 1991.

ثانيـــا. الـــمراجـــع:

- **باللغـــة العربيـــة:**

1. أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة، مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، المركز الثقافي العربي، منشورات الاختلاف، بيروت، د.ط، د.ت.

2. آدم شاف: المرجع والدلالة في الفكر الإنساني الحديث، ترجمة وتعليق عبد القادر قنين، دار إفريقيا الشرق، الرباط، 2000.

3. إدموند هوسرل: تأملات ديكارتية، ترجمة تيسير شيخ الأرض، دار بيروت للطباعة والنشر، د.ط، 1958.

4. ألفرد تارسكي: مقدمة للمنطق ومنهج البحث في العلوم الاستدلالية، ترجمة عزمي إسلام، مراجعة فؤاد زكريا، الهيأة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، د.ط، 1990.

5. ألفرد آير: الفلسفة في القرن العشرين، ترجمة بهاء درويش، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، د.ت.

6. برتراند راسل: فلسفتي كيف تطورت، ترجمة عبد الرشيد الصادق، مراجعة زكي نجيب محمود، مطبعة البيان العربي، ط1، 1960.

7. برتراند راسل: مقدمة للرسالة المنطقية الفلسفية، تأليف فيتجشتين، ترجمة عزمي إسلام ومراجعة زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، د.ط، 1968.

8. برتراند راسل: مقدمة للفلسفة الرياضية، ترجمة محمد مرسي أحمد، مراجعة أحمد فؤاد الأهواني، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، د.ط، د.ت.

9. برتراند. راسل: الفوز بالسعادة، ترجمة سمير عبده، منشورات دار الحياة، بيروت، د.ط، 1980.

10. برتراند راسل: ما وراء المعنى والحقيقة، ترجمة محمد قدري عمارة، مراجعة إلهام جلال عمارة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005.

11. بول ريكور: من الوجود إلى فلسفة اللغة، في الوجود والزمان والسرد، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1999.

12. بول موي: المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة فؤاد حسن زكريا، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ط، د.ت.

13. توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، دار أويا، ليبيا، ط2، 2004.

14. جان مارك فيري: فلسفة التواصل، ترجمة عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الجزائر، د.ط، د.ت.

15. جمال حمود: الفلسفة بين تعدد المناهج ووحدة الحقيقة، تأليف جماعي، إشراف جمال حمود، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2010.

16. جمال حمود: فلسفة اللغة عند فيتجشتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2009.

17. جورج زيناتي: رحلات داخل الفلسفة الغربية، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1993.

18. جون أي جوزيف وآخرون: أعلام الفكر اللغوي، التقليد الغربي في القرن العشرين، ترجمة أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديدة المتعددة، بيروت، ج2، ط1، 2006.

19. جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2006.

20. جيل دولوز، فيليكس غتاري: ما هي الفلسفة، ترجمة مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ط، 1997.

21. حبيب بوهرود: المشكلات الفكرية المؤسسة لمدرسة فرانكفورت، مقاربة تاريخية لبناء النظرية النقدية عند أقطاب المدرسة، ملخصات أعمال الملتقى الدولي الأول، النظرية النقدية المعاصرة والعولمة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس سطيف، د.ط، 2008.

22. حسن الباهي: اللغة والمنطق، بحث في المفارقات، دار الأمان، الرباط، ط1، 2000.

23. حسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2005.

24. روبير بلانشي: المنطق وتاريخه من أرسطو إلى راسل، ترجمة خليل أحمد خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت.

25. روبير بلانشي: مدخل إلى المنطق المعاصر، ترجمة محمود اليعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، د.ت.

26. رودولف ميتس: الفلسفة الإنجليزية في مئة عام، ترجمة فؤاد زكريا، دار النهضة العربية، القاهرة، ج1، 1967.

27. دوني فرنان: مدخل إلى فلسفة المنطق، ترجمة، محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 2006.

28. زكريا إبراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، دار مصر للطباعة، مكتبة مصر، د.ط، د.ت.

29. زكي نجيب محمود: المنطق الوضعي، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ج1، ط4، د.ت.

30. زكي نجيب محمود: برتراند راسل، نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت.

31. الزواوي بغورة: الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.

32. الزواوي بغورة: مدخل جديد إلى فلسفة العلوم –دراسة تاريخية نقدية– تأليف جماعي، إشراف الزواوي بغورة، مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة، د.ط، د.ت.

33. سالم يافوت: المناحي الجديدة في الفكر الفلسفي المعاصر، دار الطليعة، بيروت، د.ط، 1999.

34. سامي أدهم: فلسفة اللغة، تفكيك العقل اللغوي، بحث ابستيمولوجي أنطولوجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2005.

35. السيد تفادي: معيار الصدق والمعنى في العلوم الطبيعية والإنسانية، مبدأ التحقق عند الوضعية المنطقية، دار المعارف الجامعية، د.ط، 1991.

36. شريف بركة: مفهوم اللغة في فلسفة لودفيغ فتغنشتاين، مطبعة تلانتقيت، الجزائر، د.ط، د.ت.

37. صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، د.ت.

38. صلاح إسماعيل: فلسفة اللغة والمنطق، دراسة في فلسفة كواين، دار المعارف، القاهرة، د.ط، 1995.

39. صلاح إسماعيل: نظرية المعرفة المعاصرة، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط1، 2007.

40. عادل عوض: التحليل النفسي والتحليل الفلسفي العلاجي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، بيروت، د.ط، د.ت.

41. عادل فاخوري: فلسفة اللغة –في الموسوعة الفلسفية– معهد الإنماء العربي، بيروت، ط1، د.ط، د.ت.

42. عادل فاخوري: نظرية الأفعال الكلامية، في الموسوعة الفلسفية، معهد الإنماء العربي، بيروت، ج2، د.ط، 1986.

43. عادل مصطفى: مدخل إلى الهرمينوطيقا، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003.

44. عبد الباسط سيد: الوضعية المنطقية والتراث العربي، تقديم طيب تيزيني، دار الفارابي، بيروت، ط1، 1990.

45. عبد الرحمن مرحبا: المسألة الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1985.

46. عبد السلام بن عبد العالي: أساس الفكر الفسلفي المعاصر، مجاوزة الميتافيزيقا، دار توبقال للنشر، الرباط، ط1، 1991.

47. عبد الغفار مكاوي: مقدمة للبحوث الفلسفية تأليف فتغنشتاين ، ترجمة وتعليق عزمي إسلام، مطبوعات جامعة الكويت، د.ط، 1990.

48. عبد الغني بارة: الهرمينوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقل تأويلي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

49. عبد الفتاح الديدي : الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ط، د.ت.

50. عبد الله إبراهيم: المركزية الغربية، إشكالية التمركز والتكون حول الذات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1997.

51. عزمي إسلام: أسس المنطق الرمزي، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، د.ط، 1970.

52. عزمي إسلام: شروحات حول الرسالة المنطقية الفلسفية، تأليف فتغنشتاين ، ترجمة عزمي إسلام، مراجعة وتقديم زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة.
53. عزمي إسلام:فتغنشتاين سلسلة نوابغ الفكر الغربي، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت.
54. عطيات أبو السعود: الحصاد الفلسفي للقرن العشرين وبحوث فلسفية أخرى، منشأة المعارف الإسكندرية، د.ط، د.ت.
55. علاء طاهر: مدرسة فرانكفورت من هوركهاكير إلى هابرماس، منشورات الإنماء القومي، بيروت، د.ط، د.ت.
56. عمر مهيبل: من النسق إلى الذات، قراءات في الفكر الغربي المعاصر، منشورات الاختلاف، الجزائر، د.ط، 2001.
57. فرانسوا إوالد: هابرماس جدلية العقل الحديث، مسارات فلسفية، ترجمة محمد ميلاد، دار الحوار، سوريا، ط1، 2004.
58. فريدة غيوة: اتجاهات وشخصيات في الفلسفة المعاصرة، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، د.ط، د.ت.
59. فريدة غيوة: من الوجود الزائف إلى الوجود الأصيل، دراسة تحليلية لمشكلة التغيير الوجودي، جون بول سارتر أنموذجًا، مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة، د.ط، د.ت.
60. كارل بوبر: بحثًا عن عالم أفضل، ترجمة أحمد مستجير، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، 2001.
61. كارل بوبر: منطق الكشف العلمي، ترجمة ماهر عبد القادر محمد، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، د.ت.
62. كامل محمد عويضة: لودفيغ فتغنشتاين ، فيلسوف الفلسفة الحديثة، دار الكتب العملية، بيروت، ط1، 1993.
63. كريم متى: المنطق الرياضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1983.

64. كمال بومنير: الخطاب الجمالي والحقيقة من منظور أدورنو في الفلسفة بين تعدد المناهج ووحدة الحقيقة، إشراف جمال حمود، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ط1، 2010.

65. لخضر مذبوح: فكرة التفتح في فلسفة كارل بوبر، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.

66. ماهر عبد القادر: فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1989.

67. محمد توم: المنطق واللغة والواقع- دراسة في فلسفة الذرية المنطقية عند كل من راسل و فتغنشتاين، دار الأزمنة الحديثة، ط1، 1987.

68. محمد جديدي: البراغماتية من الحقيقة إلى اللاحقيقة، في الفلسفة بين تعدد المناهج ووحدة الحقيقة كتاب جماعي، إشراف جمال حمود، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ط1، 2010.

69. محمد جديدي: فلسفة الخبرة جون ديوي نموذجا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2004.

70. محمد فتحي الشنيطي: أسس المنطق والمنهج العلمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ط، د.ت.

71. محمد مجدي الجزيري: المتشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فتغنشتاين، دار آتون للتوزيع، القاهرة، د.ط، 1986.

72. محمد محمد قاسم: في الفكر الفلسفي المعاصر، رؤية علمية، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2001.

73. محمد محمد مدين: فتغنشتاين المبكر في الموسوعة الفلسفية، تأليف معن زيادة، معهد الإنماء العربي، بيروت، ج1، د.ط، د.ت.

74. محمد محمد يونس علي: المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط2، د.ت.

75. محمد مرسلي: دروس في المنطق الاستدلالي، دار توبقال للنشر، ط1، 1989.

76. محمد مهران رشوان: دراسات في فلسفة اللغة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.

77. محمد مهران رشوان: فلسفة برتراند راسل، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1997.
78. محمد نور الدين أفاية: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، نموذج هابرماس، الدار البيضاء، 1991.
79. محمود فهمي زيدان: الاستقراء والمنهج العلمي، دار الجامعات المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت.
80. محمود فهمي زيدان : المنطق الرمزي نشأته وتطوره، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.
81. محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1985.
82. محمود فهمي زيدان: من نظريات العلم المعاصر إلى المواقف الفلسفية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1982.
83. محمود فهمي زيدان: مناهج البحث الفلسفي، دار الأحمد البحيري، بيروت، د.ط، د.ت.
84. مشهد سعيد العلاف: بناء المفاهيم بين العلم والمنطق، دار الجيل-بيروت، دار عمار-لبنان، ط1، 1991.
85. هانز ريشنباخ: نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1979.
86. هاني يحي نصري: دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2002.
87. وداد الحاج حسن : رودولف كارناب، نهاية الوضعية المنطقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2001.
88. يحي هاني: دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، المؤسسة الجامعية للدراسات والمنشورات، د.ط، 2002.
89. يحي هويدي: دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت.
90. يحي هويدي: الفلسفة الوضعية المنطقية في الميزان، في فلسفة علم المنطق، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، 1971.
91. يحي هويدي: قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993.

92. يورغن هابرماس: المعرفة والمصلحة، ترجمة حسن صقر، مراجعة إبراهيم الحيدري، منشورات الجميل، ألمانيا، د.ط، 2001.

- **باللغة الفرنسية:**

1. Austin. J : Quand dire c'est faire, traduit par Lane. G, Edition seuil, Paris, 1970.
2. Bouveresse. J : Le mythe de l'intériorité, expérience, signification et langage privé chez Wittgenstein, Edition de minuit, 2ed, 1987.
3. Bouveresse. J : Wittgenstein la rime et la raison « My sticisme et logique», éditions de Minuit, 1973.
4. Chauviré. C : Wittgenstein, Editions de seuil, 1989.
5. Dumoncel. J.C : Le jeu de Wittgenstein, Essais sur la Mathesis universalise, PUF, 1991.
6. Espinosa. M : Wittgenstein et l'essence des mathématiques in visages de Wittgenstein sous la direction de Quillot R. Banchesne, 1995.
7. Fleur. S : Logique de la représentation, Essai d'épistémologie Wittgenstein, Acadimia Louvain, La neuve, Paris, 1998.
8. Glock. H.J : Dictionnaire Wittgenstein, Traduction H.R. Delara et P.Delara, éditions Gallimard, 2003.
9. Grahame. L : Wittgenstein philosophie logique thérapeutique, traduit de l'anglais par Jeanne Balibar, Philippe Mangeot, PUF, 1er ed, 1992.
10. Granger. G : Invitation à la lecture de Wittgenstein, Alienea, 1990.
11. Granger. G : L. Wittgenstein, philosophie de tout temps, ed Seghers, Paris, 1969.
12. Grillo. E : La philosophie du langage, Ed seuil, PUF, Paris, 1997.
13. Haller. H : Wittgenstein et le physicalisme, in Wittgenstein et la philosophie aujourd'hui, textes présentés par J. Sebestik et A. Soulez Harm Han, 2001.
14. Hintikka. M.J : Investigation sur Wittgenstein, traduit de l'anglais, Jawerbaum. I, Mardaga, 1991.
15. Hottois. G: La philosophie du langage de la Wittgenstein, édition de l'université de Bruxelles, 1967.
16. Malherbe. J : Epistémologie anglo-saxonnes, press université, 1981.

17. Malherbe.J.P : Langage ordinaire et philosophie chez le second Wittgenstein, Lanvin, Paris, 1981.

18. Marconi. D : La philosophie du langage au xx siècle, traduit de l'italien de M. Valansi, éditions de l'éclat, 1997.

19. Mc. Guiness : Wittgenstein et le cercle de vienne, in visages de Wittgenstein, sous la direction de R.B Quillot, Bouchesne, 1995.

20. Mc. Guiness : Wittgenstein, les années de jeunesse, traduit de l'anglais par Y. Tenenbaun, Seuil, 1991.

21. Nef. F : Logique et mystique à propos de l'atomisme logique de Russell et de Wittgenstein, in acta de colloque Wittgenstein.

22. Ouelbani. M : Wittgenstein et la philosophie contemporaine in Centenaire de Wittgenstein, colloque organisé par M. Ouelbani, Tunis, 3 et 4 Mars, 1989.

23. Quilliot. R : Wittgenstein et le procès de la philosophie in visages de Wittgenstein, sans la direction de R. Quilliot Bauchesne, 1995.

24. Searle. J : Les actes de langage, Essai de philosophie du langage, traduction Herman Pouchard, Paris, 1972.

25. Schulte. B : Lire Wittgenstein, traduit de l'allemand par M. Charriere et P. Comelti, édition de l'eclat, 1992.

26. Taha. A : Langage et philosophie, Imprimerie de Fedala Mohammedia, Maroc.

27. Vincent. J : La théorie critique de l'école de Frankfort, Editions Galillée, Paris, 1976.

- **بالإنجليـــزيـــة:**

1. Anscombe.E : An introduction to Wittgenstein's tractatus, Hutchinson, university, library London, 3ed, 1967.

2. Austin. J: Haw to do things with Words, Oxford university press, London, 1962.

3. Ayer. A : The alimentary propositions of the tractatus, proceedings of the sixth inter national symposium, , Austria, 1981.

4. Black. M: A companion to Wittgenstein's tractatus, Cambridge university press, 1964.

5. Carnap. R: The logical syntax of language, trad by Sareaton Kegan Paul, London.

6. Griffen. J: Wittgenstein's logical Atomism, Oxford university press, 1994.
7. Habermas. J: Communication and evolution of society, Boston press, 1979.
8. Pitcher.G : the philosophy of Wittgenstein, New Delhi, 1972.
9. Russell. B : The philosophy of logical atomism, in logical and knowledge essays, (1901-1950), Allen and Unwin London, 1950.

ثالثا: المعـــاجـــم والموســـوعـــات:

- **المعاجـــم بالعربيـــة**

1. ابن منظور: **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، ج2، د.ط، د.ت.
2. أوزفالد ديكرو، جون ماري ستشفاير: **القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان**، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 2007.
3. جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2، 1978.
4. جورج طرابيشي: **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1987.
5. عبد المنعم الحفني: **المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1987.

- **المعاجم بالفرنسية:**

1. Lalande A : Vocabulaire Technique et critique de la philosophie, PUF, Paris, 1996.
2. Baraquin. N, Laffile. J : Dictionnaire des philosophes, Armand Colin, Paris, 1997.

- **الموسوعات:**

1. عبد الرحمن بدوي: **الموسوعة الفلسفية**، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ج2، ط1، 1984.
2. عبد المنعم الحفني: **موسوعة الفلسفة والفلاسفة**، مكتبة مدبولي، ج2، د.ط، د.ت.
3. معن زيادة واخرون: **الموسوعة الفلسفية**، معهد الإنماء العربي، بيروت، ج1، د.ط، د.ت.

رابعـــا. المجـــلات والدوريـــات:

- **بالعربيـــة:**

1. أحمد أبو زيد: في اللغة والفكر، عالم الفكر، ج16، ع4، مطبعة حكومة الكويت، مارس 1986.
2. بول ريكور: فلسفة اللغة، ترجمة علي مقلد، العرب والفكر العالمي، ع8، 1989.
3. جين بلان: عندما يكون الكلام هو الفعل، العرب والفكر العالمي، العدد 5، 1989.
4. حسن الباهي: اللغة ولغة اللغة، مجلة المناظرة، العدد 2، الرباط، 1989.
5. سامي أدهم : أنطولوجيا الفراغ، الحقيقة، والفلسفة التحليلية، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية، ع10، 1999.
6. شميتدت. ج: دراسة علمية للسردية الأدبية، نظرية وتطبيق، مجلة العرب والفكر العربي، مركز الإنماء القومي، بيروت، ع9، 1990.
7. عبد الرحمن بدوي: اللغة والمنطق في الدراسات الحالية، مجلة نقد وفكر، ج1، ع1، 1971.
8. عزمي إسلام: فتغنشتاين وفلسفة التحليل، عالم الفكر، ج3،ع4، مطبعة حكومة الكويت، مارس 1973.
9. علي عزت: اللغة ونظرية السياق، مجلة الفكر المعاصر، العدد 76، 1971.
10. مؤلف مجهول: فتغنشتاين من أجل فلسفة أخرى، ترجمة محمد فرطميسي، مجلة فكر ونقد، العدد 14، الرباط ، 1998.

- **بالفرنسية:**

1. Radnilzky. G : Entre Wittgenstein et Poper, archive de philosophie, recherche et documentations, Revue trimestrielle publiée avec le concoure de cette national de la recherche scientifique, cahier 1.

خامسا. الرسائـــل الجامعيـــة:

1. جمال حمود: فلسفة اللغة عند برتراند راسل، أطروحة ماجستير في الفلسفة، إشراف الزواوي بغورة، جامعة منتوري، معهد العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، 1995-1996.

2. جمال حمود: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين من خلال رسالة منطقية فلسفية، أطروحة دكتوراه الدولة، إشراف مليكة والباني، جامعة قسنطينة قسم الفلسفة، (2006-2007).

3. علي بحري: المعنى وتطوره عند فتغنشتاين، بحث مقدم لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في الفلسفة، إشراف عمار طالبي، جامعة الجزائر معهد العلوم الاجتماعية، 1980-1981.

II- الويبـــوغرافيـــا:

1. أميرة الورد: فلسفة التواصل في عصر التقنية، هابرماس في مواجهة ماركس وهايدجر، مقال منشور في الموقع الالكتروني:

http://100fmc.com/vb/showthead.php.Le:14-11-2011,h11:15.

2. أوزفالد ديكرو: فلسفة اللغة، ترجمة جواد الرامي، مقال منشور في الموقع الإلكتروني:

http://www.onfasse.org/index.php?option=com. Date de consultation le : 26/05/2010/13:00

3. ناصر البعداني: مسألة العقلانية في الفكر المعاصر، مقال منشور في الموقع الالكتروني:

http://www.arabysoft.com/vbt/1476.htm/le:13/05/2010,h:10:00.

4. El Baytar Sawsen : L'analyse et synthèse (en ligne) article disponible sur le site électronique :

www.arab-ency.com/indext.php,datedeconsultation25/05/2010,heurre:16:15.

5. www.4Shared.com.

ثانيـــا: فهـــرس المصطلحـــات:

المصطلـــح بالعربيـــة	المصطلـــح بالإنجليزيـــة	المصطلـــح بالفرنسيـــة
	-أ-	
الأداتية	*Instrument*	*Instrumentalisme*
الإديولوجيا	*Ideology*	*Idiologie*
الاستحالة	*Alteration*	*L'altération*
استدلال	*Reasoning*	*Raisonnement*
الاستعمال	*Use*	*Usage*
استقراء	*Induction*	*Induction*
استنباط	*Deduction*	*Déduction*
اسم العلم العادي	*Ordinary proper name*	*Non Propre ordinaire*
الأسماء	*Names*	*Noms*
أسماء الأعلام	*Proper names*	*Noms propre*
الإسمية	*Nominalism*	*Nominalisme*
الأشياء	*Objects /thing*	*Objet / choses*
أصل	*Origin*	*Origine*
اعتباطي	*Arbitrary*	*Arbitraire*
الأفعال اللغوية	*Acts of language*	*Actes de langage*
الألسنية	*Linguistics*	*Linguistique*
الألعاب اللغوية	*Language games*	*Jeux de langage*
الأنا وحدية	*Solipsism*	*solipsisme*
إنسانية اللغة	*Humanity of language*	*Humanité de langage*
الأنموذج	*Paradigm*	*Solipsisme*
	-ب-	
البداهة	*Evidence*	*Evidence*

Pragmatisme	*Pragmatism*	البراغماتية
Protocole	*Protocol*	البروتوكول
Intersubjectif	*Inter subjective*	البين ذاتية
–ت–		
Empirisme	*Empirism*	التجريبية
Abstraction	*Abstraction*	التجريد
Tautologique	*tautology*	تحصيل حاصل
Analyse	*Analysis*	التحليل
Analyse référentiel	*Scientific analysis*	التحليل الإشاري
Analyse ontologique	*Ontological Analytic*	التحليل الأنطولوجي
Analyse d'univers	*Analytic of universe*	تحليل العالم
Analyse thérapeutique	*Therapeutic analysis*	التحليل العلاجي
Analyse de langage	*Analytic of language*	تحليل اللغة
Analyse logique	*Logical analytic*	التحليل المنطقي
Pragmatique	*Pragmatic*	التداول
Synthèse	*Synthesis*	التركيب
Ressemblance familiale	*Family resemblance*	التشابهات الأسرية
Conception	*Conception*	تصور
Correspondance	*Correspondence*	تطابق
équivalence	*Equivalence*	تعادل
Transcendance	*Transcendence*	التعالي
Définition	*definition*	التعريف
Analogie	*Analogy*	التماثل
Contradiction	*Contradiction*	التناقض
communication	*communication*	التواصل

	-ح-	
Déterminisme	*Determinism*	الحتمية
Modernité	*modernity*	الحداثة
Limites de langage	*Limits of language*	حدود اللغة
Arithmétique	*Arithmetic*	الحساب
Vérité	*Reality*	الحقيقة
	-خ-	
Expérience	*Experience*	الخبرة
	-د-	
Fonction de vérité	*Truth function*	دالة الصدق
Précision	*Precision*	الدقة
Signification	*Meaning*	الدلالة
Signification en usage	*Meaning in use*	الدلالة في الاستعمال
Dogmatisme	*Dogmatism*	الدوغماطيقية
	-ذ-	
Atomisme logique	*Logical atomism*	الذرية المنطقية
	-ر-	
Radicalisme	*Radicalism*	الراديكالية
reduction	*Reducibility*	الرد
Image logique	*Logical pictuer*	الرسم المنطقي
Symbolisme	*Symbolism*	الرمزية
Mathématique pure	*pur Mathematic*	الرياضيات البحتة
	-س-	
Causalité	*Causality*	السببية
Behaviorisme pure	*pur Behaviorism*	السلوكية المحضة

Contexte	*Context*	السياق
	-ش-	
Condition de vérité	*truth condition*	شرط الصدق
Forme de vie	*Form of life*	شكل حياة
	-ص-	
Véridicité propositionnel	*Propositional truth*	الصدق العضوي
Silence	*Silence*	الصمت
Forme générale	*General form*	الصورة العامة
Forme logique	*Logical form*	الصورة المنطقية
Forme de proposition	*Form of proposition*	صورة قضية
Mystique	*Mystic*	الصوفي
Formulation	*Formulation*	صياغة
Nécessité logique	*Logical certainty*	الضرورة المنطقية
	-ع-	
Raison	*Mind*	العقل
Raison instrumental	*Instrumental mind*	العقل الأداتي
Raison communicationnel	*Communical mind*	العقل التواصلي
Raison critique	*critical mind*	العقل النقدي
Signe	*Sign*	العلامة
Sémantique	*Semantics*	علم الدلالة
	-ف-	
Activité	*Activity*	فاعلية
Hypothèse	*hypothesis*	فرضية
Agir communicationnel	*Act of communication*	فعل التواصل
Pensé /esprit	*Thought /espirit*	الفكر

Philosophie de l'analytique	*Analytic philosophy*	فلسفة التحليل
Philosophie scientifique	*Scientific philosophy*	الفلسفة العلمية
Philosophie du langage	*Philosophy of language*	فلسفة اللغة
Philosophie linguistique	*Linguistic philosophy*	الفلسفة اللغوية
–ق–		
Intentionnalité	*Intentionality*	القصدية
Proposition	*Proposition*	القضية
Proposition élémentaire	*Elementary proposition*	القضية الأولية
Expression /discours	*Expression / enonce*	القول
Valeur	*Value*	القيمة
Valeur de vérité	*Truth value*	قيمة الصدق
–ل–		
Indéterminisme	*Indeterminism*	اللاحتمية
Non sens	*Meaning*	اللامعنى
Langage privé	*Private language*	اللغة الخاصة
Langage Object	*Object language*	اللغة الشيئية
Langage formelle	*Formal language*	اللغة الصورية
Langage ordinaire	*Ordinary language*	اللغة العادية
Langage phénoménologique	*Phenomenological language*	اللغة الفينومينولوجية
Meta langage	*Meta language*	لغة اللغة
Langage logique	*Logical language*	اللغة المنطقية
Langage formalisé	*Formal Language*	لغة مصونة
–م–		
Principe de vérification	*Principle of verification*	مبدأ التحقيق
Idéalisme	*Idealism*	مثالية

Concomitance	*Concomitance*	المساوقة
Axiome	*Axiom*	مسلمة
Nominé	*Nominates*	مسميات
Postulat	*Postulate*	مصادرة
Absolu	*Absolute*	المطلق
Dogme	*Dogma*	المعتقدات
Connaissance priorie	*priori knowledge*	المعرفة القبلية
Sens	*Sense*	المعنى
Usage	*Meaning*	الاستعمال
Paradox	*Paradox*	المفارقات
Concept	*Concept*	المفهوم
Pratique de langage	*Use of language*	ممارسة اللغة
Logique symbolique	*Symbolic logic*	المنطق الرمزي
Logique mathématique	*Mathematical logic*	المنطق الرياضي
Logique de langage	*Logic of language*	منطقة اللغة
Tournant linguistique	*Turn linguistic*	المنعطف اللغوي
Convention	*Convention*	المواضعة
Métaphysique	*Metaphysics*	الميتافيزيقا
–ن–		
Grammaire philosophique	*Philosophical grammar*	النحو الفلسفي
Logicisme	*Logicism*	النزعة المنطقية
Système	*System*	النسق
Razoir d'occam	*Occam's razor*	نصل أوكام
ordre	*order*	النظام
Théorie référentiel	*Referential language*	اللغة الإشارية

Théorie des types	*Theory of types*	نظرية الأنماط
Théorie critique	*Critical theory*	النظرية النقدية
négation	*Negation*	النفي
Critique	*Critic*	النقد
Critique da langage	*Critique of language*	نقد اللغة
model / exemplaire	*model / exemplary*	النموذج
-هـ-		
Identité	*Identity*	هوية
-و-		
Fait négatif	*Negative fact*	الواقعة السالبة
Fait générale	*General fact*	الواقعة العامة
Faits positif	*Positive fact*	الواقعة الموجبة
Existence	*existence*	الوجود
Existentiel logique	*Logical existential*	الوجود المنطقي
Description	*Description*	وصف
Description défini	*Definite description*	الوصف المحدد
Positivisme logique	*Logical positivism*	الوضعية المنطقية
Faits	*Facts*	الوقائع
Faits primaires	*Elementary facts*	الوقائع الأولية
-ي-		
Certitude	*Certitude*	اليقين

ثالثـــا: فهـــرس الموضوعـــات:

الموضـــوع	الصفحـــة
المقدمـــة	أ–ز
الفصل الأول: فلسفة اللغة عند فتغنشتاين من خلال الرسالة	
المبحث الاول: تحليل العالم واللغة عند فتغنشتاين	25-2
1- تحليل العالم	10-2
1-1- مفهوم العالم في الرسالة	4-2
1-2- الوقائع والوقائع الذرية	8-4
1-3- فكرة الشيء في الرسالة	10-8
2- تحليل اللغة	25-11
2-1- مفهوم اللغة في الرسالة	14-11
2-2- القضايا في الرسالة	17-14
2-3- القضية الأولية وخصائصها	21-18
2-4- مفهوم الأسماء في الرسالة	25-21
المبحث الثاني: نظرية الرسم المنطقي عند فتغنشتاين	31-26
1- مفهوم الرسم المنطقي	27-26
2- الفرق بين الرسم والقضية والواقعة	30-27
2-1- الفرق بين الرسم والقضية	28-27
2-2- الفرق بين الرسم والواقعة	30-28
3- أهمية نظرية الرسم المنطقي عند فتغنشتاين	31-30
المبحث الثالث: حدود اللغة في منطق الرسالة بين القول والإظهار	57-31
1- حدود اللغة	38-31
2- ثنائية القول والإظهار في لغة الرسالة	42-39
3- موقف فتغنشتاين من الميتالغة	51-42
4- تداعيات الفصل بين القول والإظهار في الرسالة	57-51

الفصل الثاني: ألعاب اللغة والمقاربة الجديدة للغة العادية	
المبحث الأول: بين الانقطاع والعودة للفلسفة بوادر مسار جديد للتفلسف عند فتغنشتاين	71-60
1- الوظيفة الجديدة للتحليل	65-60
2- النقد الذاتي لنظرية لنظرية الرسم المنطقي	67-65
3- من الدقة والحساب إلى المرونة والألعاب	71-67
المبحث الثاني: نظرية ألعاب اللغة وتمظهراتها	104-72
1- مفهوم الألعاب اللغوية	76-72
2- مقـــومـــاتها	97-77
2-1- المفهوم الجديد للدلالة: المعنى في الاستعمال	84-77
2-2- توسيع مفهوم الفكر والمدلول الجديد للنحو	87-84
أ- توسيع مفهوم الفكر	86-85
ب-المدلول الجديد للنحو	87
2-3- الاعتداد باللغة الطبيعية	97-87
3- تمظهرات نظرية ألعاب اللغة	104-97
3-1- التشابهات الأسرية	100-97
3-2- اللغة صورة حياة	104-101
المبحث الثالث: وظيفة الفلسفة ومهام الفيلسوف	112-104
1- وظيفة الفلسفة	109-104
2- مهمة الفيلسوف	112-109
المبحث الرابع: موقف فتغنشتاين في ضوء نظرية ألعاب اللغة من:	124-112
1- قضايا المنطق والرياضيات	118-112
2- اللغة الخاصة	121-118
3- قضايا الميتافيزيقا	124-121

الفصل الثالث: نظرية الألعاب اللغوية ابعادها وتأثيراتها	
المبحث الأول: الأبعاد الفكرية لنظرية الألعاب اللغوية في الفلسفة المعاصرة:	133-127
1- البعد البراغمائي	130-127
2- البعد الوجودي	133-130
المبحث الثاني: التأثيرات الفلسفية لنظرية ألعاب اللغة في بعض التداوليات المعاصرة	175-133
أولا. مدرسة أوكسفورد (جون أوستن وجون سيرل نموذجًا)	157-133
1- مدرسة أوكسفورد للغة العادية وإشكالية التسمية	135-133
2- مصادر اهتمام فلاسفة أكسفورد باللغة العادية	138-135
2-1- الأصول غير المباشرة	137-135
أ- فيلسوف الذوق الفطري جورج إدوار مور	136-135
ب- فيلسوف الرياضة والذرية المنطقية برتراند راسل	137
2-2- الأصول المباشرة	138
3- نظرية أفعال اللغة بين التأسيس والتطوير	157-138
3-1- أفعال اللغة عند جون أوستن	148-138
أ- إرهاصات الاهتمام باللغة العادية عند أوستن	143-138
ب- أفعال القول عند أوستن وأبعادها التعبيرية	148-143
3-2- نظرية أفعال اللغة عند جون سيرل	154-148
أ- مقومات نظرية أفعال اللغة عند سيرل	151-148
ب- أقسام الأفعال التمريرية المتضمنة في القول	154-151
4- أبرز الانتقادات الموجهة لنظرية أفعال الكلام	157-154
ثانيا: الفلسفة التواصلية هابرماس نموذجا	175-157
1- الأصول والمبادئ: إضاءة تاريخية حول مدرسة فرانكفورت وأعلامها	158-157
2-هابرماس ومشروع الفعل التواصلي	165-158
3- مفهوم الفعل التواصلي	168-165

4- شروط نجاح التجربة التواصلية عند هابرماس	170-168
5- مشروع البراغماتيكا -التداولية- الشاملة	175-170
الخاتـــمة	182-177
الفهـــــارس	
أولا: فهرس المصادر والمراجع	196-184
ثانيا: فهرس المصطلحات	203-197
ثالثا: فهرس الموضوعات	207-204